

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية أصول الدين
و الشريعة و الحضارة الاسلامية

جامعة الامير عبد القادر
للعلوم الاسلامية - قسنطينة -

قسم العقيدة و مقارنة الأديان

الرقم الترتيبي :

رقم التسجيل :

المجتمع الاسرائيلي في القرآن و العهد القديم

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة

شعبة مقارنة الأديان

إشرافه الأستاذ :

الدكتور اسماعيل يحيى رضوان

إعداد الطالب :

كمال معزوي

الجامعة الأصلية	الرتبة	الاسم و اللقب	اعضاء اللجنة
الجامعة الأصلية		لابح حوب	الرئيس
جامعة باتنة	أستاذ التحكيم العالي	اسماعيل يحيى رضوان	المقرر
الأمير عبد القادر	"	عبد القادر الخوش	عضوا
"	"	بشير كروصي	عضوا
جامعة باتنة	"	عنصور كاشي	

نوقشت يوم :

السنة الجامعية 1425 - 1426 هـ - 2004 - 2005 م

جامعة الأمير
الاهداء

أهدي هذا البحث الى

الوالدين الكريمين وكل

الإخوة والأخوات

مقدمة:

إن هذا الموضوع "المجتمع الإسرائيلي في القرآن والعهد القديم" مساهمة متواضعة في الدراسات المقارنة بين الإسلام واليهودية من خلال المصادر الأولى في كلا الديانتين وهما: القرآن الكريم، والعهد القديم.

وقد تعرض كلا من القرآن الكريم والعهد القديم إلى تفصيلات كثيرة تخص بني إسرائيل، سواء تعلق الأمر بالشؤون النفسية، أو الخلقية، أو السياسية أو الاجتماعية، أو العقدية، فهل هذه النواحي المختلفة تعبر عن قيام مجتمع في فترة تاريخية ما يمكن أن نطلق عليه المجتمع الإسرائيلي؟ .

وهل المقصود بهذا المصطلح كل التجمعات التاريخية التي عرفها بنو إسرائيل بدءاً من نزوحهم إلى مصر، واستقرارهم بها مروراً بفترة التيه، ثم دخولهم أرض كنعان، وانتهاء بتدمير مملكتهم وسبيهم إلى آشور ثم إلى بابل، والعودة من السبي بعد ذلك، ثم طردهم نهائياً من قبل الرومان.

إن الموضوعية تقتضي استخدام المصطلح في موضعه الصحيح، من الناحية التاريخية، ومن الناحية العلمية.

ولنا أن نتساءل هل كون بنو إسرائيل مجتمعاً في فترة وجودهم بمصر أو في فترة التيه، والإجابة تقتضي بيان أن المجتمع يحتوي على عناصر أساسية يأتي في مقدمتها الإقليم وبدونه لا يمكن بناء مجتمع، وقد وجد الإقليم مع الشعب والسلطة في عصر القضاة حسب أسفار العهد القديم، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد البداية الأولى للمجتمع الإسرائيلي بامتلاكهم أرض كنعان في عهد يشوع

بن نون حسب رواية العهد القديم، ولإجراء المقابلة مع ما ورد في القرآن الكريم فيما يتعلق بالأرض في القرآن الكريم، ينبغي جمع كل الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، وهذا يوجب بذل مجهودات كبيرة بالاستعانة بكل ما ورد في آراء المفسرين لتحديد ما تعلق بذلك.

كما أن هناك تساؤل آخر جدير بالطرح يتمثل في حدود إقليم هذا المجتمع، هل شمل كل أرض كنعان أم أجزاء منها فقط، وهل كان هناك نزاع على هذا الإقليم مع مجتمعات أخرى كانت ساكنة في المنطقة ذاتها، فلا شك أن هناك حسب ما ورد في أسفار العهد القديم مجتمع كنعاني، ومجتمع فلسطيني، ومجتمع حثي، وعليه فلا نسلم بأن كل الأرض كانت لبني إسرائيل، فربما كانت لهم أجزاء قليلة من هذه الأرض فقط ومن هنا يسقط الحق التاريخي للإسرائيليين المعاصرين في أرض فلسطين، إلى جانب وجود سكان أصليين عندما دخلوا تلك الأرض على أيام يشوع بن نون على فرض صحتها.

وهل التشريعات التي كانت تحكم أفراد المجتمع الإسرائيلي من عهد القضاة إلى آخر حكم سليمان-عليه السلام- كانت مستمدة من أسفار موسى الخمس، أم كانت تشريعات أوجدتها الظروف التي كانوا يعيشون فيها، أم أن هناك أنبياء شرعوا لهم، وحددوا لهم علاقات في مجتمعهم.

ويمكنني تحديد الأسباب الرئيسية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فيما يأتي:

أولاً: بيان المنهج القرآني في دراسة المجتمعات البشرية من خلال دراسة "المجتمع الإسرائيلي" للمساهمة في إبراز منهج قرآني في الدراسات الاجتماعية المقارنة.

ثانياً: إبراز حقيقة المجتمع الإسرائيلي، وتحديد زيف الدعاوي الصهيونية في الحق التاريخي لامتلاك أرض فلسطين وبيان الأهداف والأطماع المترتبة على ذلك.

ثالثاً: كشف السنن الاجتماعية في بناء المجتمعات وانهارها، مع بيان دور العقائد والتشريعات في تماسك المجتمع واستمراره، فإذا انحرف المجتمع عن ذلك، تعرض إلى الانهيار والزوال وهذا ما حدث لمجتمع بني إسرائيل بعد تعرضهم للانقسام والسبي.

رابعاً: الرغبة الذاتية العميقة في الدراسات المقارنة، وحاجة الفكر الإنساني عامة، والفكر الإسلامي خاصة لتلك الدراسات، حيث أن المعارف العلمية في هذا العصر تنقل من لغة إلى لغة أخرى، ومن فكر لآخر، فتحدث عملية التأثير والتأثر بسهولة ويسر، فيحتاج الفكر الإسلامي إلى تحصينات ذاتية.

خامساً: المساهمة في الحوار بين الأديان، فلا شك أن الدراسات المقارنة إحدى الوسائل الأساسية والهامة في مجال الحوار بين الأديان عامة، وبين الأديان السماوية الثلاثة على وجه الخصوص.

وهذا الموضوع "المجتمع الإسرائيلي في القرآن والعهد القديم" يعتبر دراسة جديدة، لم يسبق طرحها، فهناك دراسات تطرقت إلى بني إسرائيل في القرآن الكريم، ركزت في الغالب على الناحية الأخلاقية مع إشارات موجزة إلى

تحريفهم الكتب المنزلة، وافترائهم على الله ورسله، وفي مقابل ذلك وجدت دراسات أخرى حاولت استخلاص بعض الصفات العامة لبني إسرائيل من خلال أسفار العهد القديم، غير أن هذا الموضوع عبارة عن دراسة تفصيلية معمقة للمجتمع الإسرائيلي بمكوناته الأساسية.

وهذه الدراسة لا تعتمد على كتاب واحد، بل على القرآن الكريم، والعهد القديم بأسفاره المختلفة، وبناء على ذلك فهي تساهم في الدراسات المقارنة، زيادة على مساهمتها في التفسير الموضوعي، وعلم الاجتماع الديني.

أما عن المنهج المستخدم في البحث فهو منهج تاريخي مقارن، إلى جانب التحليل والنقد، ذلك أن البحث يتطلب أولاً تحديد الحوادث التاريخية وبيان الملابسات المتعلقة بذلك، مع استعمال النقد في استخلاص الحقائق وعملية نقد المصادر، مع التحليل المعمق للنصوص المقدسة لاستخلاص النتائج العلمية الصحيحة.

وقد قسمت هذا البحث إلى ستة فصول، فجعلت الفصل الأول للحديث عن العهد القديم والجذور التاريخية للمجتمع الإسرائيلي، والغرض منه دراسة مدى صحة أو بطلان الإدعاءات الزاعمة أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب هم الجذور الأولى للمجتمع الإسرائيلي، وقد أطلقوا عليهم الآباء الأولين، وفي ضوء ذلك ما هو موقف القرآن الكريم من تلك المزاعم والإدعاءات، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، الأول للعهد القديم، والثاني للجذور التاريخية في العهد القديم، والثالث للجذور التاريخية في القرآن الكريم.

والفصل الثاني تناولت فيه إقليم المجتمع الإسرائيلي، والغرض منه محاولة تحديد الرقعة الجغرافية التي أقام فيها بنو إسرائيل مجتمعهم، وقسمته إلى أربعة مباحث، الأول: أسماء الإقليم وشعوبه، الثاني: الإقليم في العهد القديم، الثالث: الإقليم في القرآن الكريم، الرابع: التحليل والمقارنة.

والفصل الثالث جعلته تحت عنوان الشعب الإسرائيلي، والغرض منه بيان العناصر الأساسية في تكوين الشعب الإسرائيلي، والمفاهيم العقدية المتحكمة في تصوراته كمفهوم شعب الله المختار، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، الأول للشعب في العهد القديم والثاني للشعب في القرآن الكريم والثالث للنقد والمقارنة.

والفصل الرابع نظام الحكم، والغرض منه بيان أن نظام الحكم لبني إسرائيل لم يبرز بشكل واضح ودقيق إلا في عهد داود وسليمان -عليهما السلام- وهو ما يعرف عند بني إسرائيل بالعصر الذهبي، وقسمته إلى مبحثين، الأول نظام الحكم في العهد القديم، والثاني نظام الحكم في القرآن الكريم.

و درست في الفصل الخامس المكونات الدينية، والغرض منه بيان العقائد والشرائع التي سادت المجتمع الإسرائيلي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول المكونات الدينية في العهد القديم، الثاني المكونات الدينية في القرآن الكريم، والثالث التحليل والمقارنة.

والفصل السادس خصصته للسبى والشتات وتطرقت فيه إلى انقسام المجتمع الإسرائيلي إلى قسمين، قسم شمالي وأطلق عليه اسم إسرائيل وقسم جنوبي

وسمى يهوذا، وتعرض القسمان إلى السبب الآشوري أولا لإسرائيل، والسبب الثاني ليهوذا.

وأخيرا خاتمة تضمنت أهم نتائج البحث.

وأخيرا يمكنني تقسيم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث إلى:

1- كتب التفسير: وهي تنقسم إلى قسمين تفاسير علماء المسلمين ويسأتي في مقدمتها تفسير الطبري، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير الألوسي، وتفسير المنار وغيرها، والقسم الثاني تفاسير العهد القديم وركزت على تفسيري نجيب جرجس، وتادرس يعقوب ملطي إلى جانب قاموس الكتاب المقدس.

2- دراسات خاصة ببني إسرائيل: وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أ- بنو إسرائيل في العهد القديم: ككتاب العهد القديم كتاب مقدس أم جمع من الأساطير لليوتاكسل، وتاريخ إسرائيل لمتى المسكين، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم لمحمد عزة دوزة وغيرها.

ب- بنو إسرائيل في القرآن الكريم: ككتاب اليهود في القرآن لعبد الكريم الخطيب، واليهود في القرآن لعبد الفتاح طبارة، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة لمحمد سيد طنطاوي وغيرها.

ج- كتابات عن اليهود عامة: ككتاب اليهودية وتاريخ اليهود لإسرائيل شاحاك، وتاريخ اليهود لفتحي عثمان، وبنو إسرائيل لمحمد بيومي مهران، وإسرائيل وعقيدة الأرض الموعد لأبكار السقاف وغيرها.

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل للمشرف على هذا البحث الدكتور اسماعيل يحي رضوان الذي بذل جهدا معتبرا لكي يخرج البحث في صورته النهائية، فشكرا

مرة ثانية على توجيهاته العلمية القيمة، وعلى صبره وأناته، وعلى دقيق ملاحظاته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير

الفصل الأول

العهد القديم والجنود التاريخية

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

العهد القديم

أول من أطلق اسم العهد القديم بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس: "لعل بولس الرسول هو من أطلق في رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس عبارة العهد القديم على المجموعة التي تتكون منها أسفار الشريعة والأنبياء وسائر الكتابات المقدسة، والتي هي الوثائق الأولى لليهودية والمسيحية وذلك لأن العهد القديم كان قبل ظهور العهد الجديد- أعني الأناجيل وسائر الرسل- كتابا مسيحيا"¹.

أما عند اليهود فيسمى "تناخ" وهي الحروف الأولى لأقسام العهد القديم: تورا، نبيئيم، كتوبيم: "ولعل من الجدير بالإشارة هنا إلى أن أقسام العهد القديم الثلاثة (التورا والأنبياء والكتابات) إنما يجمعها في العبرية لفظ "تناخ" (تساك)، وهي حروف اختصار من الألفاظ: تورا، نبيئيم، كتوبيم"².

أما الاسم الآخر فهو المقروء والذي يعني النص المقروء: "ومن الأسماء المستعملة عند اليهود لتحديد هذا الكتاب "المقرا" أي النص المقروء، لأنهم مطالبون بقراءته في عبادتهم، والرجوع إلى الأحكام الشرعية التي تنظم حياتهم، وهناك اسم ثالث له عند يهود صفة علمية خاصة هو المسورة

¹- فؤاد حسنين على، التورا الهيروغليفية، (دار الكتاب العربي-القاهرة)، ص9.

²- محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، (دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية: 1999) ج3،

"أو" المسورت" ويعنون بذلك النص المقدس المروى عن الأسلاف رواية متواترة³.

ترتيب أسفار العهد القديم:

يختلف ترتيب أسفار العهد القديم بين اليهود والمسيحيين:

1- الترتيب عند اليهود:

اختلف أحبار اليهود في عدد أسفار العهد القديم، فذهب الفريق الأغلب منهم إلى القول بأربعة وعشرين سفراً، وفريق ثان ذهب إلى اثنين وعشرين سفراً، وبرر رأيه بوجود موافقة عدد أسفار العهد القديم لعدد حروف الأبجدية العبرية، أما الفريق الثالث فحصر العدد في تسعة وثلاثين سفراً والترتيب عندهم على الشكل التالي: تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية، ويطلق عليها أسفار موسى الخمس أو التوراة، ثم يليها: يشوع، قضاة، شموئيل الأول والثاني، وملوك ويطلق عليها أسفار الأنبياء المتقدمين، يليها: اشعيا، ارميا، حزقييل فأسفار الأنبياء الإثني عشر وتسمى أسفار الأنبياء المتأخرين، وبعدها: المزاهير، الأمثال، أيوب، ونشيد الأناشيد، وروث والمراثي، الجامعة، استير، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأولى والثاني ويطلق عليها الكتابات.

وضم الفريق الذي قرر أن أسفار العهد القديم اثنان وعشرون سفراً روث إلى القضاة، والمراثي إلى أرميا، أما الفريق الثالث فجعل شموئيل والملوك وأخبار الأيام ستة أسفار بدلاً من ثلاثة، والأنبياء الإثني عشر اثنى عشر سفراً بدلاً من

³- نفس المرجع، ج3، ص12.

سفر واحد وهم: هوشع، يوثيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، ملاخي، وعزرا ونحميا سفرين عوضاً عن سفر.

2- الترتيب عند الكاثوليك:

تكوين، خروج، أحبار، عدد، تثنية الإشتراع، يشوع، القضاة، راعوث، الملوك الأول، الملوك الثاني، الملوك الثالث، الملوك الرابع، عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت، أستير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة، يشوع بن سيراخ، نبوءة أشعيا، نبوءة ارميا، نبوءة باروك، نبوءة حزقيال، نبوءة دانيال، نبوءة هوشع، نبوءة يوثيل، نبوءة عاموس، نبوءة عوبديا، نبوءة يونان، نبوءة ميخا، نبوءة ناحوم، نبوءة حبقوق، نبوءة صفنيا، نبوءة حجابي، نبوءة زكريا، نبوءة ملاخي، المكابيين الأول، المكابيين الثاني.

3- الترتيب عند البروتستانتية:

تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية، يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، أستير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، إشعيا، إرميا، مرثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوثيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.

4- الترتيب عند الأرثوذكس:

تكوين، خروج لاويين، عدد، تثنية، يشوع، قضاة، راعوث، الملوك الأول، الملوك الثاني، طوبيا، يهوديت، أستير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد، الحكمة، ايكليزيا استيكس، اشعيا، ارميا، مرثي ارميا،

حزقيال، دانيال، هوشع، يوشع، عاموس، عوبديا، يونس، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفيان، حجاب، زكريا، ملاخي.

وهكذا نلاحظ الاختلاف في عدد أسفار العهد القديم و ترتيبها بين اليهود والمسيحيين، بل إن الإختلاف بين المسيحيين أنفسهم، وتأتي الكنيسة الكاثوليكية في المقدمة في عدد الأسفار ثم تليها الكنيسة الأرثوذكسية، وفي المرتبة الثالثة الكنيسة البروتستانتية، وأخيرا الرأي الغالب عند اليهود.

أقسام العهد القديم:

أولا: أسفار التوراة:

تنقسم إلى خمسة أسفار، تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية.

1- سفر التكوين:

هذا الاسم ترجمة للكلمة اليونانية "جينيزيز" التي تعني تكوين أو خلق، أما في النسخة العبرية فيطلق عليه "براشيت" أي في البدء، وهي الكلمة الأولى التي بدأ بها السفر.

ويتكون هذا السفر من خمسين إصحاحا، وقد اشتمل السفر على الموضوعات التالية، قصة الخلق: "في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه الماء، وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور

والظلمة ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا⁴.

ثم تحدث السفر بعد ذلك عن خلق انيابسة والبحار، والنبات والحيوان، والشمس والقمر حتى وصل إلى خلق الإنسان، ويعلق أحد الباحثين على تصورات سفر التكوين لقصة الخلق: "إن قصة المياه التي تحت الجند والمياه التي فوقه، تعكس الضلال الفظ الذي عرفت به الشعوب البدائية كلها، فحسب التصورات القديمة أن السماء عبارة عن جسم كثيف صلب، ومن هنا جاءت تسميتها بـ "الجند" أي القساوة، اليابسة، واعتقد أيضا أن تجمعا مائيا هائلا يقوم خلق ذلك الجند، الذي تشكل السماء قاعه، وإذا كان كل قارئ يعرف اليوم أن المطر هو الماء الذي ينساب من التجمع المائي العلوي عبر فتحات صممت لهذا الغرض بانذات، لكن هذا الرأي يثير السخرية اليوم"⁵.

خلق آدم: يبين الاصحاح الثاني أن الرب خلق آدم من التراب، وخلق في مقابل ذلك جنة عدن: "وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية، وغرس الرب الإله جنة عدن شرقا، ووضع هناك آدم الذي جبله"⁶.

⁴ - سفر التكوين، الاصحاح 1، الفقرات 1 إلى 5.

⁵ - ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، الطبعة الأولى (الجندي للطباعة والنشر: 1994)، ص6.

⁶ - سفر التكوين، الاصحاح 2، الفقرات 7-8.

و يتحدث السفر بعد ذلك عن هابيل وقاين، وكيف قتل قاين أخاه هابيل، وقصة نوح ووقوع الطوفان، ثم يتسلسل في ذكر تاريخ المواليد حتى يصل إلى إبراهيم -عليه السلام-، ونلاحظ هنا تفصيلا في قصة إبراهيم مع إشارة سريعة وعابرة إلى مولد إسماعيل من هاجر حيث ادعى كاتب السفر أن إسحاق هو الذبيح وليس إسماعيل، وهكذا يبدو تحيز بني إسرائيل الجلى إلى شجرة نسبهم، حتى في قصة البكورية والبركة بين السفر أن يعقوب -عليه السلام- اشترى البكورية من أخيه، وأخذ البركة من أبيه بخدعة لا تليق بمقام الأنبياء.⁷

ويستمر السفر بعد ذلك في ذكر يعقوب وأولاده مع تفصيل في قصة يوسف -عليه السلام-: "وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك، وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا و كان في بيت سيده المصري"⁸.

2- سفر الخروج:

ويسمى خروج ترجمة للكلمة اليونانية "EXODES" بمعنى خروج، وفي العبرية يطلق عليه "إيليه شيموت" أي: أسماء، وهي الكلمة الأولى التي يبدأ بها السفر.

⁷- سفر التكوين، الاصحاح 25، الفقرات 1 إلى 3.

⁸- سفر التكوين، الاصحاح 39، الفقرات 31 إلى 34.

ويتكون السفر من قسمين: قسم تاريخي، و قسم تشريعي، ويمكن بناء على ذلك تحديد المحاور الكبرى التي تناولها السفر وتتلخص في:

أ- حال بني إسرائيل بعد استقرارهم بمصر، بحيث كثروا وأثروا بعد يوسف -عليه السلام-، وعندما قام ملك جديد على مصر أنزلهم، وعمل على تقليل عددهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم⁹، وكان موسى -عليه السلام- من مواليد تلك الفترة.

وأوضح السفر طريقة نجاته موسى -عليه السلام- من القتل، وذلك عندما نزلت ابنة فرعون للاغتسال في النهر عثرت عليه، فاستأجرت أم الولد لترضعه، وإعادته لها عندما كبر¹⁰.

ب- خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى -عليه السلام-، وخلصهم من فرعون وجنده الذين أغرقهم الله جميعاً.

ج- الرحلة إلى برية سيناء، وتلقي الوصايا العشر.

د- الفرائض الدينية.

هـ- خيمة الاجتماع، الكهانة، عبادة العجل الذهبي، الذبائح، ومجموعة هامة من الشرائع والقوانين أطلق عليها قانون العهد.

3- سفر اللاويين:

اسم السفر ترجمة الكلمة اليونانية "Leviticus" أي لاويين، أما في العبرية فيطلق عليه "ويقرا" أي "ودعا" وهي الكلمة الأولى التي يبدأ بها السفر.

⁹ - سفر الخروج، الإصحاح 1 ، الفقرات 7 إلى 11 .

¹⁰ - سفر الخروج، الإصحاح 2 ، الفقرات 6 إلى 10.

ويحتوي هذا السفر على سبعة وعشرين إصحاحاً، وهو يشتمل على الذبائح وانتقدمات منها نبيحة المحرقة، ونبيحة السلامة، ونبيحة الخطية، ونبيحة الإثم، ومسائل الحلال والحرام من المأكولات، والمحرمات من النساء، والنجاسات وأحكام جرائم الزنى، وممارسة العمل الكهنوتي، وشرائع التقديس، والأعياد مثل عيد الفصح، وعيد الباكورة، وعيد الهتاف، وعيد الكفارة، وعيد المظال.

ويختتم السفر بهذه العبارة: "هذه هي الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سينا"¹¹.

4- سفر العدد:

يسمى العدد ترجمة للكلمة اليونانية واللاتينية "Numeri" ويطلق عليه في اللغة العبرية "بمدبر".

ويتكون السفر من ستة وثلاثين إصحاحاً، ويحتوي السفر على الإحصائيات التي قام بها موسى -عليه السلام- حيث أحصى الذكور من ابن عشرين سنة ما عدا اللاويين الذين استثناهم من الإحصاء، حيث اسند لهم العمل في خيمة الاجتماع، كما تحدث عن التنقلات التي قام بها الشعب الإسرائيلي من سيناء إلى عربات موآب، وتعرض السفر إلى جملة من الشرائع مثل البركة الكهنوتية، وتكريس اللاويين للخدمة، والاحتفال بعيد الفصح، كما تطرق إلى الحديث عن إرسال الجواسيس للإطلاع على أرض الميعاد، والحكم بالتيه على

¹¹ - سفر اللاويين، الإصحاح 27 ، الفقرة 34.

شعب بني إسرائيل، وموت هارون، والإنصار على مديان، واختيار رؤوسين وجاد ونصف منسي لأرض مديان، وتحديد نصيب كل سبط.

5- سفر التثنية:

يسمى في اللغة العبرية "هدبريم" وهي أول كلمة يبدأ بها السفر. ويسمى أيضا تثنية الإشتراع: "أي إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء، ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن في صحراء مؤاب، وبالطبع كان هناك نسخ لبعض تعاليم الشريعة الأولى عند تثبيتها، أو إضافة لأشياء لم ترد من قبل"¹². ويحتوي على أربعة وثلاثين إصحاحا، ويعود زمن اكتشافه إلى الملك يوشيا: "وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا أرسل الملك شافان بن أصليا بن مشلام الكاتب إلى بيت الرب قاتلا، اصعد إلى حلقيا الكاهن العظيم فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب التي جمعها حارسو الباب من الشعب"¹³. وعندما ذهب شافان إلى حلقيا أخبره بأنه قد وجد سفر الشريعة: "فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه"¹⁴.

¹² - حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، الطبعة الرابعة (دار القلم-ممشق: 1420هـ) -

(1999م)، ص16.

¹³ - سفر الملوك الثاني، الإصحاح 22، الفقرات 4-5.

¹⁴ - سفر الملوك الثاني، الإصحاح 22، الفقرات 8-9.

ويتعرض السفر إلى خروج بني إسرائيل من مصر وفترة التيه، ويعيد الوصايا والشرائع، وبعض الأعياد كعيد الفصح، والأسابيع، والمظال، ويختم بموت موسى -عليه السلام- ودفنه في ارض موآب.

ثانيا: أسفار الأنبياء:

وينقسم إلى قسمين: الأنبياء المتقدمين، والأنبياء المتأخرين.

أ- الأنبياء المتقدمون: ويشمل أسفار يشوع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، ملوك الأول والثاني.

1- سفر يشوع:

يأتي في الترتيب بعد أسفار موسى الخمس مباشرة، ويتناول السفر كلام الرب إلى يشوع خادم موسى، حيث أمره بعبور الأردن لامتلاك الأرض التي أعاد السفر تحديد تخومها، وإرسال يشوع لجاسوسين للإطلاع الدقيق على تلك الأرض ومدينة أريحا، ثم بين السفر بعد ذلك كيفية استيلاء بني إسرائيل على المدن الكنعانية مثل أريحا وعاي وجبعون، والإبادة التي اقترفوها في حق سكان تلك المدن، والطريقة التي سلكها يشوع في تقسيم المدن بين الأسباط، ويختم السفر بموت يشوع، وقد اختلف الباحثون في كاتب السفر، هناك رأي بأن الكاتب كان بعد زمن يشوع، وهناك من يقر أن أجزاء هامة من السفر كتبها صموئيل: "ذهب البعض إلى أن السفر قد كتب في تاريخ متأخر من عهد يشوع، ورأي البعض الآخر أن يشوع كتب أجزاء منه، بينما معظم السفر كتبه

كتاب آخرون مثل فنحاس الكاهن أو صموئيل النبي، والأصح أن كاتب السفر بوحى من الله هو يشوع بن نون نفسه¹⁵.

غير أن عبارات كثيرة في هذا السفر تثبت أن الكاتب غير يشوع: "إن ذكر هذا السفر لموت يشوع ومكان دفنه، ولجبال يهوذا وإسرائيل، يتعارض تماما مع كون يشوع هو كاتب السفر، و إن كان هذا لا يمنع من أن أجزاء قد كتبها يشوع نفسه"¹⁶.

2- سفر القضاة:

واهتم السفر بتاريخ إسرائيل من قبل موت يشوع إلى شمشون، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- أ- يتضمن الحديث عن الأرض التي لم يستول عليها يشوع، وانحرافهم عن وصايا الرب بحيث عبدوا البعل.
- ب- إنزال العقاب بهم من قبل الرب حيث تسلط عليهم الفلسطينيون بسبب إفسادهم، وطلبهم من أنبيائهم الخلاص، و هنا يظهر القاضي الذي يكون في الدرجة الأولى قائدا عسكريا فيخلصهم من أعدائهم.

¹⁵ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس، شرح سفر يشوع، الطبعة الثانية (شركة هارموني للطبعة: 1990)، ص 9.

¹⁶ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 3، ص 35.

ج- ذكر قصتان لا فسادهم تمثلت الأولى في افتتاح الدانيين للايش، والثانية قصة ميخا والكاهن، خطيئة البنيامين الشنيعة في جبعة وما حل بهم من العقاب.¹⁷

3- سفر صموئيل الأول والثاني:

كاتب السفر مجهول غير معروف غير أن التلمود ينسب الكتابة إلى صموئيل: "إن التلمود ينسب كتابتها إلى صموئيل النبي، هذا في الوقت الذي يذهب فيه بعض الباحثين إلى أن صموئيل النبي إنما قد كتب الإصحاحات الأربعة والعشرين الأولى، وأن النبيين "ناثان" و"جاد" قد أكملوا السفرين، معتمدين في ذلك على ما جاء في سفر أخبار الأيام الأول"¹⁸. ويمكن تقسيم السفرين إلى ثلاثة أقسام:

- أ- فيه الحديث عن حياة صموئيل، و الدور الإصلاحى الذى قام به فكان منقذا لبني إسرائيل من الفلسطينيين، و موجز من حكمه.
- ب- كيفية اختيار شاول ملكا من قبل صموئيل بعد طلب شيوخ بني إسرائيل ذلك من صموئيل، والحروب التي قادها شاول ضد الفلسطينيين، مع وصف للعلاقة بينه وبين داود، ومسح صموئيل داود ملكا، وانتصار داود على جليات، و أخيرا موت شاول.

¹⁷ - قاموس الكتاب المقدس، الطبعة العاشرة (دار الثقافة-القاهرة: 1995)، ص 737.

¹⁸ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج3، ص 38-39.

ج- الصراع على الملك بين داود وأشبوشت، وكيفية مبايعة بقية الأسباط لداود بالملك.¹⁹

4- سفر الملوك الأول والثاني:

ذهب التلمود إلى أن كاتب السفرين هو إرميا: "ينسب التلمود كتابة سفري الملوك الأول والثاني إلى إرميا النبي، ولكنه زعم لا يستند إلى دليل، خاصة أن سفر الملوك الثاني تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر إرميا (580-626 م.)"²⁰.

ويتعرض سفر الملوك إلى شيخوخة داود، ويختتم بسبب يهوذا إلى بابل وحرقة الهيكل، وبين الانقسام الذي حدث في مملكة بني إسرائيل، ويشرح السفران حروب المملكتين، واستجداد كل مملكة بالممالك المجاورة على الأخرى.²¹

ب- الأنبياء المتأخرون: ويتضمن أسفار اشعيا، إرميا، حزقيال، والإثنى عشر.

1- سفر اشعيا: ينقسم هذا السفر إلى تسعة أقسام رئيسية:

أ- من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الثاني عشر، يتناول نبوءات عن مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل.

ب- من الإصحاح الثالث عشر إلى الثالث والعشرين ويشمل عشر نبوءات عن الأمم.

¹⁹- قاموس الكتاب المقدس، ص 919-920.

²⁰- محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج3، ص38.

²¹- قاموس الكتاب المقدس، ص 919-920.

ج- من الإصحاح الرابع والعشرين إلى السابع والعشرين ويتحدث عن القضاء الذي يقع على أمم العالم، وانتصار يهوذا.

د- من الإصحاح الثامن والعشرين إلى الثالث والثلاثين وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل معظمها يختص بالعلاقة بين يهوذا وآشور.

هـ- الإصحاح الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون فيه مقارنة بين مستقبل آدم ومستقبل إسرائيل.

و- من الإصحاح السادس والثلاثين إلى التاسع والثلاثين يتناول حوادث ترتبط بحياة اشعيا مثل تنبؤ اشعيا بإنقاذ أورشليم عندما طلب سنحاريب أن تسلّم له، ومرض حزقيا.

ي- من الإصحاح الأربعين إلى السادس والستين هو عبارة عن نبوءات برجوع إسرائيل من السبي البابلي.²²

2- سفر إرميا: يحتوي سفر إرميا على مقدمة وثلاثة أقسام و خاتمة:

أ- الأنبياء عن العقاب الذي يحل بمملكة يهوذا، والوعد بالرجوع من السبي.

ب- تاريخ وقوع القضاء، و الخراب الذي حل بمدينة أورشليم.

ج- نبوءات تتعلق بالأمم الأخرى.²³

وتطرق السفر في القسم الأخير والمتمثل في النبوءات عن الأمم، إلى ارتعاب

مصر الوثنية، وسيف الرب على الفلسطينيين الوثنيين، وسقوط بابل، وسبي يهوذا.

²²- نفس المرجع، ص 82-83.

²³- نفس المرجع، ص 54.

3- سفر حزقيال: ذكر السفر نبذة عن حياة حزقيال: "سجل لنا سفر حزقيال القليل جدا عن حياة هذا النبي، أهمها أنه عاش في أرض السبي نهر "قناة" خابور، بجوار تل أبيب، وكان متزوجا وله بيت ، كما ذكرت وفاة زوجته المحبوبة لديه جيدا.²⁴

ويمكن تقسيم السفر إلى ستة أقسام رئيسية:

أ- دعوة حزقيال من الإصحاح الأول إلى الثالث.

ب- تهديدات قبل سقوط أورشليم من الإصحاح الرابع إلى الثاني عشر.

ج- خطايا إسرائيل وأورشليم من الإصحاح الثالث عشر إلى الرابع والعشرين.

د- نبوءات ضد الأمم من الإصحاح الخامس والعشرين إلى الثاني والثلاثين.

هـ- نبوءات عن الرجوع من السبي من الإصحاح الثالث والثلاثين إلى التاسع والثلاثين.

و- إصلاح الهيكل وأورشليم من الإصحاح الأربعين إلى الثامن والأربعين.²⁵

4- أسفار الأنبياء الاثنى عشر: وهي مرتبة كما يلي: سفر هوشع، سفر يوشع، سفر عاموس، سفر عوبديا، سفر يونا، سفر ميخا، سفر ناحوم، سفر حبقوق، سفر صفنيا، سفر حجى، سفر زكريا، سفر ملاخي.

²⁴ - تادرس يعقوب ملطى، تفسير الآباء الأولين حزقيال، الطبعة الثانية، (مطبعة

الأنبارويس-القاهرة: 1993)، ص.6.

²⁵ - نفس المصدر، ص.25.

ثالثاً: الكتابات:

ويحتوي على الأسفار التالية: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي، الجامعة، استير، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول والثاني.

تأليف العهد القديم:

ألف العهد القديم في مدة زمنية طويلة تقدر بحوالي ألف سنة: لقد استغرق جمع وتدوين محتويات العهد القديم فترة زمنية تربو على الألف سنة من 200 ق.م إلى 1000 م، ويرى علماء اليهود أن ما نزل على موسى والأنبياء من بعده قد نقل شفاهاً بالتواتر حتى تمكن رجال المجمع الأكبر السنهدرين (SANHEPRIN)، (يكتب خطأ بالميم السنهدريم، وهي كلمة يونانية تعني المجلس)، الذي تألف بعد العودة من السبي البابلي وانتهى من تدوينه وتنظيمه على صورته الحالية²⁶.

غير أن النقد الحديث والمعاصر للعهد القديم أثبت أن الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى -عليه السلام- اعتمد كتابها على مصادر مختلفة: "ومن أهم الدراسات النقدية الحاسمة حول تاريخية العهد القديم، نظرية العالمين الألمانيين يوليوس فلها وزن وكارن هابنش كراف، وهما من البروتستانت، والتي انتهت إلى القول بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه

²⁶ عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية، الطبعة الأولى (دار عمان: 1417هـ) -

(1997م)، ص75.

السلام - كتاب منفق من مصادر أربعة، ومتعاقبة زمانا، ولكل مصدر منها ظرفه التاريخي الخاص به²⁷.

مصادر التوراة:

وهي أربعة مصادر: مصدر إلهيمي، مصدر يهوى، مصدر تنثوي، مصدر كهنوتي: "وبعد مائة سنة من البحث والدراسة والمباحثات التي انقضت من عصر استروك وحتى عصر هوبفولد، عاد مرة ثانية علم العهد القديم واقترب من نظرية المصادر، ولكن ما هي ثمار عمل تلك الدراسة لمدة مائة عام؟ مرة أخرى لم يتم البحث عن نظرية مصدرين فقط، كان أمام موسى كاتب التوراة، وزمنها غير معروف والاختلافات بينهما على أساس أسماء الألوهية فحسب، بل أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة، يمثل المصدر التنثوي أحدها ونشر زمن الملك يوشيا، أما الثلاثة الأخرى فهي اليهوى والإلهيمي أو الإلهيمي ب، ولم يحدد زمن تأليفهم بعد²⁸.

1- المصدر الإلهيمي:

يعبر هذا المصدر عن الألوهية باسم "إلهيم": "ويبدو أن الرواة الذين نقلوا عن هذا المصدر قديما كانوا يعتقدون أن تسمية الرب "إلهيم" هي التسمية التقليدية للعبريين إلى ظهور موسى، وأن اسم "يهوه" لم يظهر إلا مع

²⁷ - نفس المرجع، ص 79-80.

²⁸ - زلمان شازار، تاريخ نقد العهد القديم، ترجمه من العبرية أحمد محمد هويدى (المجلس الأعلى للثقافة: 2000)، ص 129.

الدعوة الموسوية نفسها، لذلك حرصوا على تمييز المعبود باسم ألوهيم لقدمه في الأمة، ولأن دلالاته أعم.²⁹

وتتمثل خصائص المصدر الألوهيمي فيما يلي:

- أ- التأكيد على مسألة التوحيد ورفض الوثنية و الإمتثال لأمر الله وطاعته.
- ب- ضعف الصلة بين العناصر الدينية و العناصر القومية، حيث أصبح الإختيار الإلهي لبني إسرائيل في هذا المصدر مشروطاً بالتوحيد.
- ج- يركز على الجانب الأخلاقي في حياة بني إسرائيل.
- د- الاهتمام بالأنبياء، وينفرد بنسبة النبوة إلى إبراهيم ويوسف وموسى -عليهم السلام-.³⁰

2- المصدر اليهودي:

ويعبر فيه عن الألوهية باسم "يهوه": "وفيه نزعة واضحة إلى إضفاء الصفات البشرية على الله تعالى (ANTHROPOMORPHISM) الذي أشير إليه تعالى باسم (YAWA)"³¹.

ويركز هذا المصدر على الآباء الأولين، وعلى الوعد الإلهي، والقومية اليهودية "ويعني هذا المصدر اليهودي أكثر من كتابات الكهنة بقصص الآباء الأولين، فيحدثنا عن إبراهيم ووعده الله، ثم رحيله إلى كنعان وزيشيم وبيت

²⁹ - حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص 26-27.

³⁰ - محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية، (دار الثقافة: للنشر والتوزيع -

القاهرة: 1988)، ص 23 إلى 25.

³¹ - عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية، ص 80.

أيل، ورحلته إلى مصر ثم انفصاله عن لوط ووعد الله لنسل إبراهيم ثم إقامة العهد بين الله وإبراهيم، ثم نقراً عن هجرة هاجر الحامل وزيارة يهوه لإبراهيم وقصة سدوم وعمورة، ويستطرد هذا المصدر في حديثه عن قصص أولئك الآباء إلا أننا في قصة يوسف نجد خلطاً واضحاً بين المصدرين اليهودي والإلهيمي، ثم قصة موسى وخروج بني إسرائيل بقيادة يهوه³².

ونلاحظ في هذا المصدر الربط بين القومية والدين، والتركيز على الأرض والملك، والثناء على انتصارات بعض ملوك بني إسرائيل، وربط تلك الانتصارات بالعقائد الدينية، وبذلك تبرز العلاقة الوثيدة في هذا المصدر بين الرب والشعب والأرض حيث فسرت وعود الرب تفسيراً قومياً.³³

3- المصدر التثوي:

على هذا المصدر اعتمد سفر التثوية، وأخذ موقفاً وسطاً بين المصدرين الإلهيمي واليهوي حيث حاول التوفيق بينهما، ويهتم بالجانب التشريعي: "وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط متقف لا يلقى وبالاً إلى القصص الشعبي، بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتعليم و التطوير عن طريق سن القوانين"³⁴.

³² - فؤاد حسنين على، التوراة الهيروغليفية، ص 49.

³³ - محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية، ص 27.

³⁴ - حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص 47.

4-المصدر الكهنوتي:

وركز هذا المصدر على الجانب الكهنوتي: "وهو مجموعة من الكتابات التي تعني بالكهنوت والطقوس وبخاصة في الفترة الممتدة من بدء الخليفة حتى موت موسى وحاول نفر من قبل اعتبار سفر يشوع حتى نهاية كتاب الملوك الثاني قسما آخر مستقلا، إلا أن الرأي قد أهمل اليوم نهائيا"³⁵.

ترجمات العهد القديم:

يذهب معظم الباحثين إلى أن اللغة العبرية هي اللغة التي كتبت بها أسفار العهد القديم، مع وجود أجزاء كتبت باللغة الآرامية: "أما لغة العهد القديم فهي العبرية أعني (لغة كنعان) أو (يهودية) إلا أن العهد القديم لم يخلص للعبرية بل أفصح صدره في بعض أجزائه للغة الآرامية، وبعد السبي البابلي جاء العبريون بالخط المربع وقد يطلق عليه أيضا الخط الآشوري واستخدمها عزرا في كتابة العهد القديم"³⁶.

وقد ظهرت عدة ترجمات للعهد القديم أهمها: السبعينية، والآرامية، والقبطية، والعبرية، والحبشية.

1-الترجمة السبعينية:

وهي أشهر ترجمة للعهد القديم، وقام بترجمتها مجموعة من علماء اليهود في الإسكندرية بطلب من بطلميوس الثاني: "إن ما يقال عن الترجمة السبعينية من أن بطلميوس الثاني فيلا دلفوس (285-247 ق.م)، أراد فيما

³⁵ - فؤاد حسنين على، التوراة الهيروغليفية، ص 47.

³⁶ - نفس المرجع، ص 16.

يذكر (أريستياس) القرن الأول ق.م، الاحتفاظ في مكتبته بنسخة يونانية للعهد القديم، فطلب من الحاخام الأكبر اليعازر تحقيق هذه الرغبة فشكل لجنة من اثنين وسبعين عالما (ست من كل سبط) فترجموا العهد القديم في الإسكندرية في اثنين وسبعين يوما لذلك أطلق على هذه الترجمة السبعينية³⁷، وهذه الترجمة لم تكن حرفيا بل اعتمدت على المعنى، لذلك يمكن تسجيل الملاحظات التالية حول هذه الترجمة:

أ- هذه الترجمة غير دقيقة في مجموعها خاصة في إشعيا والمزامير ودانيال.

ب- سفر إرميا ينقص عن النص العبري بحوالي السبع.

ج- اختلافها عن النص العبري في الترتيب والتنسيق بين الأسفار، كذلك نلاحظ

الكثير من الاضطرابات في ترجمات بعض الألفاظ العبرية اليونانية.³⁸

وتعتبر هذه الترجمة أساس الترجمة اللاتينية التي ظهرت بعدها.

2- الترجمة اللاتينية:

أقدم ترجمة لاتينية للكتاب المقدس كانت في القرن الثاني للميلاد، وقد

ترجمت من السبعينية وليس من العبرية، وفي القرن الرابع ظهرت ترجمة

لاتينية موحدة عرفت بالفلجاتا أو الشعبية.³⁹

وهذه الترجمة الثانية قام بها القديس هيرونيموس: "وأما الترجمة اللاتينية الثانية،

فقد قام بها القديس هيرونيموس - بناء على رغبة "دماسوس" أسقف رومية -

³⁷ - نفس المرجع، ص 26.

³⁸ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 3، ص 96.

³⁹ - قاموس الكتاب المقدس، ص 770.

نقلا عن اللغة العبرية مباشرة، وذلك عندما انتقل في عام 387 م، إلى دير في "بيت لحم" حيث أكمل دراسة اللغة العبرية التي بدأها منذ حداثته، ثم قام بعد ذلك بترجمة الفولجاتا" VULGATE في الفترة 390 أو 392 - 405 م⁴⁰.

3- الترجمة القبطية:

أشهر اللهجات التي ظهرت بها هذه الترجمة الصعيدية والبحيرية، وقد اختلف في زمن ظهور الترجمة القبطية: "ولا يمكننا تحديد وقت الترجمة بالتمام، ومن الممكن أنه وجدت أجزاء من العهد الجديد في اللهجة الصعيدية والبحيرية قبل نهاية القرن الثاني للميلاد، ومن الممكن أيضا أن تكون ترجمة الكتاب المقدس إلى الصعيدية قد أكملت في القرن الثالث أو حوالي عام 350 م، أما ترجمته إلى البحيرية فقد أكملت بين عام 600 و 650 م⁴¹.

4- الترجمة الحبشية:

ظهرت هذه الترجمة في القرن الرابع للميلاد على يد أسقف الحبشة: "ولما تنصر عزان ملك اكسوم حوالي عام 340 م تنصرت جميع مملكته أيضا، ومن الممكن أن فرومونتوس نفسه بدأ بترجمة الكتاب المقدس أو أن هذه الترجمة جرت تحت إشرافه⁴².

5- الترجمة العربية :

40 - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج3، ص99.

41 - قاموس الكتاب المقدس، ص 770.

42 - نفس المرجع، ص770-771.

قام بنقل الكتاب المقدس من اللغة القبطية إلى اللغة العربية سعيد الفيومي (892-942م)، كما قام هبة الله بن العسال بالعمل نفسه حوالي سنة 1250م، وقد ظهرت الطبعة العربية في مجموعة باريس 1645م وفي مجموعة لندن 1657م، أما ترجمة روما فكانت في سنة 1671م.⁴³

⁴³ - نفس المرجع، ص 770-771.

المبحث الثاني

الجنور التاريخية في العهد القديم

1- إبراهيم وبنوه:

ترجع الدراسات التوراتية أصل الشعب الإسرائيلي إلى الآراميين، حيث كان موطنهم الأصلي في أرض الكلدانيين: "شعب إسرائيل حسب التقليد كان في أصله آراميا من جهة الجنس، يضرب جذوره عميقا في أرض الكلدانيين حيث مدينة أور التي تقع جنوب نهري دجلة والفرات"⁴⁴.

ومن تلك المنطقة تنطلق أسرة الأب الأول لشعب بني إسرائيل حسب روايات العهد القديم في هجرته إلى حران: "وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران وساراي كنته امرأة ابنه، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى حران وأقاموا هناك"⁴⁵.

ولم يرد في أسفار العهد القديم سبب مغادرة أسرة إبراهيم -عليه السلام- لمدينة أور باتجاه حران، كما لم يرد استقرار تلك الأسرة بأرض حران غير أن بعض شراح العهد القديم يرجع استقرار الأسرة في حران لعدم قدرة تارح على مواصلة الرحلة إلى أرض كنعان: "ولكنهم وصلوا إلى حران وأقاموا

⁴⁴ - متى المسكين، تاريخ إسرائيل، الطبعة (مطبعة دير القديس أنبماقار -القاهرة: 1997)، ص19.

⁴⁵ - سفر التكوين، الاصحاح 11 ، الفقرات 31.

هناك، ويغلب أنهم لم يستطيعوا مواصلة رحلتهم لشيخوخة تارح، وبعد أن أقاموا بها مدة مات تارح هناك⁴⁶.

وبعد موت تارح قصد إبراهيم مع بقية أفراد الأسرة أرض كنعان بأمر من الرب: "وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة و أباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض، فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لمسا خرج من حران"⁴⁷.

ونلاحظ في هذا النص التوراتي أن أمر الرب لإبراهيم بالخروج من أرضه ومن عشيرته إلى أرض كنعان، وإبراهيم وقتئذ كان في حران التي تقع في سورية حالياً، بينما أرضه وعشيرته في أور التي تقع في العراق، ونلاحظ هنا التناقض في هذا الأمر: "وحران كما نعلم هي في سورية، وهي ليست بلاد إبراهيم، إذ إن بلاده وبلاد أبيه أور الكلدانيين، ولكن التوراة قررت أن تارح ارتحل إليها هو وبنوه وزوجاتهم"⁴⁸.

ويحاول بعض شراح العهد القديم إزالة هذا الإشكال بأن إبراهيم دعى مرتين وليس مرة واحدة، الأولى وهو في أرض أور والثانية في حران: "يوضح

⁴⁶ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس سفر التكوين، الطبعة الرابعة (مطبعة مدارس الأحد: 2001)، ص 140.

⁴⁷ - سفر التكوين، الاصحاح 12، الفقرات 1 إلى 4.

⁴⁸ - محمد علي البار، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، الطبعة الأولى (دار القلم - دمشق: 1410 هـ - 1990م)، ص 47.

القديس اسطفانوس أن الله دعا إبراهيم وهو (في ما بين النهرين قبلما سكن حاران)، فيكون بذلك قد دعى مرتين: المرة الأولى وهو في أور، والمرة الثانية بعد موت أبيه في حاران لكي يذكره بدعوته الأولى حتى يواصل رحلته إلى الأرض التي يريه إياها، وقد كانت المدة بين الدعوتين نحو خمس سنوات⁴⁹.

وامتثل إبراهيم لأمر الرب وقصد أرض كنعان بصحبة زوجته سارة وابن أخيه لوط، واستقر في شكيم وهي مأهولة بسكانها: "وظهر الرب لأبرام وقال لتسلك أعطى هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته"⁵⁰.

وعندما حدث الجوع في الأرض قصد إبراهيم مصر، وأوصى إبراهيم زوجته سارة عند دخولها إلى مصر أن تقول بأنها أخته حتى لا تتعرض إلى القتل من قبل المصريين ويستبقونها لأنها امرأة حسنة المنظر: "فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سراي امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام

⁴⁹ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين، ص 141.

⁵⁰ - سفر التكوين، الاصحاح 12، الفقرات 7-8.

وقال ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي، والآن هوذا امرأتك، خذها واذهب⁵¹. ونلاحظ في النص السابق أن سارة فتتت فرعون والمصريين بجمالها، والتساؤل الذي يطرح كيف يكون ذلك من عجوز بلغت حوالي ستة وستين سنة، والملاحظة الثانية لماذا أخفى إبراهيم حقيقة زوجته عن فرعون وهو يدرك ما سيقدم عليه بل أشد من ذلك أن كاتب السفر قد علل ذلك أن إبراهيم قد اعتراه الخوف من قتله وأراد في مقابل ذلك أن يتحصل على خير بسببها: "ويجدر أن نلاحظ هنا أن سارة كانت عندئذ في عامها الخامس والستين، وغنى عن القول أن هذه السنين والترحال المرهق في الصحراء اللاهبة، لم يكن لها أي تأثير على مستوى جمال سارة، أنها نون ربية توراتية أخرى⁵².

وتحصل إبراهيم على خيرات كثيرة من فرعون مصر حيث صار له أغنام وأبقار وحمير وعبيد وجمال وأتن، وفي مقابل ذلك وقعت ضربات عظيمة لفرعون وبيته، لكن كاتب السفر لم يورد هذه الضربات، ولم يبين حقيقتها، كما لم يخبر بالمدة التي مكثها سارة عند فرعون، كما أغفل كذلك ما قد يكون وقع في تلك الفترة من فرعون نحو سارة، ولم يذكر كيف عرف فرعون أن سارة زوجة لإبراهيم وأن ما أصابه بسببها، وكل ذلك مدعاة لتهافت هذا النص التوراتي، خاصة وهو يتعلق عندهم بالأب الأول لبني إسرائيل أو المجتمع

⁵¹ - سفر التكوين، الاصحاح 12، الفقرات 14 إلى 19.

⁵² - ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 81.

الإسرائيلي حسب زعمهم، فلا يليق بمن كانت مكانته تلك أن يحدث له ما حدث.

وبعد ذلك غامر إبراهيم مصر بالثراء الذي تحصل عليه هناك، وعاد إلى مكانه الأول إلى بيت إيل: "إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداية بين بيت إيل وعاي، إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً، ودعا هناك أبرام باسم الرب" 53.

وكان لوط -عليه السلام- مرافقاً لإبراهيم -عليه السلام- في تلك الرحلة وقد ناله نصيبه من الثراء كذلك، وحدثت المخاصمة بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط لأن الأرض لم تتسع لهما معاً، فأمره إبراهيم بالاعتزال عنه: "فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقاً، فاعتزل الواحد عن الآخر" 54.

وعندما وقع الافتراق بين إبراهيم ولوط أبرم الرب عهده مع إبراهيم: "وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه، ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد" 55.

وهذا العهد كان لإبراهيم قبل أن يرزق بالولد لكن الرب كلمه مرة أخرى في رؤيا وأخبره بالأجر الكثير وهنا يسأل إبراهيم الرب عن كيفية حصوله على

53- سفر التكوين، الاصحاح 13، الفقرات 3-4.

54- سفر التكوين، الاصحاح 13، الفقرة 11.

55- سفر التكوين، الاصحاح 13، الفقرات 13 إلى 16.

ذلك وهو عقيم ليس له من يرثه، بل الوارث سيكون من غير بيته: "فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو أليعاز الدمشقي، وقال أبرام أيضا إنك لم تعطني نسلا وهو ذا ابن بيتي وارث لي، فإذا كلام الرب إليه قائلا، لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها، وقال له هكذا يكون نسلك" ⁵⁶.

والغريب في الأمر أن هذه الرؤيا كذلك وردت ولم يولد لإبراهيم أبناء، لكن كاتب السفر حدد هذا النسل بوقائع حدثت بعد إبراهيم -عليه السلام- بزمان طويل وبدقة متناهية حيث أورد العبارة التالية: "فقال أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربع مئة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا دينها، وبعد ذلك يخرجون بأملك جزيلة، وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة سالحة، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا" ⁵⁷.

وهذا الاستعباد الذي أورده كاتب سفر التكوين المقصود به الفترة الزمنية التي قضاهما بنو إسرائيل في مصر والتي يقدرونها بحوالي أربعة قرن ويشهد الكاتب بما أورده بأنها ليست أرضهم، فكيف صوغ لنفسه بعد ذلك بالزعم أن الأرض الموعودة من نهر مصر إلى نهر الفرات، "في ذلك اليوم قطع الرب مع

⁵⁶ - سفر التكوين، الاصحاح 15، الفقرات 2 إلى 5.

⁵⁷ - سفر التكوين، الاصحاح 15، الفقرات 13 إلى 16.

أبرام ميثاقاً قائلاً لنسك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات⁵⁸.

ولا شك أن المقصود بنهر مصر نهر النيل، ومن هنا يتضح التناقض الموجود في أسفار العهد القديم في الإصحاح الواحد، وإن كانت هناك محاولات للتبرير من قبل بعض الشراح: "والأرجح أن المقصود هنا المجرى الموسمي الذي يسير في الأراضي الصحراوية الواقعة جنوبي فلسطين، وتتجمع فيه مياه الأمطار شتاء ويصب في البحر المتوسط عند العريش إلى الجنوب الغربي من غزة بنحو 64 كيلومتر، وقد دعى وادي مصر هنا"⁵⁹.

ويتبين من خلال النص التوراتي السابق أن العهد سيكون لنسل إبراهيم من ولده إسحاق وبالضبط من ذرية يعقوب فهم من سكنوا مصر لفترة زمنية طويلة.

ووردت إشارة عابرة وسريعة في العهد القديم خاصة بمولد إسماعيل ومكان استقراره، واستثناءه من العهد الذي أبرمه الرب مع إبراهيم، مع أن إسماعيل هو الابن البكر، ولا يذكر كاتب سفر التكوين سبباً لذلك الاستثناء: "فولدت هاجر لأبرام ابناً ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل، كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام"⁶⁰.

⁵⁸ - سفر التكوين، الإصحاح 15، الفقرة 18 .

⁵⁹ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس سفر التكوين، ص 163.

⁶⁰ - سفر التكوين، الإصحاح 16، الفقرة 15-16.

وعندما بلغ إبراهيم تسع وتسعين سنة ظهر له الرب مرة أخرى، وقطع معه العهد ويكون أبا لجمهور من الأمم، ويأمره الرب بأن يغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم، واسم زوجته من ساراي إلى سارة، والعهد يكون أبدياً، والأرض هي كنعان أرض غربة إبراهيم، وعلامة العهد الختان: "وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده"⁶¹.

وتزعم أسفار العهد القديم بعدما جعلت العهد الأبدي لإسحاق، أن إبراهيم-عليه السلام- أمر بذبحه مع أن النص صريح في تحديد البكر: "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له إبراهيم، فقال هاأنذا فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك"⁶².

ويستجيب إبراهيم-عليه السلام- لأمر الرب ويقدم ابنه كما أمر، وينجح في امتحانه، وكان عوضاً عنه كبش أرسل إلى إبراهيم، وقد تكرر في هذه الحالة الإبن الوحيد ثلاث مرات، المرة الأولى التي أمر بذبحه، والثانية والثالثة بعد نجاحه في الامتحان: "لأنني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني"⁶³.

⁶¹- سفر التكوين، الاصحاح 17، الفقرات 18-19.

⁶²- سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرات 1-2.

⁶³- سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرة 13.

والموضع الآخر: "ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، وقال بذاتي أقسمت يقول الرب، أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه"64.

والنصوص صريحة في تحديد الابن بوحد إبراهيم، والابن الوحيد الذي رزق به إبراهيم قبل ميلاد إسحاق هو إسماعيل، ومن هنا يتبين أن اسم إسحاق قد أقم في النص، وغرض الكاتب هو بيان فضل إسحاق واستحقاقه للعهد الذي أبرمه الرب مع إبراهيم.

وهناك دلالة أخرى على أن الذبيح ليس إسحاق، ففي الفقرات الموالية لقصة الذبح مباشرة بين الكاتب أن إبراهيم رجع مع غلامية وسكن في بئر سبع: "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي، ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه، فقاموا معا إلى بئر سبع، وسكن إبراهيم في بئر سبع"65.

وبئر سبع سكنت فيه هاجر وابنها إسماعيل: "قمضت وتاهت في بيرة بئر سبع"66.

وعندما شاخ إبراهيم أوصى خادمه المشرف على كل ممتلكاته وهو اليعازر الدمشقي وقد ذكر بهذا الاسم مرة واحدة، ثم أشير إليه بعد ذلك بصفة العبد ألا

64- سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرات 15 إلى 17.

65- سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرات 18 - 19.

66- سفر التكوين، الاصحاح 21، الفقرة 14.

يزوج ابنه إسحاق من الكنعانيين، بل يتجه إلى أرض أجداده وعشيرته ويأتيه بزوجة من هناك، ونفذ العبد وصية سيده وكانت رفقة حفيدة نحور ولها أخ يدعى لابان واسم أبيهما بتوئيل، فلما اخبر العبد بتوئيل ولابان بالعهد الذي قطعه مع إبراهيم، وان اختياره لرفقة كان بأمر الرب سلماها له ليأخذها زوجة لإسحاق: "فأجاب لابان وبتوئيل وقالوا من عند الرب خرج الأمر ، لا نقدر أن نكلمك بشر أو خير، هو ذا رفقة قدامك، خذها واذهب، فلتكن زوجة لابن سيدك كما تكلم الرب"⁶⁷.

وانجبت رفقة ولدين لإسحاق ، اسم البكر عيسو، واسم الآخر يعقوب، وانتقلت البركة إلى يعقوب عن طريق الخداع، حيث استطاع أن يخدع أباه إسحاق الذي ظنه عيسو فباركه، حيث طلب إسحاق من ابنه البكر عيسو أن يأتيه بصيد حتى يباركه وقد سمعت رفقة ذلك الحديث، فأسرعت إلى ابنها الآخر يعقوب وأمرته أن يصنع طعاما لأبيه و يقدمه له حتى يفوز ببركته حيث يوهمه بأنه عيسو: "فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسو أخي رجل اشعر وأنا رجل أملس، ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون واجلب على نفسي لعنة لا بركة"⁶⁸.

فصنعت له رفقة الطعام، وألبسته ثياب أخيه عيسو الفاخرة مع وضع جلد المعز على يديه وعنقه: "فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني، أنت هو ابني عيسو أم لا فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه، فجسه وقال الصوت صوت

⁶⁷ - سفر التكوين، الاصحاح 24، الفقرات 50 - 51.

⁶⁸ - سفر التكوين، الاصحاح 27، الفقرات 11 - 12.

يعقوب ولكن الـيدـين يـدا عيسو، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه⁶⁹.

هكذا أخذ يعقوب البركة من أبيه إسحاق بخدعة ومكر لا تليق بمقام من انتسب إليه بنو إسرائيل، بل ذهب كاتب سفر التكوين إلى أبعد من ذلك عندما أورد المصارعة بين الرب ويعقوب، وكيف كانت الغلبة بعد ذلك ليعقوب، وفي نهايتها بارك الرب يعقوب: "وقال أطلقتني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني، فقال ما اسمك، فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت"⁷⁰.

وينتقل بعد ذلك يعقوب وأبناؤه إلى مصر، حيث استقر ولده يوسف بعد تعرضه وهو صغير لكيد إخوته، وفي مصر تبوأ منزلة رفيعة عند ملكها، وكان عدد أفراد أسرة يعقوب الداخلين إلى مصر يقدر بسبعين نفساً، واختار لهم يوسف أرض جاسان وهناك تكاثر بنو إسرائيل، وفي مقابل ذلك تركوا الأرض التي وعدوا بها، بل إن يعقوب -عليه السلام- وهو حفيد إبراهيم، وإليه انتقل وعد الرب وبركته يتخلى عن تلك الأرض، ويؤثر الاستقرار في مصر: "ويجري التاريخ في مجراه الطبيعي ويتكاثر أحفاد إسرائيل الذين نزلوا ضيوفاً على عزيز مصر على حافة دلتا مصر الشرقية في إقليم جاسان،

⁶⁹- سفر التكوين، الاصحاح 27، الفقرات 21 إلى 23.

⁷⁰- سفر التكوين، الاصحاح 32، الفقرات 26-27.

وتتموا قبائلهم التي شخصها التاريخ العبري فأطلق عليها أسباط إسرائيل الاثني عشر⁷¹.

2- بنو إسرائيل في مصر:

دخل يعقوب وأبناؤه إلى مصر في عهد الهكسوس، حيث كانت مصر آنذاك محتلة من قبلهم: "كان الإسرائيليون مرتبطين بالهكسوس بأوثق رباط، فيوسف الصديق وصل إلى ما وصل إليه في عهدهم، كما أن بني إسرائيل قد ساعدوا الغاصب الأجنبي ومن ثم تركهم في مراعيهم آمنين"⁷².

ولكن الأمر العجيب أن أسفار التوراة لا تذكر شيئاً عن حياة بني إسرائيل في فترة الهكسوس، بل لا تتعرض إلى أحوالهم التي سبقت ميلاد موسى -عليه السلام- وهنا يطرح التساؤل لماذا لم تسجل صفحات أسفار التوراة تلك المدة الطويلة، ولم تذكر ما دار فيها من أحداث.

ولعل الإشارة الواردة في الإصحاح الأول من سفر الخروج إلى قيام ملك جديد في مصر، تشير إلى طرد الهكسوس، واستعادة المصريين لملك بلادهم: "ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم"⁷³.

⁷¹ - عبد العزيز عامر، بنو إسرائيل، (مدبولي الصغير: 2002)، ص 126.

⁷² - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 1، ص 241.

⁷³ - سفر الخروج، الإصحاح 1، الفقرات 8 إلى 11.

ويتحدث سفر الخروج في بدايته عن قصة العبودية في مصر، وتمثل ذلك في أعمال التسخير أولاً حيث ذهب كاتب سفر الخروج أن بني إسرائيل بنوا لملك مصر مدينتين فيثوم ورعمسيس، ثم تسليط القتل على المواليد الذكور من إسرائيل ثانياً، وكان موسى - عليه السلام - من مواليد تلك الفترة، وقامت أمه بإخفائه لمدة ثلاثة أشهر، وبعدها وضعت على حافة النهر: "ولما لم يمكنها أن تحبئه بعد أخذت له سبطاً من البردي وطلته بالحر والرفق ووضعت الولد فيه ووضعت بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به"⁷⁴.

وعند نزول ابنة فرعون للاغتسال في النهر، وجدته وعلمت أنه من أولاد العبرانيين، ولما رأت بكاءه رقت له، فأشارت أخته عليها أن تدلها على امرأة عبرانية ترضعه، فوافقت ابنة فرعون، وأخذ الصبي إلى أمه: "فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً، ودعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء"⁷⁵.

ويذهب بعض شراح الكتاب المقدس أن موسى هو الاسم المصري، ويهوياقيم اسمه العبراني: "ويرى القديس اكليمينضس الإسكندري أن موسى هو الاسم

⁷⁴ - سفر الخروج، الاصحاح 2، الفقرات 3 - 4.

⁷⁵ - سفر الخروج، الاصحاح 2، الفقرات 9 - 10.

المصري ويعني المنتشل من الماء أما اسمه العبراني عند ختانه فهو يهوياقيم، وله اسم ثالث في السماء في نظر الرمزيين هو ملكي⁷⁶.

ومرة أخرى لم يذكر كاتب السفر شيئاً عن فترة موسى-عليه السلام- التي قضاهما في قصر فرعون، ويقتصر على حادثة قتل المصري التي كانت سبباً في هروب موسى من مصر لأن فرعون أراد قتله وتلخص حادثة قتل المصري في أن موسى-عليه السلام- شاهد شجاراً بين رجل عبراني وآخر مصري: "فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل"⁷⁷.

وفي اليوم الثاني رأى شجاراً بين ذلك العبراني وعبراني آخر، فعندما أراد أن يصد المذنب فضح أمره: "فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك، فخاف موسى وقال حقاً قد عرف الأمر، فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى"⁷⁸ والتجأ موسى بعد هروبه من مصر إلى مديان، وهنا ينتقل مباشرة كاتب سفر الخروج للحديث عن كاهن مديان والذي ذكر اسمه رعوثيل، وكيف ذهبت بناته السبع وكيف منعهن الرعاة من السقى، ونجدة موسى-عليه السلام- لهن، وأخبرن أباهن بما حدث من الرجل المصري، فطلب إحضاره ودعوته للطعام: "ادعونه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى

⁷⁶- تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر الخروج (مكتبة مارمرقس رويس- القاهرة: 1980)، ص 20-21-22.

⁷⁷- سفر الخروج، الإصحاح 2، الفقرات 11-12.

⁷⁸- سفر الخروج، الإصحاح 2، الفقرات 13 إلى 15.

موسى صفورة ابنته، فولدت ابنا ودعت اسمه جرشوم، لأنه قال كنت نزيلا في أرض غريبة⁷⁹. وفي هذه الأثناء توفي فرعون، وتنفس بنو إسرائيل الصعداء، وفجأة يظهر وعد الرب لبني إسرائيل الذي قطعه مع آبائهم: "وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات، وتهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونظر الله بنى إسرائيل وعلم الله⁸⁰.

واشتغل موسى برعي الغنم التي كانت ملكا لصهره الذي أورد له العهد القديم اسما ثانيا هو يثرون، وأثناء رعيه قصد جبل حوريب، فرأى النار في العليقة وهي لا تحترق فأراد أن يشاهد ذلك المنظر، وهناك كلمه الرب: "فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه من وسط العليقة وقال موسى موسى، فقال هاأنذا، فقال لا تقترب إلى هاهنا، اخلع حذائك من رجلك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، ثم قال أنا إله أبوك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله⁸¹.

ومن هنا يذهب بعض الباحثين إلى أن موسى - عليه السلام - لم يأت بدين جديد، بل جدد دعوة الآباء الأولين إبراهيم وإسحاق ويعقوب: "على أن الله سبحانه لم يعلن له ديانة جديدة، بل ديانة الآباء نفسها جدها له، فتجلى له

⁷⁹ - سفر الخروج ، الاصحاح 2، الفقرات 20 إلى 22.

⁸⁰ - سفر الخروج ، الاصحاح 2، الفقرات 23 إلى 24.

⁸¹ - سفر الخروج ، الاصحاح 3، الفقرات 4 إلى 6.

وعرفه أولاً اسمه وهو: يهوه أي "الكائن" والمكون، والذي به كل يكون ويتحرك ثم عرفه قصده: إنه الله الذي يخلص تابعيه، ولهذا كلف موسى هذه المهمة وهي: 1- أن يمضي فينقذ إسرائيل، 2- أن يقودهم إلى طور سيناء⁸².

وعندما أمر الرب موسى -عليه السلام- بالذهاب إلى فرعون وإخراج بني إسرائيل من أرض مصر، تفاجأ موسى -عليه السلام- باختياره وإرساله إلى فرعون، وأيده الرب بمعجزة العصا واليد، فإذا لم يصدق بنو إسرائيل جعل له آية ثالثة وهي الماء الذي يصير دماً فقال له الرب ما هذه في يدك فقلا عصا، فقال اطرحها إلى الأرض، فطرحها إلى الأرض، فصارت حية، فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها، فمد يده وامسك به، فصارت عصا في يده⁸³.

فمعجزة العصا، واليد التي يدخلها في عبه فتخرج بيضاء كالثلج، والماء المتحول إلى دم هي في المقام الأول لبني إسرائيل حيث شك موسى في تصديقهم له، ويعلق أحد الباحثين على ذلك: "ولكن عبر موسى عن شكه في أن يصدق بنو إسرائيل، فما بالك فرعون نفسه وفي الحال منحه يهوه القدرة على صنع العجائب"⁸⁴.

واعترف موسى للرب بأنه ثقيل اللسان، غير أن الرب أخبره بتعليمه ما يقول غير أن موسى أصر على عدم قدرته على القيام بالرسالة، فحمى غضب الرب

⁸² - الحق المبين في تاريخ إنزال الدين (1934م)، ص 68.

⁸³ - سفر الخروج، الإصحاح 4، الفقرات 2 إلى 4.

⁸⁴ - ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس ام جمع من الأساطير، ص 170.

عليه، واعلمه بأن المتكلم نيابة عنه هارون: "وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فما وأنت تكون له إليها، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات"⁸⁵.

والتساؤل الذي يطرح حول هذا النص كيف يكون موسى إليها لأخيه هارون، هل يدل على أنه يكون سيدياً له، أم يعتبر المرجع له فيما يقول، أم أن مفهوم الإله عند كاتب السفر لا يقتصر على الله تعالى، بل يطلق على بعض من البشر والملائكة ولا شك أن هذا التعبير يشير إلى علاقة هارون بموسى في الرسالة التي كلفا بها، وهذه العلاقة يوضحها أحد شرح العهد القديم: "هارون أيضاً يشير إلى العمل الكهنوتي التعبدي، التصاقه بموسى إنما يرمز إلى التحام الوصية بالعبادة للعمل بروح الرب من أجل خلاص العالم"⁸⁶.

ضربات الرب على فرعون وقومه:

وأمر الرب هارون أن يخرج لاستقبال موسى وحين التقيا عند جبل الله أخبر موسى أخاه هارون بما أرسل به من قبل الرب، وأمن به شعب بني إسرائيل بعد أن كلمهم هارون ورأوا الآيات أمام أعينهم، أما فرعون فأبى الإيمان بالرب بل ضاعف من الأعباء على بني إسرائيل الذين غضبوا على موسى وهارون حيث شدد فرعون قبضته عليهم بسببهما: "فقالوا لهما ينظر الرب إليكما ويقضى لأنكما أنتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبده حتى تعطيا سيفاً ليقتلونا، فرجع موسى إلى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت

⁸⁵ - سفر الخروج ، الاصحاح 4، الفقرات 15-16.

⁸⁶ - تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر الخروج، ص46.

ترك موسى وقومه أرض جاسان بعد إقامتهم في مصر مدة أربع مائة وثلاثين سنة واتجهوا نحو مدينة سكوت: "فارتحل بنو إسرائيل من رعسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد، وعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا، وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا إذ كان لم يختمر، لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا، فلم يصنعوا لأنفسهم زادا"⁹⁰.

وبأمر من الرب سار بنو إسرائيل في غير طريق الفلسطينيين، والسبب في ذلك كما بينه كاتب سفر الخروج يتمثل في عدم ندم شعب بني إسرائيل على خروجهم من مصر إذا واجهوا حربا من قبل الفلسطينيين، فكان طريق السير إلى برية بحرسوف، وأخذ موسى معه عظام يوسف -عليه السلام- تنفيذا لوصية يوسف: "وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهارا وليلا، لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا أمام الشعب"⁹¹.

وندم فرعون على تركه بني إسرائيل مغادرة مصر فأرسل عقبهم جيشا عظيما لإعادتهم ثانية إلى مصر، "فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جدا وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب،

⁹⁰- سفر الخروج ، الاصحاح 12، الفقرات 37 إلى 39.

⁹¹- سفر الخروج ، الاصحاح 13، الفقرات 21-22.

وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية، ماذا صنعنا بنا حتى أخرجتنا من مصر⁹².

وأمر الرب موسى أن يمد يده على البحر، فرجع البحر إلى حالته، وغرق فرعون وجيشه، ونجا بنو إسرائيل إلى اليابسة: "فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقاؤه، فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم البحر"⁹³.

⁹² - سفر الخروج ، الاصحاح 14، الفقرات 10-11.

⁹³ - سفر الخروج ، الاصحاح 14، الفقرات 27 إلى 29.

المبحث الثالث

الجذور التاريخية في القرآن الكريم

1- إبراهيم وبنوه:

ولد إبراهيم-عليه السلام- في بلاد وثنية كان أهلها يعبدون الأصنام، بل كان أبوه يحترف صناعتها: "وإذ قال إبراهيم لأبيه عازر أتتخذ أصناما ءالهة إني أراك وقومك في ضلال مبين"⁹⁴.

وقد أورد المفسرون عدة آراء في كلمة آزر الواردة في هذا النص القرآني، هل هو اسم لأب إبراهيم أم معناه أب، أم أعرج أم يشير إلى الخاطئ الخزف. وقد حدث جدال بين إبراهيم-عليه السلام- وقومه عبدة الأصنام، ولم تكن حجة القوم إلا اتباع الآباء، والإصرار على تقليدهم في معبوداتهم: "ولقد ءاتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا ءابائنا لها ءابدين، قال لقد كنتم أنتم وءاباؤكم في ضلال مبين"⁹⁵.

فيتجاهل القوم الإجابة عن الضلال الذي يحيونه القوم كما كان آباؤهم من قبل، ويتحاشون الحديث عن أصنامهم، وتساؤلوا بدلا من ذلك عن جدية إبراهيم - عليه السلام- في دعوته أم أنه في حالة لعب ولهو: "قالوا أجننتنا بالحق أم أنت

⁹⁴- سورة الأنعام، الآية 74.

⁹⁵- سورة الأنبياء، الآية 51 إلى 54.

من اللاعبين، قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين⁹⁶.

وهكذا نلاحظ أن إبراهيم-عليه السلام-يتدرج معهم في إقامة الحجة، وتحريك عقولهم لإدراك الحقيقة: "لقد كان إبراهيم ملهما في سؤاله، موقفا في استفساره، فهو كالطبيب حاول أن يتحسس الداء، ليصف الدواء، أو كالقاضي أراد أن يحملهم على الإقرار بارتكاب الجرم والإعتراف باقتراح الذنب، وهو في ذلك يضيق دائرة الجدل ويجمع أشتات الخلاف في مسألة واحدة"⁹⁷.

وانتقل إبراهيم بعد أن لاحظ إصرار قومه على التقليد الأعمى، إلى حجة عملية يكون وقعها على النفوس أكبر من الحجة القولية، حيث يرى القوم بأم أعينهم أن أصنامهم لا تملك ضرا ولا نفعا، لا تسمع دعاءهم، ولا تبصر أفعالهم: "وتا الله لأكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم"⁹⁸.

وهنا وجد إبراهيم-عليه السلام-الفرصة مناسبة ليقم عليهم الحجة العملية على عدم أحقية هذه الأصنام في العبادة: "قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن

⁹⁶ - سورة الأنبياء، الآية 55-56.

⁹⁷ - محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن (المكتبة الأموية دمشق: 1398-1978م)،

ص35.

⁹⁸ - سورة الأنبياء، الآية 57 إلى 62.

كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسكم فقالوا إنكم أنتم الظالمون، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون⁹⁹ وعضواً عن إيمانهم بالله تعالى والتخلي عن عبادة الأصنام، أصروا مرة أخرى على عنادهم، وقرروا التخلص من إبراهيم-عليه السلام-: "قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين"¹⁰⁰.

وهكذا اختاروا طريقة الحرق، لأنها أشد إيلاًماً، وأكثر إحساساً بالعذاب، وهي طريق للموت البطيء المصحوب بالألام الشديدة: "وكان البعض يرى قتله والبعض يرى إحراقه، فالقتل عقاب صارم وفوري، والجزاء الفوري له وقع أليم ودوي رادع، أما من اقترحوا الإحراق فقد رأوا فيه تعذيباً بطيئاً، فهو أشد إيلاًماً، وأكثر ردعاً لمن تسول له نفسه المساس بالهتيم"¹⁰¹.

وكانت المعجزة في نجاة إبراهيم-عليه السلام- من النار الحارقة التي ألقى فيها: "ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين، ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين"¹⁰².

⁹⁹- سورة الأنبياء، الآية 63 إلى 67.

¹⁰⁰- سورة الأنبياء، الآية 70.

¹⁰¹- رشدي البدراوى، قصص الأنبياء والتاريخ، أنترناشيونال برس (1997)، ج2،

ص 235.

¹⁰²- سورة الأنبياء، الآية 71-72.

وجادل إبراهيم-عليه السلام- عبدة الكواكب أيضا وأقام عليهم الحجة: "فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين، فلما رءا القمر رءا بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدهي ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بري مما تشركون"¹⁰³.

كما أقام الحجة الدامغة على الملك الذي ادعى الألوهية.

بناء الكعبة والوعد الإلهي:

اسكن إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل في مكة المكرمة: "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون"¹⁰⁴.
وبأمر من الله تعالى رفع إبراهيم-عليه السلام- وابنه إسماعيل-عليه السلام- قواعد البيت العتيق، وهنا تأتي دعوة أخرى لإبراهيم تخص ذريته من أبناء إسماعيل والمكان الذي توجد فيه الكعبة المشرفة: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم"¹⁰⁵ ثم يخصص الدعوة في الرسالة الخاتمة برسول من بني

¹⁰³ - سورة الأنعام، الآية 76 إلى 78.

¹⁰⁴ - سورة إبراهيم، الآية 37.

¹⁰⁵ - سورة البقرة، الآية 127-128.

إسماعيل: "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم" ¹⁰⁶.

ويمتحن إبراهيم -عليه السلام- في ذبح ابنه إسماعيل -عليه السلام- الذي رزق به بعد أن بلغ من الكبر عتيا، غير أن إبراهيم يستجيب لأمر ربه، ويسلم له إسماعيل بالأمر: "بشرناه بسلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين" ¹⁰⁷.

البشرى بإسحاق:

والغلام الحليم الذي بشر به قبل امتحانه بمسألة الذبح هو إسماعيل، وبعد اجتياز إبراهيم لهذا الامتحان بنجاح جاءت بشرى بابن ثان: "وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين، وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين" ¹⁰⁸.

وجاءت بشرى ثانية بإسحاق بعد مجيء الملائكة إليه لإخباره بالعقاب الذي سيقع على قوم لوط.

"ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف أنا

¹⁰⁶ - سورة البقرة، الآية 129.

¹⁰⁷ - سورة الصافات، الآية 101 إلى 105.

¹⁰⁸ - سورة الصافات، الآية 112-113.

أرسلنا إلى قوم لوط، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب¹⁰⁹ ووصف إسحاق في البشري بـغلام عليم في مقابل إسماعيل الذي وصف بـغلام حليم: "ونبئهم عن ضيف إبراهيم ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون، قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم"¹¹⁰.

وكانت وصية إبراهيم لذريته إتباع الرسالة السماوية والتقيد بتعاليمها: "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون"¹¹¹.

وأبطل القرآن الزعم اليهودي في انتسابهم إلى إبراهيم: "ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين"¹¹².
يعقوب وأبناؤه في مصر:

أنجب يعقوب -عليه السلام- اثني عشر ابنا و نستخلص هذا العدد من الرؤيا التي قصها يوسف على أبيه يعقوب: "إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين"¹¹³.
وقد أمر يعقوب ابنه أن يكتفم رؤياه عن إخوته حتى لا يتعرض لكيدهم، لأن يعقوب فهم من الرؤيا أن ابنه سيكون له الملك، ومن شأن ذلك أن يبعث الغيرة والحسد في نفوس بقية الأبناء، وهذا ما حدث فعلا في اتفاقهم على التخلص من

¹⁰⁹ - سورة هود، الآية 69 إلى 71.

¹¹⁰ - سورة الحجر، الآية 51 إلى 53.

¹¹¹ - سورة البقرة، الآية 132.

¹¹² - سورة آل عمران، الآية 67.

¹¹³ - سورة يوسف، الآية 4.

يوسف: "إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين" ¹¹⁴.

وانفقوا على إلقاء يوسف في قعر بئر، حيث عثرت عليه قافلة تجارية فأخذته إلى سوق مصر، وهناك اشتراه عزيز مصر، وتعرض يوسف في القصر إلى مراودة امرأة العزيز، فأبي أن ينصاع إلى شهواتها، ويخون زوجها الذي أكرم مثواه، وكانت النتيجة بعد أن ظهرت براءة يوسف-عليه السلام- أمام عزيز مصر، وأن زوجته هي الجانية أن يوضع في السجن، حيث لبث فيه بضع سنين، وكان معه سجينان رأى كلاهما رؤيا، ففسر لهما يوسف حقيقة الرؤيتين، وأوصى الناجي منهما أن يذكره عند سيده، وكان ساقيا للملك، ولم يتذكر إلى بعد أن رأى ملك مصر رؤيا أرقته ولم يجد من يفسرها له، حيث قال له السحرة بأنها اضطغاط أحلام، وفي حينها أخبر الساقى بشأن يوسف، فأرسل إليه الملك من بحضره: "وقال الملك اعتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم، قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز اللئن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين" ¹¹⁵.

¹¹⁴ - سورة يوسف، الآية 8-9.

¹¹⁵ - سورة يوسف، الآية 50-51.

وعندما ظهرت براءته أرسل إليه الملك: "وقال الملك ائتوني به أستخلصه
لنفسى فلما كلمه قال إتك اليوم لدينا مكين أمين، قال اجعلني على خزان
الأرض إني حفيظ عليم، وكذلك مكننا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث
يشاء نصيب برحمتنا من نشاء و لا نضيع أجر المحسنين"¹¹⁶.

وجرت الوقائع كما أخبر بها يوسف -عليه السلام- وجاءت سنوات القحط،
وقصد الناس مصر من كل المناطق المجاورة، وكان من ضمنهم إخوة
يوسف: "وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون"¹¹⁷.

وبعد أن استبقى أخاه الصغير عنده، ورجوعهم إلى أبيهم وعودتهم ثانية،
عرقهم يوسف حقيقة الأمر بقوله لهم: "هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ
أنتم جاهلون"¹¹⁸.

ودخل يعقوب وأبناؤه أرض مصر: "فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه
وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ورفع أبويه على العرش وخروا له
سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رعبى من قبل قد جعلنا ربي حقا"¹¹⁹.

بنو إسرائيل في مصر: لم يرد في القرآن الكريم أي حديث عن الفترة التي
قضاها بنو إسرائيل في مصر منذ دخول يعقوب وأبناؤه حتى ميلاد موسى -
عليه السلام-، غير أن هناك إشارات توضح المعاناة التي عاشها بنو إسرائيل

¹¹⁶ - سورة يوسف، الآية 54 إلى 56.

¹¹⁷ - سورة يوسف، الآية 58.

¹¹⁸ - سورة يوسف، الآية 89.

¹¹⁹ - سورة يوسف، الآية 99-100.

قبل ميلاد موسى - عليه السلام - حيث قال بنو إسرائيل لموسى - عليه السلام: "أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا"¹²⁰.

وكان مولد موسى - عليه السلام - في فترة أمر فيها فرعون مصر بقتل الأبناء، واستحياء النساء: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين"¹²¹.

وهذا الطفل الذي التقطه آل فرعون، وآثروا تربيته وتبنيه هو الذي سيرسل من الله عز وجل، ويكون عدو لفرعون وقومه: "أن ذلك الطفل الذي اختساره الله تعالى لكي يجابهم، ويحيل سعادتهم القائمة على ظلم بني إسرائيل إلى هم وغم، جزاء لما قدمت أيديهم"¹²².

وتربى موسى - عليه السلام - في قصر فرعون، وبالتالي تلقى تربية وتعليم أبناء الملوك، وخرج ذات يوم إلى المدينة فرأى شجارا بين رجلين: "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته

¹²⁰ - سورة الأعراف، الآية 129.

¹²¹ - سورة القصص، الآية 7-8.

¹²² - زاهية الدجاني، المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى وفرعون الطبعة الأولى (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية-لبنان: 1418هـ - 1998م)، ص48.

وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إته عدو مذل مبين¹²³.

وأصبح موسى بعد هذه الحادثة خائفا ويراقب ما سيحدث، ولعل أحد المصريين أبصره حين ضرب المصري فقتله خطأ، ودخل المدينة مرة ثانية وهو على حالة الترقب، فلاحظ شجارا آخر: "فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوى مبين، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس، إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين"¹²⁴.

وفي هذه المرة وصل الخبر إلى قصر فرعون، وعلم الأمر، حيث قرر فرعون وحاشيته قتل موسى فأسرع واحد من الحاشية نحو موسى -عليه السلام- يشير إليه بالهرب، ويخبره بالحكم الصادر ضده: "وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إن لك من الناصحين، فخرج منها خائفا يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين"¹²⁵.

وقصد موسى موطننا اسمه مدين، وعندما وصلها وجد أمة من الناس حول مكان الماء للساقية، ولاحظ امرأتين لا تستطيعان السقاية، وموسى كان شابا قويا فتقدم وسقا لهما فلما رجعتا أخبرتا أباهما بما وقع، فطلب منهما إحضاره

¹²³ - سورة القصص، الآية 15.

¹²⁴ - سورة القصص، الآية 18-19.

¹²⁵ - سورة القصص الآية 20-21.

ليكافئه عن صنيعه: "قالت إحداهما يا أبت استنجره إن خير من استنجرت القوي الأمين، قال إنى أريد أن أتكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج، فإن أتممت عشرا فمن عندك، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين، قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل"¹²⁶.

ولما أكمل موسى السنوات المتفق عليها قفل راجعا إلى مصر.
بداية الرسالة لموسى:

في طريق عودته رأى نارا في الجبل، فترك أهله وذهب إليها لعله يأتي منها بجدوة من النار للتدفئة، أو يجد هناك قوما حول النار يرشدوه إلى الطريق واوصى أهله بالمكوث في مكانهم: "فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله عانس من جانب الطور نارا قال لأهله أمكثوا إنى عانست نارا لعلي أتكم منها بخير أو جدوة من النار لعكم تصطلون"¹²⁷.

ولما وصل موسى إلى مكان النار التي رآها، كلمه الله عز وجل بلا واسطة: "فلما عاتاه نودي يا موسى، إنى أنا ربك فاطلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى"¹²⁸.

فأنه عز وجل اصطفى موسى بالرسالة، بمعنى أن موسى -عليه السلام- سيدخل مصر هذه المرة وهو حامل لرسالة إلهية، وسيواجه فرعون وقومه من

¹²⁶ - سورة القصص ، الآية 26 إلى 28.

¹²⁷ - سورة القصص، الآية 29.

¹²⁸ - سورة طه، الآية 11 إلى 13.

جانب، ومن جانب ثان سيطلب منه بنو إسرائيل الأدلة على رسالته، لذلك أيده الله عزوجل بمعزتين، العصا واليد البيضاء: "قال ألقها يا موسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى" ¹²⁹.

وجعل هارون عوناً لموسى في مواجهة فرعون: "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري" ¹³⁰.

دخول موسى إلى مصر:

عندما وصل موسى -عليه السلام- إلى مصر وتفتيذاً لأمر الله عزوجل توجه هو وأخوه إلى فرعون مصر، ودار الحوار بينهما وبين فرعون، أبى فرعون أن يصغى للأدلة الدامغة التي قدمها موسى -عليه السلام- بل اتهمها بالسحر، وطلب من حاشيته أن يؤتوه بالسحرة المهرة، ليبطل سحر موسى وهارون في زعمه: "فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، فأوجس في نفسه خيفة موسى، قلنا لا تخف إنا آتيناك من الأعلى، وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى، فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى" ¹³¹.

¹²⁹ - سورة طه، الآية 19 إلى 23.

¹³⁰ - سورة طه، الآية 29 إلى 32.

¹³¹ - سورة طه، الآية 66 إلى 70.

ولما أصر فرعون على كفره، بل عمل على إلحاق الأذى ببني إسرائيل، سلط الله عليه وعلى قومه أنواع من العذاب منها:

1- السنين، وهو القحط الذي أصاب أرضهم .

2- النقص من الثمرات.

3- الطوفان.

4- الجراد.

5- القمل.

6- الضفادع.

7- الدم.

حادثة الخروج:

أمر الله عز وجل موسى -عليه السلام- أن يخرج بقومه من أرض مصر، ويكون انطلاقهم في الليل حتى لا يشعر بخروجهم فرعون وقومه :
 "ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرى بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا
 لا تخف دركا ولا تخشى"¹³².

ولما علم فرعون بأمره، جمع جنده ولحق بهم، وعندما أدرکہم كانت معجزة البحر، حيث ضربه موسى بعصاه فانفلق البحر، وساروا على طريق يابس، فلما اتبعهم فرعون وجنده رجع عليهم البحر فغرقوا جميعا، ونجى الله عز وجل بدن فرعون بعد غرقه ليكون لمن خلفه آية.

¹³²- سورة طه، الآية 77.

وأخيرا أشار القرآن بأن إبراهيم ويعقوب وأبناءه وموسى وعيسى - عليهم السلام - لا علاقة لهم بالمزاعم اليهودية بل هم رسل الله دعوا قومهم إلى توحيد الله وعبادته: "وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم"¹³³.

¹³³ - سورة البقرة، الآية 135-136.

المبحث الرابع

النقد والمقارنة

1- صورة إبراهيم -عليه السلام- القرآنية تختلف اختلافا كبيرا عن صورته التوراتية، حيث وصف القرآن الكريم إبراهيم -عليه السلام- بأنه أمة لوحده، وهو واحد من أولى العزم من الرسل، وكانت النبوة في نريته من إسماعيل وإسحاق، عكس الصورة التوراتية التي قصرت ذلك على ذرية إبراهيم من إسحاق دون إسماعيل، ومن بعد إسحاق قصرت ذلك على ذرية يعقوب دون أخيه عيسو، ولابد من تسجيل الملاحظات التالية على بعض الاختلافات بين الصورة القرنية والصورة التوراتية.

أ- اسم أب إبراهيم -عليه السلام- ذكر في التوراة باسم تارح، أما في القرآن الكريم فذكر اسمه آزر، ونلاحظ هنا عدة آراء للمفسرين المسلمين في حقيقة اسم أب إبراهيم، فهناك من ذهب إلى أن آزر تعني أعرج أو خرف، وهناك من ذهب على أنها اسم صنم كان يعبده أب إبراهيم تارح وغيرها من الآراء، ولعل الدافع إلى هذه الآراء من قبل بعض المفسرين هو محاولة التوفيق بين الاسم التوراتي تارح، والاسم القرآني آزر، وكأنهم أرادوا التوفيق بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في سفر التكوين، ولهذا لجأوا إلى التأويل في اسم آزر وقد أطلق عليه في التوراة اسم تارح.

ب- حددت التوراة موطن إبراهيم الأصلي بأور الكلدانيين، وذكرت سبب مغادرة أسرة إبراهيم لذلك الموطن المتمثل في الوعد الذي قطعه الرب لإبراهيم بإعطائه أرض كنعان له ولنسله من بعده، غير أن القرآن الكريم لم

يحدد الموطن الأصلي لإبراهيم، وسبب مغادرته لموطنه الأصلي هو رفضه عبادة الأصنام، وتكسيورها إلا كبيرهم لعل قومه يستخدمون عقولهم، ويعرفوا أن هذه الأصنام هي مجرد جمادات لا تملك ضرا ونفعا، وعندما علم قومه بما فعل، جعلوه في النار، فأنجاه الله منها، وأمره ولوط ابن أخيه بالتوجه إلى الأرض المباركة.

ج- تعددت رحلات إبراهيم في الرواية التوراتية فكانت البداية من أور الكلدانيين إلى حاران، ومن حاران إلى كنعان، ومن كنعان إلى مصر، ثم الرجوع أخيرا إلى أرض كنعان، أما القرآن الكريم فقد ذكر بأن إبراهيم-عليه السلام- اسكن من ذريته في مكة المكرمة، مع إشارات نستنتج منها أن إبراهيم انتقل إلى أكثر من منطقة، مثل مجادلته لعبدة الأصنام، ومجادلته لعبدة الكواكب ومجادلته للملك الذي ادعى الألوهية.

د- التوراة ذكرت أن الذبيح هو إسحاق، أما القرآن الكريم فقد ذكر أن الذبيح هو إسماعيل، والتحريف واضح في أن التوراة قررت أن الرب أمره بذبح ابنه البكر، والبكر بشهادة النص التوراتي هو إسماعيل وليس إسحاق، والتحريف اليهودي كان الغرض منه هو تخصيص ذرية إسحاق بالوعد والبركة أو ما أطلق عندهم شعب الله المختار، لأن هذه الواقعة في نظرهم تترتب عليها بركة الرب لإسحاق وذريته.

هـ- تزعم الدراسات التوراتية أن إبراهيم-عليه السلام- هو الأب الأول لليهود، وهو المؤسس الأول للكيان اليهودي، والقرآن الكريم يرفض هذا الادعاء ويبين بأن إبراهيم لم يكن أبدا يهوديا، بل كان في مقابل ذلك حنيفا

مسلمًا، وأن الذي ورثه في الحنيفية السمحة هو الرسول الخاتم-محمد-صلى الله عليه وسلم-.

2- تتفق كلا من القصتين القرآنية والتوراتية في أن موسى-عليه السلام- ولد في فترة كان فرعون مصر أمر فيها بقتل كل مولود، لكن تختلف الصورة القرآنية عن التوراتية في مولد موسى-عليه السلام- حيث نكرت التوراة أن الأم خبأت ولدها ثلاثة أشهر، فلما رأت أنها لا تستطيع أن تحتفظ به أكثر من ذلك أخذت له سقطا من البردي ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، وبقيت أخته تراقبه من بعيد، حتى رأت ابنة فرعون تأخذه، وتم كل بسلك بالاجتهاد الذاتي لأم موسى، أما القرآن الكريم فبين أن كل ما حدث لموسى في مولده كان بإلهام من الله عز وجل أي أن الله تعالى ألهم أم موسى أن تلقيه في اليم إذا خافت عليه، ووعدها برده إليها ليطمئن قلبها.

3- قررت التوراة أن موسى قتل المصري عمدا بحيث نظر هنا، وهناك وعندما تأكد بأن لا أحد يراه، أقدم على قتل المصري ودفنه في الرمل، أما القرآن الكريم فيبين أن القتل كان عن طريق الخطأ ولم يكن متعمدا في ذلك.

4- تذكر التوراة أن الرب أيد موسى بمعزتي العصا واليد، وأضاف معجزة ثلاثة وهي الماء الذي يصير دما، ولا تكون إلا إذا لم يصدق بنو إسرائيل معزتي العصا واليد، ويختلف القرآن الكريم عن التوراة في أن الله تعالى أيد موسى بمعزتي العصا واليد، والقصد من ذلك إقامة الحجة على فرعون وقومه ولم تكن خاصة ببني إسرائيل.

5- بينت التوراة أن بني إسرائيل خرجوا من مصر بعلم فرعون وإذنه خاصة بعد الضربات التي سلطها الرب عليهم، بينما يذكر القرآن الكريم أن بني إسرائيل خرجوا في أثناء الليل.

جامعة الأمير

الفصل الثاني

الإقليم الإسرائيلي

الإسلامية

المبحث الأول

تسميات الإقليم وشعوبه

1- تسميات الإقليم:

أطلقت عدة تسميات على الأرض الممتدة من جنوبي سورية وشرقي البحر الأبيض المتوسط، ويأتي في مقدمة هذه التسميات من ناحية الأقدمية اسما: خارو للجزء الجنوبي، ورتينو للجزء الشمالي، والتسمية من إطلاق قدماء المصريين¹.

غير أن أشهر الأسماء تنحصر في: كنعان، فلسطين، إسرائيل.

أ- أرض كنعان:

تعتبر هذه التسمية من أقدم أسماء تلك الرقعة الجغرافية، والنسبة فيها إلى كنعان، فمن يكون كنعان هذا، وفي أي مصدر ورد اسمه، ونسبت الأرض إليه؛ هذا الاسم ورد في أسفار العهد القديم كاسم أحد أحفاد نوح -عليه السلام-: "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث، وحام أبو كنعان"². والتساؤل الذي يطرح لماذا خص هذا النص التوراتي كنعان بالذكر دون بقية الأحفاد، يجيب على هذا التساؤل أحد شراح الكتاب المقدس: "وخص الوحي هنا كلا من حام وكنعان مع أنه أصغر أبناء حام تنبيها لما سيذكر في الأعداد القادمة عن خطية حام، وعن اللعنة التي حاقت بكنعان ولكي يعرف موسى

¹ - ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، الطبعة السادسة (دار النفائس: بيروت -لبنان 1413هـ، 1992م)، ص 15.

² - سفر التكوين، الإصحاح 9، الفقرة 18.

وشعبه بأصل الكنعانيين الأشرار الذين كانوا سيتعرضون لمواجهتهم ومحاربتهم فيما بعد³.

فأولا ما هي خطيئة حام، وثانيا لماذا يتحمل كنعان وزرهما، فالخطيئة تتمثل في إيصار حام لعورة أبيه نوح أثناء سكره حسب الرواية التوراتية: "وابتدا نوح يكون فلاحا وعرس كرما، وشرب من الخمر فسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمرة علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبدا لهم، يفتح الله ليافت في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم"⁴.

وهناك نقاط ضعف في هذه القصة أجملها أحد الباحثين في الآتي:

- 1- أن الذي أبصر عورة أبيه نوح هو الابن الصغير، وحام ثاني أبناء نوح وليس أصغرهم.
- 2- الإبن الذي أبصر عورة أبيه هو حام، لكن اللعنة كانت من نصيب كنعان، لأن الشعب الذي استعبده بنو إسرائيل تاريخيا كان القبائل الكنعانية وليس كل أبناء حام.

³ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس سفر التكوين، ص 116.

⁴ - سفر التكوين، الإصحاح 9، الفقرات من 20 الى 27.

3- كنعان لم يكن الإبن الوحيد لحام ، بل كان الأصغر من بين الأبناء الأربعة فلا يوجد مبررا لإنزال اللعنة بكنعان وحده بسبب ذنب حام⁵.

إلى جانب هذا هناك ملاحظة أخرى على النص التوراتي السابق جديرة بالتسجيل، متمثلة في تحديد فترة وجود الكاتب، فلا مجال للشك أن هذا الكاتب كانت له معلومات مسبقة عن الصراع المرير بين الإسرائيليين والفلسطينيين حسب روايات العهد القديم التي وقعت في فترة يشوع بن نون وامتدت إلى زمن السبي والشتات لقبائل بني إسرائيل، وهذه المعلومات السالفة الذكر تدل دلالة قاطعة أن الكاتب كان في زمن السبي والشتات فحاول إلحاق اللعنة بالكنعانيين على لسان نوح، في قصة أسطورية لعب فيها الخيال الدور البارز، حيث نسب إلى نبي بار شرب الخمر والتعري، وقد صورته القرآن الكريم بالعبد الشكور : "وآيتنا موسى الكتاب هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا"⁶.

هذا فيما يخص اسم كنعان، أما الأرض المنسوبة للاسم فقد ذكرت أولا في العهد القديم في عدة مواضع منها:

1- وردت في عهد الرب لموسى :

"وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلا، اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي

⁵- كمال صليبي، خفايا التوراة، الطبعة الثانية (دار الساقي: 1991)، ص 72-73

⁶- سورة الإسراء ، الآية 2.

أعطيتها لبني إسرائيل ملكا، ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك
كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه⁷.
2- في حروب بني يهوذا :

"وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب
والسهل، وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين في حبرون"⁸.
ونكرت في حفريات تل العمارنة⁹ باسم كيناهاي أو كيناها، واصل هذا الاسم
كنعان، وشمل هذا الاسم المنطقة الواقعة غربي نهر الأردن¹⁰.

والمدن الكنعانية تعرضت للزوال منذ وقت مبكر، ولم تظهر مدن كنعانية
جديدة إلا مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد: "وقد أخرجت لنا حفائر كفر الجرة
وثيقة أثرية من الطراز الأول في الأهمية بالنسبة لتاريخ الألف الثانية، وهذه
الوثيقة تعرفنا بالتأثيرات السائدة حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد في

⁷ - سفر التثنية، الإصحاح 31، الفقرات 48-49.

⁸ - سفر القضاة، الإصحاح 1، الفقرة 9.

⁹ - رسائل العمارنة عبارة عن سلسلة من اللوحات مكتوبة باللغة البابلية بحروف
مسمارية موجهة إلى ملوك مصر أمينوفيس الثالث 1405، 1370 ق.م، وأمينوفيس الرابع
1370، 1352 ق.م مرسله من الحكام الذين تولوا باسم الملكين حكم سوريا وفلسطين أو
مرسله من ملك أشور وبابل أو من بعض أمراء آسيا الصغرى، وكل هذه الممارسات
حففتها لنا دواوين الفراعنة إلى أن اكتشفت في تل العمارنة في مصر العليا و كانت
العمارنة عاصمة الإمبراطورية المصرية في ذلك العصر. ج. كوتتو، الحضارة الفينيقية،
ترجمة محمد الهادي شعيرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1997)، ص 70.

¹⁰ - ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 16.

ضواحي مدينة من مدن فينيقية الجنوبية هي مدينة صيدا ، فترينا كيف طرأ على الطابع الكنعاني الأصيل فرعان من التأثير : مصري و إيجي¹¹ .
 أما عن العلاقة التي تربط المدن الكنعانية ببعضها آنذاك فيبدو أنه كان لكل مدينة حاكمها الخاص: "ولا نعرف من الحياة في أرض كنعان في تلك الفترة إلا أقل القليل، فلم تكن في البلد حكومة مركزية، وكانت كل مدينة تتمتع بالاستقلال ولها حاكمها الخاص، وكانت تسيطر على ما حولها من مناطق ريفية على نحو ما كان عليه في بلاد بين النهرين"¹² .

غير أن هناك إشكالا يطرح في هذا المجال، يتعلق بالعلاقة التاريخية بين كنعان وفينيقيا، فهناك رأى له قيمته العلمية يقرر بأن كنعان هي فينيقيا، والكنعانيون هم الفينيقيون، ولم يستعمل الإسمان للدلالة على مفهوم أوسع نطاقا إلا في عصر متأخر¹³ ، وبتعبير أدق فإن كنعان جزء من فينيقيا أي تقع ضمن ترابها الجغرافي، غير أن التأثير الكنعاني قياسا بالشعوب الأخرى التي سكنت المنطقة يحتل الصدارة: "واسم كنعان كان يطلق في الألف الثانية على البلاد الداخلية وكل فينيقيا، وكان ينزلها عناصر سامية مختلفة أنضاف إليهم الحيثيون المهاجرون من آسيا الصغرى ثم الحوريون، ونحن نثبث آثار الحوريين هؤلاء

¹¹ - ج. كونتو، الحضارة الفينيقية، ص 40.

¹² - كارين ار مسترونج، القدس، ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني (1998)، ص 23.

¹³ - سبتيو موسكاتي، الحضارات السامية، ترجمة السيد يعقوب (الهيئة العامة للكتاب:

1997)، ص 89.

إلى البحر الميت ، وكان النفوذ الكنعاني صاحب الصدارة في طوال النصف الأول من الألف الثانية-عصر الهكسوس¹⁴.

فالبرغم من الإقرار السابق لكونتو أن كنعان جزء من فينقيا حاول التفريق بين فينقيا وفلسطين التي اعتبرها مملكة إسرائيل، وكأنه يقدم المجاملة للإسرائيليين المعاصرين أو وقوعه تحت تأثير الدراسات التوراتية: "وخط حدودها في العصر الذي تتوفر فيه الوثائق أي في الألف الأولى قبل الميلاد كما يلي: آخر مدينة في فينقيا من الجنوب هي صور، وآخر حدها يلاصق من الجنوب بلاد الفلسطينيين PHILISTIE أي مملكة إسرائيل، ومن بعد ذلك من الجنوب تقع مملكة يهوذا JUDA ومن وراء ذلك حد الصحراء بمنطقة النقب NEQEB ثم موقع قادش بارنيا GADESH.Barnea وسينا مصر¹⁵.

فهذا النص وردت فيه مغلطات تاريخية أوجزها في الآتي:

1- الوثائق التاريخية المتعلقة بكنعان ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد، أما الوثائق الراجعة إلى الألف الأولى قبل الميلاد فهي معلومات واردة في العهد القديم خاصة في أسفار القضاة وصموئيل الأول والثاني وملوك الأول والثاني وهذا يدل دلالة قاطعة أن كونتو قرر الرواية الإسرائيلية الخاصة بأرض كنعان.

14- ج. كونتينو، الحضارة الفينيقية، ص 39.

15- المرجع نفسه، ص 39.

2- الحدود الجغرافية التي قدمها، تخرج منطقة كنعان من أرض فلسطين، وفلسطين هي كنعان تاريخياً، وأطلق في مقابل ذلك على المنطقة الحقيقية لكنعان اسم مملكة إسرائيل وهذه مغالطة تاريخية أيضاً.

وأحيانا أطلقت تسمية سوريا لتشمل المنطقة بكاملها: "وقد ضمت هذه المنطقة الساحلية سوريا وفلسطين ولبنان وعاشت فيها شعوب مختلفة من بينها الكنعانيون و الأراميون والفلسطينيون والعبريون وغيرهم، ونظرا لصعوبة فصل تاريخ هذه الأقاليم والشعوب أطلق عليها أحيانا اسم سوريا ليكون اسما جامعاً لكل الأقاليم المحصورة في الجنوب وهضاب الأناضول في الشمال، والصحراء العربية، وما بين النهرين في الشرق والبحر المتوسط في الغرب¹⁶.

وهناك بعض الباحثين من يطلق على القسم الجنوبي كنعان، والشمال سوريا: "إن جوار البحر المتوسط، وارتفاع سلاسل لبنان تطبعان بطابع المنطقة التي هي امتداد لصحارى بلاد العرب نحو الغرب: كنعان في الجنوب، وسوريا في الشمال¹⁷.

وهناك من أطلق اسم سوريا على كل المملكة الآشورية: " وكذلك اسم سوريا وهو اختصار لكلمة آشور ASSYRIA أطلقه اليونانيون أولاً على كل الإمبراطورية الآشورية من القوقاز حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ثم

¹⁶ - محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته (دار قباء 1998)، ص 216-217.

¹⁷ - أندريه إيمان، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، نقله إلى العربية فريد داغر وفؤاد أبو ريحان الطبعة الثانية (1986)، ج 1، ص 255.

انكمش حتى أصبح يطلق على هذا الجانب من الفرات وأخيراً أطلق على المنطقة المذكورة حدودها في الأسطر السابقة، ويسار هذه المنطقة هو الحقيقة الطرف الشمالي أو الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية الكبرى التي يسمون القسم الشمالي بلاد اليمن، والمقصود اليمين¹⁸.

ب- فلسطين:

هذا الاسم من اسم الشعب الذي سكن المنطقة وهم الفلسطينيون: "أما اسم بالستين PALESTINE، الذي عرّبه العرب فنطقوه فلسطين، فهو مشتق من اسم الشعب الذي كان يسكن السهول الشمالية والجنوبية من فلسطين، ويسمى الفلسطينيون، ولعل أول إشارة إلى هذا الاسم بلاستو PLASTU الذي أطلقه الملك الآشوري أداد نيراري الرابع ADADNIRARI VI¹⁹".

وقد ورد ذكر الفلسطينيين في عدة مصادر قديمة، منها المصادر المصرية القديمة حيث أطلقوا على المنطقة اسم "بلستو" أو "بالستو" أما المؤرخ هيرودوت فقد أطلق اسم فلسطينيا PHILISTA، وكانت تضم المنطقة مدن ساحلية وأخرى داخلية مثل: اشدود، عسقلان، غزة، عقرون، جات، اللد²⁰.

ويذكر جورج آدم سميث أن اسم الفلسطينيين ترجم في الترجمة السبعينية "بالوفولو" ALLOPHOLOL، وهي تعني الأجانب، وفي النقوش الفرعونية أطلق عليهم بيوراساتي، وعند الآشوريين بوليستاف، وأن المكان الأصلي لهم

¹⁸ - جورج آدم سميث، الجغرافيا التاريخية للأرض المقدس، ص 22.

¹⁹ - ظفر الإسلام خان تاريخ فلسطين القديم ص 25.

²⁰ - كيث وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة، ترجمة سحر الهندي (عالم المعرفة - الكويت:

1999)، المقدمة للمترجمة، ص 18.

منه فهو مصر، وكفتور في رأي البعض الآخر، ولا يمكن أن تكون مصر وكفتور منطقة واحدة²¹. ويذهب البعض الآخر أن موطنهم الأصلي جزيرة كريت ومن ثم يطلق عليهم اسم الكريتيين "كما أن الفلسطينيين يسمون أيضا كريتيين والصلة بين مصر وكريت كانت دائما قريبة وهناك أقوال قديمة تثبت أن هناك ارتباطا بين الفلسطينيين والكريتيين فيبدو الأسلم أن كفتور هي تلك الجزيرة"²².

وتذهب بعض الدراسات إلى الزعم بأن العنصر الفلسطيني من شعوب البحر الواقعة على المنطقة قبيل غزو بني إسرائيل لها، فعندما كان يهجم الإسرائيليون بالاستقرار في تلك الأرض وقع هجوم عظيم على السهول الشمالية لأرض فلسطين من قبل شعب الشمالي الذي يطلق عليه الفلسطينيون²³.

ولابد أن أشير هنا بإيجاز إلى حقيقة شعوب البحر وهل تنطبق مواصفاتها على الشعب الفلسطيني كما زعم أصحاب هذا الرأي: "من المعروف أن الكتب المتخصصة في تاريخ المشرق العربي العتيق تربط الاسم فلسطين بأحد أقوام ما يعرف تقليديا باسم شعوب البحر، والتي فهم من النقوش المصرية أنها قامت بغزو الإقليم قرب نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وقد قرأ علماء تاريخ مصر

²¹- جورج أند سميث، الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة، ص 138.

²²- المرجع نفسه، ص 118.

²³- ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين، ص 67.

القديم نقوشاً تعود إلى رمسيس الثالث (1193-1162 ق.م) وفهموا منها بأن مصر تمكنت تحت قيادته من دحر شعوب البحر هذه²⁴.

ولا يمكن بحال اعتماد هذا الاسم الوارد في النقوش المصرية على أن هذه الشعوب وافدة على المنطقة من وراء البحر، وليست من السكان الأصليين الذين هاجموا مصر برا كما هاجموها بحرا أي عن طريق السواحل، وكذلك لا يمكن تعميم هذا الاسم على الشعوب التي سكنت تلك الأرض وربطها بما ورد في تلك النقوش: "قي رأينا أن التعرف على شعوب البحر، وما تقصده النقوش المصرية به، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أنه ليس اسما وإنما مصطلح، وأن التعبير المصري القائل بأنهم العدو الآتي من الجزر الواقعة في وسط البحر يستخدم أيضا للدلالة على السواحل بما قد يعني أن المقصود هنا أقوام من داخل الإقليم"²⁵.

وهناك رأى آخر يحاول صاحبه التأكيد على تأخر دخول الفلسطينيين الأرض عن غزو بني إسرائيل لها: "ويرى بعض المؤرخين وعلى رأسهم العالم برايت أنهم غزوا أرض فلسطين ربما بعد غزو إسرائيل بقليل، وعاشوا مع إسرائيل جنبا إلى جنب، لكن في احتكاك من حين إلى حين في البداية، ولكن هذا

²⁴ - زياد منى، المقدمة في تاريخ فلسطين القديم، الطبعة الأولى (بيسان للنشر والتوزيع والإعلام - لبنان: 2000م)، ص 45.

²⁵ - المرجع نفسه، ص 50.

الاحتكاك احتدم جدا طول عصر القضاة، ووصل بهم الأمر إلى مهاجمة إسرائيل بتخطيط منظم بغرض الإبادة، وألحقوا بها خسائر فادحة²⁶.

ونلاحظ الانحياز الواضح لصاحب هذا الرأي إلى جانب بني إسرائيل لإضفاء الشرعية التاريخية على امتلاكهم الأرض المقدسة، وقد فات أصحاب هذا الاتجاه بأن أسفار التوراة فيها ما يفند زعمهم هذا، وسأورد بعض الفقرات:

1- "وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياما كثيرة"²⁷.

2- "وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين"²⁸.

3- "وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان"²⁹

وهذه فقرات من نصوص العهد القديم أوردتها على سبيل المثال لا الحصر وهي تدل على:

أ- أن إبراهيم -عليه السلام- وجد في تلك الأرض الفلسطينيين، وهذا يعني أن الفارق الزمني بين وجود الفلسطينيين ودخول بني إسرائيل تلك الأرض على أقل تقدير سبعة قرون.

ب- في النص الأول ورد لفظ غربة إبراهيم منسوبا إلى الفلسطينيين، وفي النص الثالث ورد منسوبا إلى كنعان، وهذا يعني أن الاسمين مترادفان حتى ولو فرضنا المغايرة بين الفلسطينيين والكنعانيين فلا شك من وقوع الانصهار

²⁶- متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 67.

²⁷- سفر التكوين، الإصحاح 21، الفقرة 34.

²⁸- سفر التكوين، الإصحاح 21، الفقرة 1.

²⁹- سفر التكوين، الإصحاح 37، الفقرة 1.

الكامل بين الشعبين خلال فترات زمانية سابقة عن ظهور عنصر العبرانيين في تلك الرقعة الجغرافية: "ولا مجال للشك في أن عرب فلسطين اليوم هم أخلاف الكنعانيين واليبوسيين والفلسطينيين الذي صمدوا في الأرض رغم كل الطغيان اليهودي والغزوات الخارجية المستمرة"³⁰.

وامتدت المصاهرة بين الشعبين حتى شملت الكثير من الجوانب الدينية حيث عبدوا نفس الآلهة مع احتفاظ الفلسطينيين بطابعهم العسكري المتميز. وأخيراً نقرر بأن الفلسطينيين ليسوا غزاة للأرض، بل سكانها الأصليون، وكل الآراء التي قيلت في طروئهم على المنطقة ليس سند علمي.

وإتماماً للفائدة العلمية نذكر بعض الآراء الغربية حول الموطن الأصلي للفلسطينيين حيث ذهب "هول" أنهم جاؤوا من زاوية جنوب غرب آسيا، وموطنهم الأصلي كان في لسيا وكاريا، بينما يقرر "بونفانث" أنهم شعب هند وأوربي من كريت، أما "وينرايت" فيبين بأنهم من كفتور، ويذهب "جيمس هنرى برستد" أن أصلهم من جزيرة كريت، بينما قرر سير ألن جاردنر أنهم "الكفتوريون" الذين غزوا ساحل فلسطين.³¹

كما وردت تسمية متأخرة أطلقها اليهود وهي أرض إسرائيل، وسأورد مدلولها في مبحث لاحق.

³⁰- ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 29-30

³¹- محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 538.

الشعوب التي سكنت الأرض:

تعددت الشعوب التي سكنت تلك المنطقة نتيجة لموقعها الاستراتيجي من ناحية، وعدم التماسك بين مدنها من جانب ثان، وهذان العاملان شجع سكان المناطق المجاورة على غزوها خاصة وأنها تقع بين مركزين حضاريين كبيرين، حضارة ما بين النهرين والحضارة المصرية، ويمكن تحديد أقدم وأكبر الشعوب التي سكنت المنطقة في الكنعانيين والفلسطينيين ، وفي مرتبة ثانية الآراميين والحثيين، وفي الأخير الشعب العبراني.

أ-الكنعانيون:

أصل كلمة كنعان ليست من استخدام العهد القديم وحده كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين: تسمى التوراة المنطقة المكونة من فلسطين وفينيقيًا كنعان وتسمى سكانها الكنعانيين، ومن ثم تعارف العلماء على إطلاق اسم الكنعانيين على أسلاف إسرائيل وجيرانهم الساميين الذين استوطنوا الظهير HINTERLAND السوري، مع استثناء للآراميين³².

فأصل الكلمة عرف في حضارات قديمة خاصة في الحضارة المصرية القديمة في رسائل العمارنة، ونستنتج من هذا أن مؤلفي أسفار العهد القديم استعاروا الاسم من الشعوب التي كانت محيطة بالمنطقة ولم يكونوا أصحاب السبق في ذلك، وسأورد هذا الاسم كما ورد عند تلك الشعوب:

1-الاسم الآكدي: كناعي أو كناعي ويعني اللون الأحمر الأرجواني، وقد

ظهر في رسائل تل العمارنة.

³²- سبتيو موسكاتي، الحضارات السامية ص 89، 33.

2- الاسم المصري: بي-كنعان PEKANAN للدلالة على المناطق الجنوبية والغربية من سوريا.

3- الاسم الكنعاني: ويؤكد هذا نص الملك أدريمي ملك اللاخ وهي الكلمة الكنعانية الأمورية.

4- الاسم العبري: وتعني في اللغة العبرية بلاد الأرجوان أو منخفض، وعندما يطلق عل السكان يعني سكان الأرض المنخفضة.

5- الاسم الحوري: مشتق من كناعي أي الصبغة الأرجوانية³³.

وقد ظهرت الكثير من الآثار التي كشفت عن هذا العنصر الكنعاني وصارت مصدرا رئيسيا في دراسة هذا الشعب ليبطل بذلك الاعتقاد الذي كان سائدا في الدراسات الغربية والمتمثل في أن أسفار العهد القديم تعد المصدر الوحيد في الدراسة.

ويذهب المؤرخ "هيرودوت" أن الكنعانيين وفدوا على المنطقة في الألف الثانية قبل الميلاد: "وقد اختلف المؤرخون في دخول الكنعانيين إلى المنطقة، وفي المواطن التي قدموا منها، وأما عن تاريخ الدخول، فإن "هيرودوت" حوالي (430-484 ق.م) إنما يرى -على لسان علماء صور- أنهم قدموا إلى فلسطين في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، بل لقد أثبتت الحفائر أن هذه الهجرة الكنعانية أقدم من هذا التاريخ بكثير، ذلك لأن مدن أريحا ونيسان ومجدو، أسماء سامية، وأنها كانت موجودة قبل عام 3000 ق.م، هذا فضلا عن

³³ - خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، الطبعة الأولى (دار الشروق-الأردن:

2001م)، ص 12-13.

أن هناك مدن أخرى قد كشف عنها، وهي مدن كنعانية ترجع إلى نفس العهد، وربما قبله بنصف قرن، وإن كان هناك من يرجعها إلى عام 2500 ق.م.³⁴ والكنعانيون قدموا إلى المنطقة عن طريق شبه الجزيرة العربية: "وأن الكنعانيين قوم ساميون وليسوا حاميين كما أراد سفر التكوين أن يجعلهم وأنهم قدموا من شبه الجزيرة العربية، سواء من شرقها أو شمالها أو حتى من جنوبها، وسكنوا فلسطين، وأقاموا بها حضارة راقية، كذلك فإن جزءا من الكنعانيين إنما قد انتقلوا إلى الساحل السوري للبحر المتوسط، حيث عرفوا هناك بالفينيقيين، وهم بهذا يمثلون -على هذه الصورة - امتدادا كنعانيا نحو الساحل"³⁵.

ومن الصعب تحديد الصورة الدقيقة للحالة الدينية الكنعانية ويرجع ذلك إلى تعدد المصادر التي تعتمد في البحث عن حقيقة الديانة الكنعانية وتعارضها في كثير من الأحيان: "كما أن المشكلة التي تصادفنا في معالجة المثلوجيا الكنعانية تكمن في تنوع وتباين مرجعياتها فهناك شذرات منها في العهد القديم وهناك ما دونه الإغريق والرومان عن التراث الروحي الكنعاني وهناك المادة الأثرية لمدن كنعان في صور وقبرص وقرطاج وغيرها، وأخيرا ذلك الكنز الأوغاريتي من الألواح الطينية الأشد عراقا وقدماء، والذي بدأ بالظهور منذ عام 1829 على يد المنقبين والآثاريين"³⁶.

³⁴ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 478-479.

³⁵ - المرجع نفسه، ج2، 481.

³⁶ - خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 59.

والملاحظة الجديرة بالتسجيل تتمثل في عدم الوثوق بالمادة التي أوردها كاتبو أسفار العهد القديم حول الجانب الديني للكنعانيين، وذلك أنهم دونوا معلوماتهم بروح عدائية راجعة إلى صراعهم الطويل والمرير مع الشعب الكنعاني.

ب- الفلسطينيون:

تكاد تخلو الدراسات الغربية المتخصصة للشرق الأدنى القديم من ذكر تاريخ الشعب الفلسطيني، وفي مقابل ذلك إبراز الدور العبري في المنطقة: "وهذا الإهمال مقصود لذاته بسبب سيطرة المؤرخين اليهود والصهاينة على مجال الكتابة التاريخية عن فلسطين، ولذلك فقد اخرجوا تاريخ الشعب الفلسطيني القديم من دائرة البحث كـشعب من شعوب الشرق الأدنى القديم مركزين على دراسة تاريخ العبريين"³⁷.

ويحاول بعض الباحثين الزعم بأن الشعب الفلسطيني من "شعوب البحر" التي وفدت على المنطقة في فترة زمنية متأخرة: "عرف الفلسطينيون عبر الكتابات المصرية بأنهم "شعوب البحر" الذين حاولوا مع الجكير LESTJEKKER، والشكس LES DENYEN والشوش LESWESHSH اقتحام مصر، لكن زحفهم توقف عند رعسيس الثالث "حوالي السنة 1175 ق.م" أوقف زحف هذه الشعوب ولكنها لم تدمر فاستوطنت شواطئ المتوسط، وهكذا استوطن الفلسطينيون الساحل بين غزة وبيافا"³⁸

³⁷ - محمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 268.

³⁸ - اندريه لومير، تاريخ الشعب العبري، ترجمة انطوان هاشم، الطبعة الأولى (دار

عويدات - لبنان)، ص 21.

ويحاول الكتاب الغربيون استبعاد وجود العنصر الفلسطيني في تلك الأرض في عصور سابقة لغزو بني إسرائيل لتلك المنطقة: "ويبدو أن الفلسطينيين قد أتوا إلى السهل الساحلي لبلاد الشام إما مباشرة أو بعد ترك الإسرائيليين مصر ، فلم يذكر عنهم شيء في البيانات الآتية من جنوب فلسطين في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد في تل العمارنة، وفي النصف الثاني من ذلك القرن وجدت آثار رمسيس الثاني رسوم أهلي عسقلان على غير هيئة وجوه الفلسطينيين بل ربما كانوا حينئذ "39.

وهذا الرأي الذي قرره جورج آدم سميث لا يستند إلى دليل تاريخي بل أن نصوص العهد القديم قد دلت على اسم الفلسطينيين زمن إبراهيم - عليه السلام - فكان عليه وهو الباحث الكتابي أن يقف أولاً عند النصوص التوراتية، هذا من جانب، ومن جانب ثان إذا انتقل إلى المجال التاريخي لا يعتمد على مقارنات شكلية للرسوم الواردة في آثار رمسيس الثاني، بل يحاول إثبات أن الشعب الفلسطيني من شعوب البحر الواردة في الكتابات المصرية وذلك ما لا يستطيعه.

وقد رد كيث وايتلام وهو من الباحثين المختصين على هذه الدراسات التي تزعم العلمية ، وبين الخلفيات الفكرية لأصحابها: "ولكنهم جميعاً يرفضون بثبات استعمال تعبير الفلسطينيين للدلالة على المكان حتى أن استعملوا تعبير فلسطين للدلالة على أشياء جامدة مثل المكان المادي والاقتصاد، إن رفض استعمال صفة واحدة لنعيت سكان المنطقة هو إذن إنكار للوجود والتاريخ

39- جورج آدم سميث ، الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة، ص 140.

الفلسطيني، ولهذا فإن فلسطين توصف على أنها منطقة صغيرة وفقيرة ومعزولة، ثم يتغير الوضع وتصبح فلسطين مرموقة فقط بسبب الوجود التاريخي لإسرائيل فيها، وعلى هذا فإن الدراسات التوراتية متورطة في تجريد الفلسطينيين من وطنهم⁴⁰.

ج- الحثيون:

هذا الاسم ورد في أسفار العهد القديم التي ذكرت بأن بني إسرائيل وجدوهم عند غزوهم لأرض فلسطين: "ثم قال يشوع لبني إسرائيل تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلهكم، ثم قال يشوع بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم وطردها يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين"⁴¹.

وتذهب أسفار العهد القديم إلى اعتبار حتى أحد أبناء كنعان: "وكنعان ولد صيدون بكر وحثا واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعرقى والسيني والأورادي والصماري والحماتي، وبعد ذلك تفرقت قبائل كنعان"⁴².

وقد طلب إبراهيم عليه السلام من الحثيين أن يعطوه مكانا يدفن فيه زوجته سارة "فأتى إبراهيم ليندب سارة و يبكي عليها، وقام إبراهيم من أمام ميتة وكلم بني حث قائلا أنا غريب ونزير عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي أمامي، فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له، اسمعنا يا سيدي أنت رئيس

⁴⁰ - اختلاق إسرائيل القديمة، ص 92.

⁴¹ - سفر يشوع، الاصحاح 3، الفقرات 9-10.

⁴² - سفر التكوين، الاصحاح 10، الفقرات من 15 إلى 18.

من الله بيننا، في أفضل قبورنا أدفن ميتك، لا يمنع أحد منا قبره حتى لا تفدن ميتك، فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث⁴³.

وقد ورد اسم الحيثيين كذلك في الوعد الذي ذكرته أسفار العهد القديم لإبراهيم -عليه السلام- المتعلق بالأرض التي يعطيها الرب لنسله: "في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين"⁴⁴.

والنسبة الحقيقية للحيثيين هي "حاتى" وقد وصل الأستاذ "جرنى" بعد استعراضه لأهم الدراسات الأثرية المتعلقة بالحيثيين إلى النتيجة التالية: "رأينا كيف أن البحث عن الحيثيين قادنا من فلسطين عبر سوريا حتى تم الكشف سنة 1907 عن عاصمة "بلاد حاتى" في بوغازكوى شمال آسيا الصغرى"⁴⁵ أما عن بلاد "حاتى" فكانت من الإمبراطوريات القديمة في الشرق القديم: "وبلاد حاتى التاريخية كما نعرفها في الألف الثانية قبل الميلاد كانت دولة ثم إمبراطورية أنشأها ملوك يحكمون من هذه القلعة الجبلية ، وقد أصبحت هذه المملكة معروفة كما عرفت لغتها باسم حيثية HITTITE ويجب الآن أن نقبل هذه التسمية"⁴⁶.

⁴³ - سفر التكوين، الإصحاح 23، الفقرات من 2 إلى 7.

⁴⁴ - سفر التكوين، الإصحاح 15، الفقرات من 18 إلى 20.

⁴⁵ - جرني، الحثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد (الهيئة المصرية العامة للكتاب:

1997)، ص 36.

⁴⁶ - المرجع نفسه، ص 38.

أما عن علاقة الحثيين بأرض فلسطين فينسبها بعض الباحثين إلى سقوط دولة "حاتى": "وأما عن علاقة الحثيين-أو على الأصح حاتى- بفلسطين، فإنني أميل على أنها لم تبدأ إلا بعد نهاية دولة حاتى في آسيا الصغرى على أيدي شعوب البحر، وتفرقت سكانها في جهات مختلفة من سورية وفلسطين، ذلك لأنه قبل حكم العاهل الحثي "شوبيلوليوما" 1305-1375 ق.م، لم تكن هناك أية دولة حثية جنوبية جبال طورس"⁴⁷.

أما فيما يخص العنصر العبري فسأتطرق إليه بالتفصيل في مبحث تال.

⁴⁷-محمد بيومي مهران، بنو اسرائيل، ج2، ص536.

المبحث الثاني

الإقليم في العهد القديم

1- غزو بني إسرائيل لأرض كنعان:

بعد وفاة موسى -عليه السلام- تسلم يشوع⁴⁸ بن نون قيادة بني إسرائيل، وأمره الرب أن يعبر ببني إسرائيل الأردن لكي يأخذ الأرض التي وعد موسى -عليه السلام- بامتلاكها: "وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً، موسى عبدي قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحِيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ، ولا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك، تشدد وتشجع لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لأبائهم أن أعطيهم"⁴⁹.

⁴⁸- يشوع اسم عبري معناه (يهوه خلاص) واسمه في الأصل هوشع ، يهوشوع ، ثم دعاه موسى يشوع، خليفة موسى، وابن نون من سبط فرايم ولد في مصر وكان أولاً خادماً لموسى، ذكر أولاً عند معركة رافدين، لأن موسى كان وقتئذ قد عينه لقيادة بني إسرائيل، وكان عمره آنذ 44 سنة وبعد ذلك تعين جسوسا لسيطه. قاموس الكتاب المقدس، ص 168.

⁴⁹- سفر يشوع، الاصحاح 1، الفقرات من 1 إلى 6.

وبين هذا النص الحدود التي سيملكها بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون، من الجنوب برية سيناء، ولبنان من جهة الشمال، والفرات في الناحية الشرقية ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ثم خص أرض الحثيين حيث أنهم كونوا لهم دولة عظمى في أرض كنعان تضاوي مصر وأشور وبابل⁵⁰.

والمأمل في حدود الأرض التي أمر يشوع بالسيطرة عليها يستنتج أن كاتب السفر استمد مادته من وقائع متأخرة: "وهنا يجب أن نلاحظ أن الموقف لم يكن أبدا كما صورته التوراة بأن يأخذ الإسرائيليون المنطقة من البرية ولبنان إلى نهر الفرات، وإنما كان عبور الأردن إلى ضفته الغربية فحسب ولعل الخلط والتوسع في التحديد إنما كان متأثرا بما كان من وقائع متأخرة"⁵¹.

فسفر يشوع الذي احتوى هذا الوعد بتمليك الأرض قد ألف في فترة زمنية متأخرة عن عصر يشوع: "قد ألف حوالي القرن الخامس ق.م ، ثم نسب إلى يشوع إيرازا له وتعظيما له عن موسى، وفي هذا الدليل الكافي على التفاف الوجه اليهودي من حول يشوع منذ ذلك العهد الذي عاش فيه يشوع حتى هذا العهد الذي كتب فيه هذا السفر الذي يحمل كل التعظيم ليشوع"⁵².

هذا من جانب زمن تأليف السفر الذي كان متأخرا بعدة قرون عن زمن يشوع بن نون، ومن جانب ثان فإن هناك مجموعة من العوامل ساهمت بشكل كبير في التوسع في تحديد الرقعة الجغرافية التي وعد بها الإسرائيليون حسب أسفار

⁵⁰ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس، شرح سفر يشوع ، ص 20.

⁵¹ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، ص 550.

⁵² - ألكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، الطبعة الثانية (مكتبة مذبولي -

القاهرة: 1997)، ص 287.

العهد القديم، منها عامل الضياع والقيح في الصحراء بعد خروجهم من مصر وما عناه جيل كامل من قساوة العيش في تلك الصحراء وفي مقابل ذلك فإن الأرض التي وصفت تتميز بالخصب ، فأطلقوا العنان لخيالهم في رسم صور امتلاك تلك الأرض: "إن الإسرائيليين الجدد إنما وجدوا أنفسهم يعيشون في صحراء مقفرة، لا ماء فيها ولا زرع ، بينما هم أمام ارض خصبة ، بل هي في نظرهم جنة أحلام تجري فيها انهار من اللبن والعسل، هذا في الوقت الذي كانوا يتكاثرون بأعداد كثيرة دون أن يجدوا ما يسد لهم رمقهم في هذه الصحراوات فبقوا إلى حين متحملين الجوع"⁵³.

ويؤكد العهد القديم تحقق وعد الرب بالاستيلاء على تلك الأرض ، حيث دخل يشوع بن نون تلك الأرض، وحارب كل الممالك الكنعانية وغير الكنعانية، وقام بتقسيمها بين الأسباط: "لقد أكمل يشوع بن نون خادم موسى والقائد المنوط به دخول أرض الموعد إخضاع البلاد وتقسيمها على الأسباط، وقام بمهمته خير قيام، ولم يتخاذل قط أمام أخطر وأرهب المواقف التي ترعب أعظم قواد العالم، لقد اجتمع عليه كل ملوك مقاطعات الجنوب من الكنعانيين المتمرنين في الحرب بأعداد وأدوات رهيبية، فكسرهم جميعا وبدد شملهم، واستولى على مدنهم الواحدة تلو الأخرى، ثم اجتمع عليه كل ملوك الشمال من كنعانيين وغير الكنعانيين ولم يأخذوا بعبرة انكسار الجنوب، ولكن

⁵³ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص551.

ب- عاي⁶³:

قام يشوع بعملية استكشاف للمدينة عن طريق مجموعة من رجاله أرسلهم كجواسيس فبينوا له أن المدينة سهلة المنال، يكفي في السيطرة عليها شق من الجيش فحسب: "وأرسل يشوع رجالا من أريحا إلى عاي التي عند بيت أون شرقي بيت إيل وكلمهم قائلا، اصعدوا تجسسوا الأرض، فصعد الرجال وتجسسوا عاي، ثم رجعوا إلى يشوع وقالوا له لا يصعد كل الشعب بل يصعد نحو ألفي رجل أو ثلاثة آلاف ويضربوا عاي، لا تكلف كل الشعب إلى هناك لأنهم قليلون، فصعد من الشعب إلى هناك نحو ثلاثة آلاف رجل، وهربوا أمام أهل عاي"⁶⁴.

والسبب في الهزيمة التي لحقت ببني إسرائيل من قبل أهل عاي حسب كاتب سفر يشوع تتمثل في خطيئة ارتكبتها واحد من بني إسرائيل: "وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام، فأخذ عخان بن كرمي بن زبدى بن زارح من سبط يهوذا من الحرام فحمى غضب الرب على بني إسرائيل"⁶⁵.

⁶³ - إن موقع عاي مكان التل الحالية على مبعدة 20 كيلا شمالا من أريحا إلى الشمال الغربي من أريحا، قد قامت بالحفر فيه (مادام جوميث هاركيت كروز) بين عامي 1933-1935 فكتشفت عن بقايا مدينة هامة من عصر البرنز المبكر، وأن هذه المدينة قد دمرت وهجرت حوالي 3200 قبل الميلاد وأنها لم تسكن مرة ثانية إلا فترة قصيرة في ما بين عامي 1300-1000 ق.م، هذا فضلا عن اسم عاي هذه إنما يعني الخراب ومن هنا يرى العلماء أن التفسير المحتمل لروايات التوراة هو لخلط بين عاي وبيت إيل، والمعروف باسم بيتين. محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 557.

⁶⁴ - سفر يشوع، الاصحاح 7، الفقرات من 2 إلى 4.

⁶⁵ - سفر يشوع، الاصحاح 7، الفقرة 1.

ويبين احد شراح الكتاب المقدس سبب تعميم العقوبة على بني إسرائيل لخطيئة وقعت من رجل منهم : " و يلاحظ في النص الذي بين أيدينا، أن عاخان أخطأ فإذا بغضب الرب يسقط على الشعب، يقول العلامة أوريجانوس: يليق بنا ألا نهمل العبارة فإنه قد يرتكب شخص واحد خطية يجاب الغضب على الشعب كله" ⁶⁶.

ويقدم لنا كاتب سفر يشوع صورة غريبة أخرى عن كيفية تخليص بني إسرائيل من الخطيئة المرتكبة: "فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادي عخور، فقال يشوع كيف كدرتنا، يكدرك الرب في هذا اليوم، فرجموه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم ورموهم بالحجارة، وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم، فرجع الرب عن حمو غضبه ولذلك دعى اسم ذلك المكان وادي عخور إلى اليوم" ⁶⁷ وعندما أقدم بنو إسرائيل على التخلص من صاحب الخطيئة وأبنائه تحقق لهم النصر على أهل عاي: "فقال الرب ليشوع مد المزراق الذي بيدك نحو عاي لأني بيدك أدفعها ، فمد يشوع المزراق الذي بيده نحو المدينة، فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار، فالتفت رجال عاي إلى ورائهم ونظروا وإذا دخان المدينة قد صعد إلى السماء، فلم يكن لهم مكان للهرب هنا أو هناك والشعب

⁶⁶ - يعقوب ملطي، تفسير سفر يشوع، ص104.

⁶⁷ - سفر يشوع، الاصحاح 7، الفقرات من 24 إلى 26.

الهارب إلى البرية انقلب على الطارد، ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة وأن دخان المدينة قد صعد انتنوا وضربوا رجال عاي وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم فكانوا في وسط إسرائيل هؤلاء من هنا وأولئك من هناك ، وضربوهم ولم يبق منهم شارد ولا منفلت، وأما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع⁶⁸.

وقام يشوع وجيشه مرة ثانية بعملية إبادة جماعية بحيث لم ينج من أهل عاي أحد : "فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا جميع أهل عاي"⁶⁹.

ويؤكد مرة أخرى علم الآثار والحفريات أن مدينة عاي زمن يشوع كانت مدمرة ومهجورة من السكان ، فمن أين أتى يشوع وجيشه بالآلاف السكان لكي يقوم بإبادتهم : "أما عاي التي يقول سفر يشوع إنها كانت المدينة الثانية التي تسقط في يد بني إسرائيل عند دخولهم أرض الميعاد فقد أظهرت نتائج الحفريات أنها كانت تحطمت -هي الأخرى- عند بداية العصر البرونزي في القرن 24 ق.م ، أي أحد عشر قرنا قبل يشوع ، ولم تسكن مرة أخرى إلا منذ القرن 12 ق.م ، حينما أخذت قرية صغيرة تنمو في هذا الموقع"⁷⁰.

⁶⁸- سفر يشوع، الاصحاح 8 ، الفقرات من 18 إلى 23.

⁶⁹- سفر يشوع ، الاصحاح 8 ، الفقرة 28.

⁷⁰- أحمد عثمان ، تاريخ، ج1، ص 106.

ج- جبعون⁷¹:

سقطت هذه المدينة في يد يشوع وجيشه دون قتال، فقد استسلم أهلها، ورضوا بالعبودية لبني إسرائيل ، وتحصلوا على عهد بسلامتهم: "وأما سكان جبعون لما سمعوا بما عمله يشوع بأريحا وعاي ، فهم عملوا بغدر ومضوا وداروا وأخذوا جوائز بالية لحميرهم وزقاق خمر بالية مشققة ومربوطة ونعالا بالية مرقعة في أرجلهم وثيابا رثة عليهم وكل خبز زادهم يابس قد صار فئاتا، وساروا إلى يشوع إلى المحلة في الجبال وقالوا له ولرجال إسرائيل من أرض بعيدة جئنا والآن اقطعوا لنا عهدا"⁷².

ولم يتبن بنو إسرائيل حقيقة الجبعونيين إلا بعد أن أعطاهم يشوع بن نون العهد : "فعمل يشوع لهم صلحا وقطع لهم عهدا لاستحيائهم وحلف لهم رؤساء الجماعة، وفي نهاية ثلاثة أيام بعدما قطعوا لهم عهدا سمعوا أنهم قريبون إليهم وأنهم ساكتون في وسطهم ، فارتحل بنو إسرائيل وجاعوا إلى مدنهم في اليوم الثالث، ومدنهم هي جبعون والكفيرة وبنيروت وقرية يعاريم"⁷³.

ويحاول بعض مفسري الكتاب المقدس إبراز المزايا التي تحصل عليها أهل جبعون نتيجة لقبولهم الاستعباد لبني إسرائيل في النقاط التالية:

⁷¹ - تسمى اليوم الجيب وكانت مدينة هامة للحويين وتقع إلى الشمال الغربي من أورشليم بنحو 9 كليمترات ونصف تقريبا وقد كان الجبعونيون وقتئذ يسكنون في ثلاث مدن أخرى تابعة لهم. تجيب جرجس ، تفسير الكتاب المقدس ، سفر يشوع، ص140.

⁷² - سفر يشوع، الاصحاح 9 ، الفقرات من 3 إلى 6.

⁷³ - سفر يشوع، الاصحاح 9، الفقرات من 15 إلى 19.

- 1- محاربة يشوع للشعوب التي أرادت أن تحارب جبعون.
 - 2- حفظ الرب عهده للجبعونيين، فعند محاولة شاوول إبادتهم أرسل الرب الجوع على بني إسرائيل ، ولم يرفع غضبه عنهم إلا بعد أن استرضاهم داود بقتل سبعة من نسل شاوول.
 - 3- شرفهم الرب بأن جعلهم من نصيب سبط بنيامين، وشرف مدينتهم بأن أوقف القمر فيها ليشوع، وأقيمت فيها خيمة الاجتماع.
 - 4- أسندت لهم الخدمة في بيت الرب ومذبحه.
 - 5- سكنوا قريبا من بيت الرب والكهنة حتى يؤدوا عملهم⁷⁴.
- د- سقوط بقية المدن:

بعد استسلام مدينة جبعون، تمكن بنو إسرائيل من احتلال مجموعة من المدن الكنعانية وهي كالتالي: مقيدة، لينة، لخيش، عجلون، حبرون، دبير: "فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفح كل ملوكها ولم يبق شاردة بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل، فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة وجميع أرض جوشن إلى جبعون"⁷⁵.

ويقرر كاتب سفر يشوع بأن بني إسرائيل لم يستولوا على كل الأرض التي وعدوا بها وبقية مناطق كثيرة لم تفتح أمامهم : "وشاخ يشوع، تقدم في الأيام، فقال له الرب قد شخت ، تقدمت في الأيام، وقد بقيت أرض كثيرة جدا للإملاك، هذه هي الأرض الباقية، كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من

⁷⁴ - نجيب جرجس ، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر يشوع ، ص 150-151.

⁷⁵ - سفر يشوع ، الاصحاح 10 ، الفقرات من 40-42.

الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا تحسب الكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودي والأشقلوني والجنى والعقروني والعويين⁷⁶.

وهكذا نلاحظ بشهادة أسفار العهد القديم على ما زعمت ، لم يمتلك بنو إسرائيل كامل أرض فلسطين بل بقيت مدن كثيرة في يد السكان الأصليين معنى هذا أن الوعد بالأرض عندهم بالحدود التي رسمت وحددت كما سنوضح ذلك في العنصر التالي لم يتحقق، بل أن مدينة أورشليم عندهم بناء على ما ذكرنا خرجت من الجزء الذي حقق من أرض الميعاد.

هـ-أورشليم:

كانت تعرف بمدينة ييوس ومدينة اليبوسيين ، وأورشليم هي تسمية العهد القديم لها وكانت أقوى مدنها، محصنة من كل الجوانب: "وكانت محصنة تحصينا منيعا، بل ذاعت شهرتها على مر السنين باعتبارها المدينة التي تستعصى على الفاتحين"⁷⁷.

والتساؤل الذي يطرح : متى استولى بنو إسرائيل على المدينة ؟ ففي عهد داود وهو العهد الذهبي في تاريخ بني إسرائيل لم يحتل إلا مرتفعا فقط من المدينة أطلق عليه جبل صهيون : "وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض، فكلّموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان

⁷⁶- سفر يشوع ، الاصحاح 13 الفقرت من 1- 2.

⁷⁷- كارين أرمسترونج، القدس، ص79.

والعرج، أي لا يدخل داود إلى هنا ، وأخذ داود حصن صهيون، هي مدينة داود⁷⁸.

واسجل هنا التناقض في مسألة الاستيلاء على مدينة أورشليم حيث ورد نص متقدم على فترة داود يبين كيفية تمكن بني يهوذا من المدينة: "وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار"⁷⁹ وهناك نص آخر سابق تاريخياً على هذا الأخير ورد فيه : "وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم تقدر بنو يهوذا على طرحهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا إلى هذا اليوم"⁸⁰.

فأي نص من النصوص الثلاثة نصدق.

2- الحدود الجغرافية للأرض الموعودة:

أ- الأرض التي وعدها إبراهيم -عليه السلام- :

مر وعد الرب لإبراهيم -عليه السلام- حسب ما ورد في أسفار التوراة بعدة مراحل أو بتعبير أدق اتسعت رقعة الأرض التي وعد بها فبدأ الوعد برقعة جغرافية ضيقة من أرض كنعان : "فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنيا تهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ، وظهر

⁷⁸ - سفر صموئيل الثاني، الاصحاح 5، الفقرات 6-7.

⁷⁹ - سفر القضاة، الاصحاح 1، الفقرة 8.

⁸⁰ - سفر يشوع، الاصحاح 15 ، 23.

الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض فبني هناك مذبحا للرب الذي ظهر له⁸¹.

ثم تتوسع هذه الرقعة الجغرافية بعد الافتراق بين إبراهيم ولوط : "وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ولنسلك إلى الأبد ، واجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع احد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعد، قم امش في الأرض طولها وعرضها ، لأني لك أعطيتها فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون بني هناك مذبحا للرب"⁸².

وينتقل وعد الرب بامتلاك الأرض من إبراهيم لإسحاق، ولم يذكر لنا كاتبو أسفار التوراة السبب الذي من أجله خص إسحاق بالوعد من دون أخيه إسماعيل، وكان إسماعيل لا شأن له بإبراهيم ، و لا مكان له فيما وعد به قبل ميلاده: "وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم ، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك فلسطين إلى جرار ، وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض ، فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفي بالقسم

⁸¹ - سفر التكوين، الاصحاح 12، الفقرات من 5 إلى 7.

⁸² - سفر التكوين، الاصحاح 13، الفقرات من 14 إلى 18.

الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك هذه البلاد وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض"⁸³.

ومن بعد إسحاق يكون الوعد ليعقوب دون أخيه عيسو حيث انتقلت إليه البركة عن طريق خدعة كان ضحيتها إسحاق : "فقال له إسحاق أبوه من أنت ، فقال أنا برك عيسو، فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جدا ، وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا وأتى به إلي فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته ، نعم ويكون مباركا، فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا وقال لأبيه باركني أنا أيضا يا أبي،فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك"⁸⁴ فهذا النص قرر بأن يعقوب أخذ البركة بخدعة من أبيه إسحاق، و لنا أن نتساءل هل وافق الرب على هذه الخديعة و منح بعد ذلك وعده ليعقوب:

"ولكن كيف استطاع يهوه نفسه أن يربط مباركاته الراسخة القاطعة بمباركات إسحاق العرضية الخاطئة التي سرقت منه بخدعة يستطيع اكتشافها آخر البلهاء؟ أليس يهوه هنا مجرد عبد للشكلانية الخاوية التي ليس لها أي أهمية؟"⁸⁵.

وانتقل الوعد من إبراهيم وإسحاق إلى يعقوب: "وقال له الله أنا الله القدير، أثمر وأكثر، أمة وجماعة أمم تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم و إسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض،

⁸³ - سفر التكوين، الاصحاح 26، الفقرات من 1 إلى 4.

⁸⁴ - سفر التكوين ، الاصحاح 37 ،الفقرات من 32 إلى 35.

⁸⁵ - ليونتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص 127.

ثم صعد الله عنه في المكان الذي تكلم معه، فنصب يعقوب عموداً في المكان الذي فيه تكلم معه عموداً من حجر، وسكب عليه سكبياً وصب عليه زيتاً، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل⁸⁶.

ب- الأرض التي وعد بها موسى - عليه السلام -:

ورد وصف مستفيض في أسفار التوراة للأرض التي وعد بها الرب موسى - عليه السلام - بامتلاكها؟ واعلم الرب موسى كيفية تقسيمها بين الأسباط، وتحديد مدن ملجأ، و تعيين اليعازر⁸⁷ ويشوع بتولي التقسيم: "وكلم الرب موسى قائلاً: أوصي بني إسرائيل و قل لهم، إنكم داخلون أرض كنعان، هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيباً، أرض كنعان بتخومها"⁸⁸.

والتعبير بالتخوم المقصود بها الحدود: "عين الرب للشعب قبل أن يعبروا الأراضي التي يأخذونها غربي النهر وهي أرض كنعان بتخومها" أي بحدودها، وكانت تسكن هذه الأرض الشعوب المتناسلة من كنعان بن حام بن نوح، وكانت من أشهر الشعوب الوثنية⁸⁹.

⁸⁶ - سفر التكوين، الاصحاح 35، الفقرات من 11 إلى 15.

⁸⁷ - اليعازر اسم عبري معناه (الله عون) وقد ورد اسماً لعدة أشخاص، وكيل بيت إبراهيم وخادمه الأمين، ثاني أبناء موسى وصفورة، رئيس من بني بنيامين، كاهن من الذين كانوا يضربون البوق أمام التابوت أثناء حكم داود، قاموس الكتاب المقدس، ص 113.

⁸⁸ - سفر العدد، الاصحاح 34، الفقرات 1-2.

⁸⁹ - نجيب جرجس، تفسر الكتاب المقدس شرح سفر العدد، الطبعة الثانية (شركة هرموني للطباعة: 2000م)، ص 585.

وقد حددت هذه الأرض في أربعة تخوم، التخم الجنوبي، والتخم الشمالي والتخم الشرقي، والتخم الغربي.

1- التخم الجنوبي:

ويمتد من قادش برنيع حتى يصل إلى نهر مصر: تكن لكم ناحية الجنوب من برية صين⁹⁰ على جانب أدوم، و يكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح⁹¹ إلى الشرق، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقريم⁹² ويعبر إلى صين وتكون مخرجه من جنوب قادش برنيع⁹³ ويخرج إلى حصر

⁹⁰ - برية صين أو صن كانت تقع جنوبي فلسطين وكانت تعتبر حداً لبلاد أدوم التي تقع إلى الشرق منها وتجاور العزبة التي تقع شرقاً منها أما قادش برنيع فكانت تقع بينهما وبين برية فاران. نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 586.

⁹¹ - بحر الملح هو البحر الميت ودعى بحر الملح لكثرة الأملاح في مياهه حيث يبلغ نسبتها 25 في المائة، ودعى البحر الميت لأنه لا توجد به أحياء حيوانية أو نباتية وقد دعى أيضاً بحر العربية، وبحر لوط لأن لوطاً سكن بجواره في أرض الدائرة نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 586-587.

⁹² - عقبة عقريم وتدعى أيضاً عقبة العقارب وعقبة بمعنى نجد أو مرتقى، قد يقصد بها حرف من الجبل يفصل بين البحر الميت وجنوب فلسطين وربما يقصد بها نجد من الصخور البيضاء التي تبدأ من البحر الميت وتخرق العقبة على امتداد عدة أميال يرى بعض المفسرين أن عقبة عقريم إلى الآن نظب الصفا. نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 587.

⁹³ - قادش برنيع كانت تدعى عين مشفاط وقد دعيت عيون الماء المجاورة لها باسم ماء مريبة قادش، ودعاها النبي حزقيال مياه مريبة قادش ومياه مريبوت قادش، كما دعيت بالاختصار ماء مريبة أي ماء المخاصمة لأنه تدمر بنو إسرائيل من أجل الماء وخاصموا موسى. قاموس الكتاب المقدس، ص 707.

أدار⁹⁴ ويعبر إلى عصمون⁹⁵، ثم يدور التخم من عصمون إلى وادي مصر⁹⁶، ويكون مخارجه عند البحر⁹⁷.

وهكذا يمكن تحديد هذا التخم أنه يمتد من قادش إلى نهر مصر، ويشمل الجزء الجنوبي والشرقي من فلسطين، حيث تقع صين في الجنوب، وأدوم في الشرق.

2- التخم الغربي:

هذا القسم يمتد من البحر الكبير إلى وادي مصر: "وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخما، هذا يكون لكم تخم الغربي"⁹⁸ وقد بين بعض شراح الكتاب المقدس بأن البحر الكبير المقصود به البحر الأبيض المتوسط: "يكون حدهم من الغرب البحر الكبير" وهو البحر الأبيض المتوسط،

⁹⁴ - حصر أدار معناها قرية العظيمة وكانت تدعى أيضا أدار وموقعها إلى الشمال الغربي من قادش برنيع، وربما كانت أدار وحصرون قربتين متجاورتين كل واحدة منهما قائمة بذاتها أو ربما اعتبرهما الناس أحيان بلدة واحدة أطلق عليها اسم حصر أدار، نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 587.

⁹⁵ - عصمون نحو الغرب أو الشمال الغربي من حصن أدار وقادش برنيع وفي اتجاه سيناء ربما مكانها الآن عين القسيمة. نجيب جرجس تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد ص 587.

⁹⁶ - وادي مصر ويدعى أيضا نهر مصر وهو جدول تتساب فيه مياه صحراء التيه في فصل الشتاء فقط، ويبدأ من عند قادش برنيع وينتهي في البحر المتوسط ويصب فيه جنوبي غربي غزة بنحو 64 كيلومتر وتلت وجنوبي العريش بقليل واسمه القديم سحور وعند اليونان رينو كيليبوريا، ويسمى النهر والأرض المحيطة بها الآن وادي العريش، نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 588.

⁹⁷ - سفر العدد الاصحاح 34، الفقرات 3 إلى 5.

⁹⁸ - سفر العدد الاصحاح 34، الفقرات 6.

ودعى أيضا بحر فلسطين، والبحر الغربي، وقد أخذت بعض الأسباط نصيبها على البحر الكبير⁹⁹.

3- التخم الشمالي:

ويمتد هذا القسم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط ويمر بجبل هور وينتهي عند حصر عينان: "وهذا لكم تخم الشمال، من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور¹⁰⁰، ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة¹⁰¹، وتكون مخارج التخم إلى صدد ثم يخرج التخم إلى زفرون¹⁰²، وتكون مخارجه عند حصر عينان¹⁰³، هذا يكون تخم الشمال"¹⁰⁴.

⁹⁹ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 588.

¹⁰⁰ - جبل هور ويقع على حدود أدوم وموقعه بين الطرف الجنوبي للبحر الميت وخليج العقبة، وكلمة هور نفسها معناها جبل. نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس، شرح سفر العدد، ص 577.

¹⁰¹ - المقصود هنا مدخل حماة، المقصود بها الطريق المؤدي إلى حماة الواقعة على نهر العاصي المدعو (ليبو حماة) أو (لبوة الحديثة)، وقد ذكر أن مدخل حماة كان من الأماكن التي وصل إليها الجواسيس، وحماة معناها الحمى، وربما اعتبر مدخل حماة هكذا لأنه يعتبر حدا يحمي البلاد من الشمال. نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 589.

¹⁰² - زفرون ومعناها رائحة وربما تكون الآن مدينة الزعفرانية التي تقع من الجنوب الشرقي من حماة. نجيب جرجس تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 589.

¹⁰³ - حصر عينان معناها قرية العيون (الينابيع) ودعيت هكذا لقبها من عيون الماء ومن بينها العين الكبيرة التي ينبع منها البحر العاصي يرى بعض المفسرين أنها الآن بلدة القرينتين الواقعة بين دمشق وتدمر، نجيب جرجس تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد ص 590.

¹⁰⁴ - سفر العدد، الإصحاح 34، الققرات من 7 إلى 9.

4- التخم الشرقي:

ويمتد من حصر عينان إلى شفام، ثم ينحدر إلى ربلة: "و ترسمون لكم تخما إلى الشرق من حصر عينان إلى شفام، و ينحدر التخم من شفام¹⁰⁵ إلى ربلة¹⁰⁶ شرقي عين¹⁰⁷، ثم ينحدر التخم إلى الأردن، و تكون مخارجه عند بحر الملح، وهذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليتها، فأمر موسى بني إسرائيل قائلا هذه هي الأرض التي تقسمونها بالقرعة"¹⁰⁸.

ونلاحظ أن خيال كاتب سفر العدد قد لعب دورا بارزا في وصف الأرض، وتحديد مناطقها بحيث توسع شرقا و غربا، شمالا و جنوبا بحيث شمل الأرض من وادي مصر إلى البحر المتوسط مروراً بأرض فلسطين ليدخل مناطق من سوريا ولبنان: "في فترة لاحقة اكتسبت الوعود القديمة بعدا جديدا، وذلك عندما تجمعت عدة قبائل من البدو والذين توطنوا لتشكل معا شعب إسرائيل" كان هذا الاستقرار قد تحقق، ومن ثم بدأ الوعد على هذا النحو، أصبح ينظر إليه

¹⁰⁵ - شفام هي بلدة في الشمال الشرقي من كنعان بجوار أربلة، ومنها زبدي الشفمي المشرف على خزائن الخمر التي كانت للملك داود. قاموس الكتاب المقدس، ص 512.

¹⁰⁶ - أربلة هي نفس أربلة الواقعة في منطقة حماة والمشهور في تاريخ الملوك وربما تكون موقع آخر على الحدود الشرقية لأرض كنعان وقتئذ وشرق عين الماء، ولعل ربلة الآن هي بلدة هو رمل. نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 590.

¹⁰⁷ - عين المقصود بها بلدة تقع على العين الكبيرة إحدى العيون التي ينبع منها نهر العاصي، وسميت هكذا لوقوعها على العين، وأما المقصود بها عين الماء نفسها. نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 590.

¹⁰⁸ - سفر العدد الإصحاح 34، الفقرات 10 إلى 12.

باعتباره نمونجا للغزو النهائي لفلسطين، و إعلانا لقيام مملكة داود و لإضفاء الشرعية عليها¹⁰⁹.

و العجيب في الأمر أن موسى-عليه السلام- قد حرم من دخول الأرض التي وعد بها بسبب غضب الرب: "و غضب الرب علي بسببكم وأقسم أني لا أعبر الأردن ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيبا، فأموت أنا في هذه الأرض، لا أعبر الأردن، وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة"¹¹⁰.

فكيف يا ترى يحرم موسى- عليه السلام- من الدخول، و يسمح ليشوع وبقيّة بني إسرائيل بالدخول هل يتحمل موسى- عليه السلام- المسؤولية لوحده ويمنح شرف الفتح لغيره؟.

و في الأخير هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام: "و ثمة حقيقة أخرى تبرز من ثنايا المقارنة بين ما وعد الله به إبراهيم في عهد الختان، وبين ما وعد الله به يعقوب وموسى من أنبياء إسرائيل، في عهد الختان تمتد أرض الميعاد من "نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" بينما لم يزد الوعد ليعقوب وموسى وأنبياء إسرائيل على أرض كنعان وما حوالها من أراضي الحيثيين والفرزيين

¹⁰⁹ - روجيه جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام

الطبعة الثانية (دار الشروق: 1419هـ-1998م)، ص 46.

¹¹⁰ - سفر التثنية، الاصحاح 4، الفقرات من 20 إلى 22.

والحويين واليبوسيين مما يقع على ضفتي الأردن أو يمتد أحيانا لضم بقاعا من لبنان وفلسطين وبعض بلاد سورية ولكنه لا يشمل كل هاتيك البقاع كاملة¹¹¹.

3- تقسيم الأرض بين الأسباط:

قسم يشوع بن نون الأرض التي استولى عليها من الكنعانيين على تسعة أسباط و نصف من بني إسرائيل ذلك أن سبطين ونصف قد أخذوا نصيبهم في حياة موسى-عليه السلام- و هم سبط رؤوبين، وسبط جاد، ونصف سبط منسي، وكان عدد المدن التي وزعها يشوع على الأسباط قدر بـ 600 مدينة، ولا شك أن هذا العدد مبالغ فيه، بل لعب خيال الكاتب نورا بارزا فيه: "إنه كانت لدى القبائل الإسرائيلية حوالي 600 مدينة، والحقيقة أن المخيلة الدينية لا حدود لها، مدى الاختلاف واسع رحب، حتى أن "الروح القدس" نفسه ملهم التوراة.

لاحظ معي يا سيدي أن ذلك الإقليم من العالم لا يشمل سوى درجتين طول في أكثر مناطقه اتساعا، ودرجتين ونصف درجة عرض في أكثر حقب ازدهار جبروت اليهود¹¹² وقد قسمت على النحو التالي:

أ-سبط يهوذا:

حددت الأرض التي كانت من نصيب بني يهوذا من أدوم إلى أقصى التيمن، ومن أقصى بحر الملح إلى واد مصر، وتمتد في الشرق إلى طرف

¹¹¹ - حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، الطبعة الأولى (مكتبة الأنجلو المصرية: 1959)، ص 79-89.

¹¹² - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع الأساطير، ص 220.

الأردن، ومن الشمال تصل إلى عقبة أدميم: وكانت القرعة لسبط بني يهوذا حسب عشائرتهم إلى تخم أدوم برية صين، والجنوب أقصى التيمن، وكان تخمهم الجنوبي أقصى بحر الملح من اللسان المتوجه نحو الجنوب، وخرج إلى جنوب عقبة عقربيم وعبر إلى صين وصعد من جنوب قادش برنيع وعبر إلى حصرون وصعد إلى أدار إلى القرقع وعبر إلى عصمون، وخرج إلى وادي مصر وكانت مخارج التخم عند البحر¹¹³.

و كانت حصيلة بني يهوذا من المدن المتحصل عليها تقدر بنحو 100 مدينة.
ب- سبط يوسف:

وأخذ بنو يوسف الأرض الممتدة من أريحا إلى بيت إيل إلى لوز: "وخرجت القرعة لبني يوسف من أردن أريحا إلى ماء أريحا نحو الشروق إلى البرية الصاعدة من أريحا في جبل بيت إيل، وخرجت من بيت إيل إلى لوز، وعبرت إلى تخم الأركيين إلى عطاروت، ونزلت غربا إلى تخم اليفلطين إلى تخم بيت حورون السفلى، و إلى جازر، و كانت مخارجها عند البحر، فملك ابنا يوسف منسى و أفرايم"¹¹⁴.

وبقي سبعة من أسباط بني إسرائيل ممن لم يقسموا أرضهم، فأمرهم يشوع بالتقسيم: "وبقي من بني إسرائيل ممن لم يقسموا نصيبهم سبعة أسباط، فقال لهم يشوع حتى متى أنتم متراخون عند الدخول لامتلاك الأرض التي أعطاكم إياها الرب إله آبائكم هاتوا ثلاثة رجال من كل سبط فأرسلهم ويسيروا في

¹¹³ - سفر يشوع، الاصحاح 15، الفقرات من 1 إلى 4.

¹¹⁴ - سفر يشوع، الاصحاح 16، الفقرات من 1 إلى 4.

الأرض ويكتبوها بحسب أنصبتهم ثم يأتوا إلى وليقسموها إلى سبعة أقسام¹¹⁵.

ويؤكد كاتب سفر يشوع بأن هذه الأرض التي قسمت بين الأسباط هي الأرض الموعودة التي وعد الرب بها الآباء السابقين: "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها، فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم، و لم يقف قدامهم رجل من أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم، ثم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار"¹¹⁶.

4- الأرض في رؤى الأنبياء:

إذا سلمنا بامتلاك بني إسرائيل للأرض كما جاء في أسفارهم، فالحقيقة أن هذه الأرض أخذت منهم وأخرجوا منها، أسر عشرة أسباط إلى آشور، وسبطي يهوذا وبنيامين إلى بابل، وفي بابل كتبوا أسفارهم المقدسة، وهناك ظهرت فكرة أرض الميعاد، فكيف يا ترى صور أنبيأؤهم ذلك من خلال رؤاهم، وسأركز على إرميا الذي عايش سقوط مملكة يهوذا في يد البابليين وحزقيال الذي سبى إلى بابل، و من بعدهما دانيال.

أ- إرميا:

تنبأ إرميا بعودة بني إسرائيل إلى أرضهم، لكن الأرض التي نكرها تضيق كثيرا عن الأرض التي زعم كاتب سفر يشوع، أن يشوع استولى عليها

¹¹⁵ - سفر يشوع، الاصحاح 18، الفقرات من 2 إلى 5.

¹¹⁶ - سفر يشوع، الاصحاح 21، الفقرات من 43 إلى 45.

وقسمها بين الأسباط: "تراعى لي الرب من بعيد، ومحبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة، سأنتيك بعد فتبينين يا عذراء إسرائيل، تتزينين بعد بدفوقك وتخرجين في رقص اللاعبين، تفرسين بعد كروما في جبال السامرة، يفرس الغارسون ويبتكرون، لأنه يكون يوم ينادي فيه النواظير في جبال أفرام قوموا فنصعد إلى صهيون إلى الرب إلهنا، لأنه هكذا قال الرب، رنموا ليعقوب فرحا واهتفوا برأس الشعوب، سمعوا سبحوا وقولوا خلص يا رب شعبك بقية إسرائيل، هاأنذا آتي بهم من أرض الشمال وأجمعهم من أطراف الأرض" 117.

ويحاول أحد شراح الكتاب المقدس إيضاح صورة الرؤيا: "إن كان الشعب قد صار كامرأة زانية استحق التأديب بالسبي البابلي، إلا أن الله في أمانته يقيمه عذراء مقدسة، بينها بنفسه كهيكل مقدس له، إنه ليس فقط يردّها إلى أرض الموعد أو المدينة المقدسة أو الهيكل بل تصر هي أرضه ومدينته وهيكله، لن تمتد ذراع بشرى لبنائها بل يقوم الرب نفسه بإنشائها" 118.

و قد ورد التنبؤ بالعودة مع خراب آشور و بابل: "إسرائيل غنم مبددة، قد طردته السباع، أولا أكله ملك آشور ثم هذا الأخير نيوخذ راصر ملك بابل هرس عظامه، لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل، هاأنذا أعاقب ملك بابل وأرضه كما عاقبت ملك آشور، وأرد إسرائيل إلى مسكنه فيرعى كرمل

117- سفر إرميا، الاصحاح 31، الفقرات من 3 إلى 8.

118- تادروس يعقوب مطي، تفسير إرميا، (مطبعة الأنبارويس-القاهرة: 1995)، ج2،

وباشان وفي جبل أفرام وجلعاد تشبع نفسه¹¹⁹ ومرة أخرى تتحدد أرض العودة في منطقة جغرافية ضيقة: "يفرح الله إذ يفتح لشعبه الأبواب المغلقة وينطلق بهم إلى أرض الموعد، خاصة الكرمل وباشان وجبل أفرام وجلعاد، حيث الأرض تفيض عسلا ولبنا"¹²⁰.

وهكذا نلاحظ بأن أرض الميعاد تحدد هنا بالمنطقة الواقعة شرق الأردن وخاصة المنطقة الجبلية التي تشملها جلعاد.

ب- حزقيال:

وهو نبي عاش في الأسر البابلي، وتنبأ بعودة بني إسرائيل أولاً، ثم جاءت رؤياه لتحدد الأرض و تقسمها من جديد على الأسباط.

1- رؤيا العودة:

وهذه الرؤيا تتضمن عودة بني إسرائيل إلى أرضهم، وقد شبهت بالعظام البالية التي تجمع وتبعث فيها الحياة من جديد: "فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أنتبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمة، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح، فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا بن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا، فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدا جداً، ثم قال لي يا ابن آدم هذه العظام كل بيت إسرائيل، هاهم يقولون يبست عظامنا

¹¹⁹ - سفر إرميا، الاصحاح 50، الفقرات من 17 إلى 19.

¹²⁰ - تادروس يعقوب ملطي، تفسير سفر إرميا، ج 2، ص 993.

وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب، هاأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل¹²¹.

وقد استغلت هذه الرؤيا لإضفاء الصبغة الدينية على حتمية الرجوع الإسرائيلي إلى فلسطين في هذا الزمن المتأخر بحيث شرحت شرحاً رمزياً لا يتفق مع المدلول الظاهري للرؤيا: "قالتفسير الصحيح لا يمكن إلى أن يكون رمزا لبني إسرائيل، بالمعنى الحرفي والدقيق للعودة"¹²².

ثم تشرح هذه العودة بالعودة في هذا العصر وهو تحميل النص ما لا يحتمله: "يا له من أمر مدهش أن حفظ الله اليهود ليظهر سلطانه ونعمته عليهم إذ رغم شتاتهم بين كل الأمم الأوروبية إلا أنهم لم يسمحوا لهم بتملك الأراضي، لقد كون كثيرون منهم ثروة هائلة وعملوا بالتجارة في كل البلاد، لم يكن لهم ميراث في البلاد الأخرى وكانوا دوماً يودون بشوق شديد العودة إلى بلادهم، لم يرتبطوا بالبلاد التي عاشوا فيها وكانوا مستعدين دوماً للهجرة، وهناك حركات بينهم ظهرت مؤخراً تبشر بقرب العودة الجماعية"¹²³.

لكن هذا التفسير الرمزي تبطله نبوءات أخرى كحزقيال، حيث حصرت العودة في الرجوع من بابل بل إن حزقيال قد قسم الأرض في تنبؤاته بين أسباط بني إسرائيل: "هكذا قال السيد الرب، هذا هو التخم الذي به تمتلكون الأرض

¹²¹ - سفر حزقيال، الاصحاح 37، الفقرات من 7 إلى 12.

¹²² - جورج بوش، وادي الرؤيا في تفسير رؤيا حزقيال، ترجمة عبد الرحمان عبد الله

الشيخ (دار المريخ للنشر-الرياض: 1425هـ-2004م)، ص 142.

¹²³ - المرجع نفسه، ص 143-144.

بحسب أسباط إسرائيل الإثني عشر، يوسف قسمان، وتمتلكونها أحدكم كصاحبه التي رفعت يدي لأعطي آبائكم إياها وهذه الأرض تقع لكم نصيباً¹²⁴.

ونلاحظ الاختلاف الكبير في التقسيم الذي ورد في عهد يشوع: "التقسيم هنا مختلف تماماً عن التقسيم الذي حدث في أيام يشوع بن نون، و يرى المفسرون أن هذا التقسيم لا يمكن فهمه بطريقة حرفية بل يفهم بمعنى رمزي"¹²⁵.

و هذا التقسيم كما ورد في تنبأ حزقيال كما يلي:

1- القسم الشمالي:

ويمتد من البحر الكبير إلى جلعاد وأرض إسرائيل: "وهذا تخم الأرض نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون إلى المجرى إلى صدد، حماة وبيروثة وسبرائم التي بين تخم دمشق وتخم حماة وحصر الوسطى التي على تخم حوران، ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق والشمال شمالاً وتخم حماة وهذا جانب الشمال"¹²⁶.

¹²⁴ سفر حزقيال، الاصحاح 47، الفقرات 13-14.

¹²⁵ تادرس يعقوب ملطي، تفسير الآباء الأولين حزقيال، ص 432.

¹²⁶ سفر إرميا، الاصحاح 47، الفقرات من 15 إلى 17.

2- القسم الشرقي:

يحدده كاتب السفر على الشكل التالي: "وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلعاد وأرض إسرائيل الأردن، من التخم إلى البحر الشرقي تقيسون، وهذا جانب المشرق"¹²⁷.

3- القسم الجنوبي:

يمتد من ثمار إلى البحر الكبير "وجانب الجنوب يمينا من ثمار إلى مياه مريبوث قادش النهر إلى البحر الكبير وهذا جانب اليمين جنوباً"¹²⁸.

4- القسم الغربي:

ويمتد من البحر الكبير إلى مدخل حماة: "وجانب الغرب البحر الكبير من التخم إلى المقابل مدخل حماة، وهذا جانب الغرب، فتقتسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل"¹²⁹.

¹²⁷ - سفر إرميا، الاصحاح 47، الفقرة 18.

¹²⁸ - سفر إرميا، الاصحاح 47، الفقرة 17.

¹²⁹ - سفر إرميا، الاصحاح 47، الفقرات 20-21.

المبحث الثالث

الإقليم في القرآن الكريم

أقرر في البداية صعوبة البحث الذي سأقوم به فيما يتعلق بإقليم المجتمع الإسرائيلي من خلال القرآن الكريم، فلا شك أن هذا الأمر يتطلب الدراسة العميقة والمتأنية للنصوص القرآنية ومحاولة استخراج ما يدل على تلك الرقعة الجغرافية ولا مناص في هذا الصدد من الاستعانة بالمفسرين لتحديد ما يتعلق بموضوع البحث، لذلك سأختار طريقة إيراد الآراء التفسيرية و إجراء المقارنة بينها في كل موضع.

1- هل دخل بنو إسرائيل إلى أرض كنعان:

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى بعد نجاة موسى -عليه السلام- وقومه من فرعون و ملائه أمرهم بأن يدخلوا الأرض المقدسة، فما المقصود بالأرض المقدسة وأين تقع: "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أذيباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا فإنا داخلون، قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فاتكم غالبون وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، قال فإنها محرمة عليهم

أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين¹³⁰ والتساؤل الأول الذي يطرح أين تقع الأرض المقدسة؟ للإجابة على هذا التساؤل سأورد آراء بعض المفسرين.

أ- رأي الطبري: ذكر عدة آراء في موقع الأرض المقدسة و هي كما يأتي:

1- الطور وما حوله، وأورد بعض الروايات التي ذهب أصحابها إلى ذلك القول

أ- عن مجاهد الأرض المقدسة الطور و ما حوله.

ب- عن مجاهد عن ابن عباس "ادخلوا الأرض المقدسة" قال الطور وما حوله.

2- الشام، وأورد رواية واحدة، عن قتادة في قوله "الأرض المقدسة" قال هي الشام.

3- أريحا: وذكر بعض الروايات التي يؤكد أصحابها أن المقصود هي أريحا:

أ- قال ابن زيد في قوله "ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم" قال أريحا.

ب- عن السدي قال هي أريحا.

ج- عن ابن عباس قال هي أريحا.

4- دمشق وفلسطين وبعض الأردن: ومن الروايات التي أوردها:

أ- عن ابن عباس قال: "هي أريحا، وقيل أن الأرض المقدسة دمشق وفلسطين وبعض الأردن وعنى بقوله المقدسة المطهرة المباركة"¹³¹.

¹³⁰ - سورة المائدة، الآية من 21 إلى 25.

¹³¹ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (دار الفكر - بيروت: 1398هـ - 1978م)

ج6 ص: 110.

وبعد إيراده للأراء التي قيلت في الأرض المقدسة بين الطبري رأيه في المسألة: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال هي الأرض المقدسة كما قال نبي الله موسى - صلى الله عليه وسلم - لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة، غير أنها لا تخرج من أن تكون من الأرض التي بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالإخبار على ذلك¹³².

ونلاحظ في الرأي الذي اختاره الطبري أن حقيقة تلك الأرض لا تدرك إلا بالخبر، ثم بين أن لا خبر في التحديد، وليته وقف عند هذا الرأي، بل قرر في النهاية أن تلك الأرض لا تخرج عن المنطقة الممتدة من عريش مصر إلى الفرات واعتمد في ذلك على إجماع أهل التأويل والسير كما ذكر، ولنا الحق في التساؤل عن المصدر الذي اعتمده أهل الإجماع الذين ذكرهم، ولا شك أن هذه الأخبار من مصدر إسرائيلي.

ب- رأي الرازي: أورد عدة آراء في موضع الأرض المقدسة.

1- أرض الشام: وبين أن بني إسرائيل أطلقوا عليها أرض المواعيد: "روى أن إبراهيم - عليه السلام - لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو ميراث نريك، وقيل: لما خرج قوم موسى - عليه السلام - من

¹³² - المصدر نفسه، ج 6، ص 110.

مصر وعدهم الله تعالى إسكان أرض الشام، و كان بنو إسرائيل يسمون أرض الشام أرض المواعيد¹³³.

2- أريحا: وهذا ما ذهب إليه عكرمة و السدي و ابن زيد.

3- دمشق و فلسطين: و الكلبى هو صاحب هذا التحديد.

4- الطور: و لم يذكر صاحب هذا القول بل اكتفى بالقول و قيل الطور¹³⁴ والرواية التي أوردها حول إبراهيم- عليه السلام- تكاد تكون الرواية التوراتية الواردة في سفر التكوين عينها، كما أن الوعد لموسى- عليه السلام- بعد خروجهم من مصر هو الوعد الذي ذكر في سفر العدد، وسفر التثنية، فالرازي لم يقدم لنا جديدا في هذه المسألة، لذلك كان لزاما البحث عند بقية المفسرين علنا نجد رأيا جديدا في المسألة.

ج- رأي محمد رشيد رضا: صاحب المنار قرر أن الأرض المقدسة هي القطر السوري في التعبير القديم الذي يشمل سوريا وفلسطين وهو بذلك جمع بين رأيين في هذه المسألة: "وروى ابن عساكر عن معاذ بن جبل: أن الأرض المقدسة بين العريش إلى الفرات، وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة أنها الشام، والمعنى واحد، فالمراد بالقولين القطر السوري في عرفنا، وهذا يدل على أن هذا التحديد لسوريا قديم، وحسبنا أنه من عرف سلفنا الصالح، وقالوا أنه هو مراد الله تعالى، ولا أحق ولا أعدل من قسمة الله تعالى

¹³³ - الرازي ، مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى (دار الفكر: 1401هـ-1989م) ج11، ص

201-202.

¹³⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 201-202.

وتحديده، وفي اصطلاح بعض المتأخرين أن سورية هي القسم الشمالي الشرقي من هذا القطر، والباقي يسمونه فلسطين أو بلاد القدس و المشهور عند الناس أنها الأرض المقدسة، والقول الأول هو الصحيح¹³⁵.

وكنت أنتظر من صاحب المنار وهو المفسر المتأخر أن يأتي بالرأي الجديد في المسألة، غير أنه لم يخرج عن ما قيل قديماً، بل أضاف إليه أن بني إسرائيل قد ملكوا القطر السوري وكان وعدا لهم من الله تعالى: "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلَكَوا سُورِيَةَ، فَسُورِيَةَ وَفِلَسْطِينَ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَيَسْمُونَ الْبِلَادَ الْمُقَدَّسَةَ أَرْضَ الْمِيْعَادِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ بِهَا ذُرِيَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَدْخُلُ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ الْحِجَازَ وَمَا جَاوَرَهُ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَقَدْ خَرَجَ مُوسَى يَبْنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لِيَسْكُنَهُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي وَعَدُوا بِهَا مِنْ عَهْدِ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَإِنَّمَا كَانَ يُرِيدُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِأَرْضِ الْمَوْعَدِ وَالْبِلَادِ الْمُقَدَّسَةَ مَا عَدَا بِلَادَ الْحِجَازِ الَّتِي هِيَ أَرْضُ أَوْلَادِ عَمِهِمُ الْعَرَبِ"¹³⁶.

و كان ينبغي على محمد رشيد رضا وهو صاحب الإطلاع على أسفار العهد القديم أن يناقش مدى صحة تحقق الوعد عندهم، بدل إثباته في تفسيره لهذا النص القرآني.

¹³⁵ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الطبعة الثانية (دار المعرفة لبنان) ج6، ص 324-

325.

¹³⁶ - المصدر نفسه، ج 6، ص 326.

غير أن محمد رشيد رضا يفند الزعم اليهودي بحق امتلاك الأرض المقدسة: "وليس معناه أنها تكون ملكا لهم دائما أولا يزاحمهم فيها أحد لأن هذا مخالف للواقع، ولن يخلف الله وعده، فاستتباط اليهود من ذلك الوعد أنه لا بد أن يعود لهم الملك في البلاد المقدسة غير صحيح"¹³⁷.

د- رأي الطاهر بن عاشور: ذهب إلى أنها أرض فلسطين وأفاض في تحديد رقعتها الجغرافية: "وهي هنا أرض كنعان من بركة صين إلى مدخل حماة" وإلى حبرون، وهذه الأرض هي أرض فلسطين، وهي واقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت، وتنتهي إلى غزة وحبرون جنوباً"¹³⁸.

ووضح أن صاحب التحرير والتنوير أخذ حدود الأرض مباشرة من أسفار العهد القديم.

ومن خلال إيرادنا لأراء بعض المفسرين التي لا يخرج عن مضمونها جل المفسرين كالألوسي، والخازن، والقرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والسيوطي، وابن كثير، والشوكاني، والطبرسي، والطببائي، ومحمد السيد طنطاوي، والمراغي وغيرهم.

ارتأيت أن اعتمد على بعض أوصاف الأرض المقدسة من أجل الوصول إلى تحديدها:

¹³⁷ - المصدر نفسه، ج 6، ص 326.

¹³⁸ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر: 1984)، ج 6،

ص 161.

1- معنى الأرض المقدسة: وردت عدة آراء في مفهوم التقديس.
أ- المطهرة من الآفات:

حيث طهرت من الشرك والآفات: "والتقديس التطهير، ووصفت تلك الأرض بذلك إما لأنها مطهرة من الشرك حيث جعلت مسكن الأنبياء-عليهم السلام- أو لأنها مطهرة من الآفات، وغلبة الجبارين عليها لا يخرجها عن أن تكون مقدسة، أو لأنها طهرت من القحط والجوع، وقيل سميت مقدسة لأن فيها المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب"¹³⁹.

ب- المباركة:

والسبب في ذلك أنها كانت مقرا للأنبياء: "ومعنى المقدسة المطهرة المباركة بسبب أنها كانت موطننا لكثير من الأنبياء"¹⁴⁰.
وقد روي عن مجاهد تفسير المقدسة بالمباركة: "وفسر مجاهد المقدسة بالمباركة، ويصدق بالبركة الحسية والمعنوية"¹⁴¹.
فالأرض المقدسة على رأي المفسرين المطهرة من الآفات أو المباركة، أما عن الصفة الأولى أي المطهرة من الآفات يستعبد الرازي هذا حيث ذكر: "قال

¹³⁹ - الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن وسبع المثاني، (دار الفكر - بيروت)، ج6، ص106.

¹⁴⁰ - محمد السيد الطنطاوي، للتفسير الوسيط للقرآن الكريم (مطبعة السعادة: 1397هـ - 1977م)، ج6، ص138.

¹⁴¹ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج6، ص324.

المفسرون طهرت من الشرك و جعلت مسكنا وقرارا للأنبياء، ويمكن أن يجاب بأنها كانت كذلك فيما قبل¹⁴².

2- معنى المباركة:

من بين الآراء التي قيلت سابقا في مدلول الأرض المقدسة أنها المباركة، ومن خلال تتبعي لآيات القرآن الكريم وجدت هذا الوصف منسوبا للأرض التي أورثها الله تعالى لبني إسرائيل: "وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون"¹⁴³.

فما المقصود بالأرض الواردة في هذا النص القرآني، ولماذا سميت مباركة؟ وللإجابة على هذا التساؤل سأعرض بعض آراء بعض المفسرين:

أ- رأي الطبري: الأرض المقصودة في رأي الطبري هي أرض الشام، وأورد مجموعة من الروايات التي تؤكد ذلك.

1- عن الحسن في قوله "وأورثنا القوم مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها" قال الشام.

2- عن قتادة قوله "وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها" هي أرض الشام¹⁴⁴.

¹⁴² - الرازي ، مفاتيح الغيب، ج 11، ص 201.

¹⁴³ - سورة الأعراف، الآية 137.

¹⁴⁴ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 8 ، ص 30.

أما عن معنى المباركة فهي التي فيها الخير الدائم لأهلها: "يقول تعالى ذكره وأورثنا القوم الذي كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويستخدمونهم تسخييرا واستعبادا من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها يقول التي جعلنا دائما فيها الخير ثابتا لأهلها و إنما قال جل ثناؤه وأورثنا لأته أورث ذلك بني إسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة"¹⁴⁵.

ب- رأي الرازي: ذكر الرازي قولين في تحديد الأرض.

1- الشام: فالبركة عنده لا تليق إلا بأرض الشام: "واختلفوا في معنى مشارق الأرض ومغاربها، فبعضهم حمله على مشارق أرض الشام، ومصر مغاربها، لأنها هي التي كانت تحت تصرف فرعون لعنه الله، وأيضا قوله "باركنا فيها" المراد باركنا فيها بالخصب وسعة الأرزاق وذلك لا يليق إلا بأرض الشام"¹⁴⁶.

2- جملة الأرض: والقول الثاني الذي أورده أن المقصود جملة الأرض: "المراد جملة الأرض: وذلك لأنه خرج من جملة بني إسرائيل داود وسليمان قد ملك الأرض، وهذا يدل على أن الأرض هنا اسم الجنس"¹⁴⁷.

وهذا القول الأخير الذي أورده الرازي مخالف للحقيقة التاريخية، حيث أن داود وسليمان - عليهما السلام - لم يملكا كل الأرض، هذا من جانب، ومن جانب

¹⁴⁵ - المصدر نفسه، ج 8 ، ص 30.

¹⁴⁶ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14 ، ص 230-231.

¹⁴⁷ - المصدر نفسه، ج 14 ، ص 231.

ثان فإن الآية لا تتحدث عن ملك داود و سليمان بل على فترة زمنية سابقة لهما، لذلك كان الأولى بالرازي استبعاد هذا القول تماما.

ج- رأي الألويسي: بين أن في تحديد الأرض عدة أقوال

1-أرض الشام: وذكر أن هذا المروى عن الحسن و قتادة و زيد بن أسلم.

2-أرض مصر: و هذا ما ذهب إليه الجبائي فيما رواه أبو الشيخ عن الليث بن

سعد¹⁴⁸.

ثم يرجح بأنها أرض الشام استنادا للبركة التي وصفت بها: "التي باركنا فيها" بالخصب وسعة الأرزاق أو بذلك و بكونها مساكن الأنبياء-عليهم السلام- والصالحين وذلك ظاهر على تقدير أن يراد بمشارك الأرض ومغاربها الشام ونواحيها"¹⁴⁹.

د- رأي محمد رشيد رضا: يحدد الأرض المباركة بأنها تمتد من حدود الشام إلى حدود مصر: "تعد في القرآن الكريم التعبير عن استخلاف الله في أرض قوم بالإيراث أي وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر بما تقدم بيانه جميع الأرض التي باركنا فيها بالخصب والخير الكثير مشارقها من حدود الشام، ومغاربها من حدود مصر، تحقيقا لوعدنا"¹⁵⁰.

148- الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن وسبع المثاني، ج 9، ص 37.

149- المصدر نفسه، ج 9، ص 37.

150- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 9، ص 97.

ويذكر قولاً ثانياً في تحديد الأرض: "وروى عن الليث بن سعد أنها أرض مصر التي كان فيها بنو إسرائيل، وأطلق بعض المفسرين القول بأنها مصر والشام"¹⁵¹.

ثم يوجه استدلال أصحاب هذا القول بأنها أرض مصر استناداً على بعض ظواهر الآيات القرآنية: "ولكن هذا الوصف أظهر في بلاد الشام ذات الجنات الكثيرة، والعيون الجارية، ومعنى إخراج المصريين منها إزالة سيادتهم وسلطانهم عنها، وحرمانهم من التفكه بنعيمها فقد كانت بلاد فلسطين إلى الشام تابعة لمصر، وكان من عادة فراعنة مصر كغيرهم من الأمم المستعمرة أن يقيموا في البلاد التي يستولون عليها حكماً و جنوداً لئلا تنتفض عليهم، وأن يسكنها كثير منهم يتمتعون بخيراتها"¹⁵².

هـ- رأي الشوكاتي: ذكر أنها أرض مصر والشام: "والأرض هي مصر والشام ومشارقتها جهات مشرقها ومغاربها جهات مغربها، وهي تلك التي كانت لفرعون وقومه من القبط، وقيل المراد جميع الأرض لأن داود وسليمان من بني إسرائيل قد ملكا الأرض، قوله"التي باركنا فيها صفة للمشارك والمغرب، وقيل صفة الأرض والمباركة فيها إخراج الزرع منها على أتم ما يكون و أنفع ما ينفق"¹⁵³.

151 - المصدر نفسه، ج 9، ص 98.

152 - المصدر نفسه، ج 9، ص 98.

153 - الشوكاتي، فتح القدير، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية- لبنان: 1415هـ -

1994م)، ج 2، ص 306.

و- رأي أطفيش: كذلك ذهب إلى أنها أرض مصر والشام: "والمراد أرض الشام شرقه وغربه، أو كله، أو مصر على أنهم رجعوا إليها، أو في زمان داود، أو ملكوها بالتصرف فيها، وكونها تحت أيديهم، ولو لم يدخلوها، والبركة بالرزق وكثرة الأنبياء" ¹⁵⁴.

ويرفض القول بأنها أرض المعمورة كلها: "و لا يصح ما قيل أرض الدنيا المعمورة، لأنه لم يملكها بنو إسرائيل كلها، ولا داود وسليمان-عليهما السلام" ¹⁵⁵.

ي- رأي الطباطبائي: حددها بنواحي فلسطين: "الظاهر أن المراد بالأرض أرض الشام و فلسطين، ويؤيده ما دل عليه قوله تعالى "التي باركنا فيها" فإن الله لم يذكر بالبركة غير الأرض المقدسة التي هي نواحي فلسطين، إلا ما وصف به الكعبة المباركة، والمعنى: أورثنا بني إسرائيل وهم المستضعفون الأرض المقدسة بمشارقتها ومغاربها، وإنما ذكرهم بوصفهم فقال: "القوم الذين كانوا يستضعفون" ليدل على عجب صنعه تعالى في رفع الوضع، وتقوية المستضعف، وتمليكه من الأرض ما لا يقدر على مثله عادة إلا كل قوي ذو أعضاء وأنصار" ¹⁵⁶.

¹⁵⁴ - أطفيش، تيسير التفسير، المطبعة العربية غرداية (1417هـ - 1996م)، ج5،

ص165.

¹⁵⁵ - المصدر نفسه، ج 5، ص 165.

¹⁵⁶ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى (مؤسسة الأعلـى لبنان:

1411هـ - 1983م)، ج17، ص4.

وقد وردت عبارة الأرض المباركة في مواطن أخرى في القرآن الكريم، ويفتضي منا البحث العلمي تتبع تلك المواطن علنا نستخرج منها مكان تلك الأرض:

1- وردت في قوله تعالى: "ونجيناه ووطنا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين" ¹⁵⁷.

والمقصود هنا في هذه الآية هو إبراهيم - عليه السلام - إذ وردت هذه الآية بعد الآيات التي تحدثت عن قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، وتكسير إبراهيم - عليه السلام - لأصنامهم إلا كبيرهم، لعلمهم يرجعون إليه لكي يعرفوا أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع، لكن القوم ركبوا رؤوسهم، ولم يسمعوا لمنطق العقل، وقرروا أن يجعلوا إبراهيم - عليه السلام - في النار لإحراقه، فأنجاه الله عز وجل وجعل النار عليه بردا و سلاما، وانتقل بأمر الله تعالى من موطنه الأصلي إلى الأرض المباركة، فأين تقع تلك الأرض يا ترى.

أ- رأي الطبري: ذهب إلى تحديدها بأرض الشام: يقول تعالى ذكره ونجيناه إبراهيم ووطنا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وهي أرض الشام ¹⁵⁸.

ثم أورد قولاً ثانياً بأنها مكة: "وقال آخرون بل عنى مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى باركنا فيها للعالمين" ¹⁵⁹.

¹⁵⁷ - سورة الأنبياء، الآية 71.

¹⁵⁸ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 17 ص 34.

وبين بعد ذلك السبب في اختيار القول الأول بأنها أرض الشام: "وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى البيت بها واسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يبق بها ولم يتخذها وطناً لنفسه، والله إنما أخبرنا عن إبراهيم ولوط أنه أتجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"¹⁶⁰.

ب- رأي الخازن: اختار القول بأنها أرض الشام لخصوبة أرضها وكثرة ثمارها، والأنهار الموجودة فيها: "يريد نجينا إبراهيم ولوطا إلى أرض الشام، وكانا بالعراق، وكان لإبراهيم -عليه السلام- عمه، وقال ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح، وقال ابن عباس الأرض المباركة مكة، وقيل بيت المقدس، لأن منها بعث أكثر الأنبياء، وهي أيضا كثيرة الخصب والنمو، عذبة الماء، ومنها يتفرق في الأرض"¹⁶¹.

والقول بأن منها يتفرق الماء في الأرض لا يستند إلى دليل، وهو مصادم للحقيقة العلمية والتاريخية.

¹⁵⁹ - المصدر نفسه، ج 17، ص 34.

¹⁶⁰ - المصدر نفسه، ج 17، ص 35-36.

¹⁶¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية (1961م)، ج 11، ص 5.

ج- رأي الألويسي: ذكر ثلاثة أقوال الشام ومكة ومصر، ثم اختار بأنها أرض الشام: "والمراد بهذه الأرض الشام وقيل أرض مكة، وقيل أرض مصر، والصحيح الأول، ووصفها بعموم البركة لان أكثر الأنبياء-عليهم السلام- بعثوا فيها، وانتشرت في العالم شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدينية، ولم يقل التي باركانها للمبالغة بجعلها محيطة بالبركة وقيل المراد بالبركات النعم الدينية من الخصب وغيره، والأول أظهر وأنسب بحال الأنبياء-عليهم السلام-¹⁶².

د- رأي محمد الطاهر بن عاشور: ذهب إلى أنها أرض فلسطين: "والأرض هي أرض فلسطين، ووصفها الله بأنه باركها للعالمين أي الناس، يعني الساكنين بها، لأن الله خلقها أرض خصب، ورخاء عيش، وأرض أمن"¹⁶³.

هكذا نرى أن آراء المفسرين متطابقة في المراد بالأرض المباركة أنها الشام عموماً أو فلسطين إذا خصصنا وضيقتنا كما ذهب إليه محمد الطاهر بن عاشور، فهل الآية القرآنية التي أوردناها فيها ما يشير إلى الشام وفلسطين، فظاهر الآية لا يشير إلى ذلك فعمل المقصود بها مكة التي وجد بها المسجد الحرام، لكنني استبعد هذا الرأي لأن الآية التي بعدها مباشرة فيها البشارة بإسحاق وبعد إسحاق يعقوب، ولم يرد فيها إسماعيل الذي أسكنه إبراهيم بعد في مكة المكرمة، وهذا فيه إشارة ودلالة إلى أن الموضع غير مكة، ومكة بركتها بالبيت الحرام بالكعبة المطهرة، وقياساً عليه فإن تلك البقعة التي

¹⁶²- الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن وسبع المثاني، ج17 ص 70.

¹⁶³- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص 108.

وصفت بالمباركة فيها مكان استمدت منه القدسية وهذا ما يجعلني أورد آية أخرى تتحدث عن المسجد الأقصى .

2- قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" ¹⁶⁴.

والمسجد الأقصى لا خلاف في تحديده بين المفسرين بأنه مسجد بيت المقدس أو بيت المقدس: "وهو بيت المقدس، ووصفه بالأقصى أى الأبعد بالنسبة إلى من بالحجاز وقال غير واحد: إنه سمي به لأنه أبعد المساجد التي تزار من المسجد الحرام وبينهما نحو أربعين ليلة، وقيل: لأنه ليس وراءه موضع عبادة فهو أبعد مواضعها، وقال ابن عطية: يحتمل أن يراد بالأقصى البعيد، دون مفاضلة بينه وبين ما سواه وهو بعيد في نفسه للزائرين، وقيل المراد: بعده عن الأقدار والخبائث" ¹⁶⁵.

وهكذا يتبين أن الأرض المباركة لا تخرج عن مكة وبيت المقدس، والمقصود فيما ذكرنا سابقاً بيت المقدس، فهل ورد في القرآن الكريم ما يدل على تملك بني إسرائيل في فترة زمنية لتلك الأرض، وهذا ما تناقشه في العناصر التالية.

¹⁶⁴ - سورة الإسراء، الآية 1.

¹⁶⁵ - الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن وسبع المثاني، ج15، ص9.

1- تحريم دخول الأرض: قال تعالى: "فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين"¹⁶⁶.

والذي يطرح للنقاش هل التحريم أبدي أم مؤقت، وإذا كان مؤقتاً فهل هناك من الداخلين إلى الأرض ممن شملهم التحريم في وقت موسى -عليه السلام-، أم أنهم هلكوا جميعاً، وجاء جيل جديد هو الذي دخل الأرض.

أ- التحريم المؤقت: وأصحاب هذا الرأي جمعوا بين التحريم المؤقت، وتلك الأرض التي كتبها الله لهم، وبناء عليه ذكروا بأن من بقي حياً بعد انقضاء فترة التيه دخل الأرض مع موسى -عليه السلام-: "والمراد بتحريمها أنه لا يدخلها أحد منهم هذه المدة لكن لا بمعنى أن كلهم يدخلونها بعدها، بل بعضهم ممن بقي حسبما روى أن موسى -عليه السلام- سار بمن بقي من بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، و كان يشوع بن نون على مقدمته ففتحها و أقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض - عليه السلام -"¹⁶⁷.

ب- التحريم المؤبد: هناك من ذهب إلى أن التحريم مؤبد، فلا يدخلها من الذين أبوا الدخول الأول غير الرجلين الذين حرصوهم على الدخول: "وقال آخرون بل الناصب للأربعين يتيهون في الأرض، قالوا ومعنى الكلام قال فإنها محرمة عليهم أبدا يتيهون في الأربعين سنة، قالوا ولم يدخل مدينة الجبارين أحد مما قال: "إن لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون" وذلك أن الله عز ذكره حرّمها عليهم، قالوا وإنما دخلها من أولئك القوم يشوع

¹⁶⁶ -سورة المائدة، الآية 36.

¹⁶⁷ -الألوسي، روح المعاني وتفسير القرآن وسبع المثاني، ج 6 ص 109.

وكلاب اللذان قالوا لهم "ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون" وأولاد الذين حرم الله عليهم دخولها، فتيههم الله فلم يدخلها أحد¹⁶⁸.

وهذا الرأي الأخير الأقرب للصواب لأن الجيل الذي ألف الجبن، وتربى في العبودية لفرعون وملائه تمكنت تلك الصفة من نفوسهم، فلا بد من جيل جديد لم يعرف العبودية، بل تربى حرا طليقا في أرض التيه؟ ولا شك أن حياة البداوة في الصحراء تمنح أصحابها القدرة والشجاعة، لكن التساؤل الذي يطرح هل دخل فعلا بنو إسرائيل تلك الأرض؟ فالقول السائد عند المفسرين أنهم دخلوها بعد موسى -عليه السلام- بقيادة يوشع بن نون، لكن هذا الرأي لا يستند إلى دليل، فقد ذكر القرآن الكريم الأمر بالدخول لهم إلى القرية، فمن تكون تلك القرية يا ترى، هل هي الأرض المقدسة أم غيرها.

الدخول إلى القرية: "وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون"¹⁶⁹ وسأورد آراء بعض المفسرين في اسم هذه القرية.

¹⁶⁸- الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 6، ص 117.

¹⁶⁹- سورة البقرة، الآية 58-59.

أ- رأي الطبري: ذكر الطبري قولين بأنها بيت المقدس، وأريحا.

1- بيت المقدس: "والقرية التي أمر الله جل ثناؤه أن يدخلوها فياكلوا منها رغدا حيث شأؤوا فيما ذكر لنا بيت المقدس"¹⁷⁰ وذكر عدة روايات ذهبت إلى هذا القول.

- عن السدي "وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية" أما القرية بيت المقدس.

- عن الربيع "وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية" يعني بيت المقدس.

2- أريحا: والذي ذهب إلى هذا القول ابن زيد، إذ سأل ابن وهب عن "ادخلوا هذه القرية فكلوا منها" قال هي أريحا وهي قرية قريبة من بيت المقدس¹⁷¹.

ب- رأي الرازي: ذكر ثلاثة أقوال بيت المقدس وأريحا و مصر، وبين أن ظاهر القرآن لا يدل على ذلك، ويعتمد في تلك الأقوال على ما ورد من أخبار: "أما القرية فظاهر القرآن لا يدل على عينها، وإنما يرجع في ذلك إلى الأخبار، وفيه أقوال، أحدها وهو اختيار قتادة والربيع وأبي مسلم الأصفهاني أنها بيت المقدس، واستدلوا عليه بقوله تعالى في سورة المائدة: "ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم" ولا شك أن المراد بالقرية في الآيتين واحد، وثانيهما أنها نفس مصر، وثالثها: وهو قول ابن عباس وأبي زيد إنها أريحا وهي قرية من بيت المقدس¹⁷².

¹⁷⁰ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 1، ص 237.

¹⁷¹ - المصدر نفسه، ج 1، ص 237.

¹⁷² - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 3، ص 94.

ج- رأى ابن كثير: اختار ابن كثير القول الذي ذهب إلى أنها بيت المقدس، واستبعد القول بأنها أريحا أو مصر: "فأمرُوا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث عن أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة، ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس" ¹⁷³.

د- رأي المراغي: يذكر بأن القرآن لم يعينها ولذلك فلا حاجة إلى تعيين: "لم يعين الكتاب الكريم هذه القرية فلا حاجة إلى تعيينها، وهم قد دخلوا بلاداً كثيرة، وإن كان المروى عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم أنها بيت المقدس" ¹⁷⁴.

وإن كان المراغي قد بين قبل ذلك أن المقصود بالباب هو باب بيت المقدس: "والباب هو أحد أبواب بيت المقدس ويدعى الآن باب حطة" ¹⁷⁵.

¹⁷³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (دار الأندلس-لبنان)، ج1، ص170-171.

¹⁷⁴ - المراغي، تفسير المراغي، الطبعة الثالثة (1394هـ-1971م)، ج1، ص124.

¹⁷⁵ - المصدر نفسه، ج1 ص123.

المبحث الرابع

النقد والمقارنة

1- مناقشة غزو بني إسرائيل لأرض كنعان:

المصدر الوحيد الذي انفرد بنكر غزو بني إسرائيل هو العهد القديم في سفر يشوع، وقد ظلت الروايات التوراتية تسيطر على الدراسات الغربية حقبة من الزمن، وبنيت مجهودات كبرى في سبيل التأكد من صحة ما ورد في الروايات التوراتية، غير أن عمليات الحفر والتنقيب أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن ليس هناك مؤشر واحد على وجود الكيان الإسرائيلي في أرض فلسطين خلال الفترات الزمنية التي ذكرها العهد القديم، فقد نكر سفر يشوع الطريقة التي استولى بها بنو إسرائيل على المدن الكنعانية، وبدؤوا غزوهم بأريحا غير أن علم الآثار بين أن أريحا في زمن يشوع مهجورة وأسوارها محطمة؛ وتبين من الحفريات أن المدينة القديمة - التي سكنها قبائل سامية جاءت من الجزيرة العربية - كان لها أسوار عالية يبلغ ارتفاعها حوالي مترين وتحرسها أبراج للمراقبة ارتفاعها أمتار، وحتى يومنا هذا، فإن هذه هي أضم الحصون التي تم العثور عليها في أي مكان في الكرة الأرضية، وتبين أن هذه الأسوار حطمت ثم أعيد بناؤها مرات عدة في الأزمنة القديمة، كانت الأخيرة

خلال القرن السادس عشر ق.م، أي قبل ثلاثة قرون من عصر يشوع ولم تتم إعادة بناءها بعد ذلك إطلاقاً¹⁷⁶.

والذين حطموا أريحا خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد هم المصريون القدامى، إثر تغلبهم على الهكسوس بل تابعوهم إلى مدنهم وقاموا بتحطيمها ومنها مدينة أريحا، وأن الحياة لم تعد إليها إلا بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد، فأين هي الأسوار التي ذكر سفر يشوع، والدورات التي كانت حولها، والصياح الذي أسقط تلك الأسوار، والمذابح الجماعية التي أقامها يشوع.

و ثاني مدينة سقطت في يد يشوع وأتباعه مدينة "عاى" وكانت مهجورة من سكانها في ذلك الزمن كذلك: "أما عاى التي يقول سفر يشوع إنها كانت المدينة الثانية التي تسقط في يد بني إسرائيل عند دخولهم أرض الميعاد، فقد أظهر نتائج الحفريات أنها كانت تحطمت - هي الأخرى - عند بداية العصر البرونزي في القرن 24 ق.م، أي أحد عشر قرناً قبل يشوع، ولم تسكن مرة أخرى إلا منذ القرن 12 ق.م، حينما أخذت قرية صغيرة تنمو في هذا الموقع¹⁷⁷."

ونفس الشيء يقال عن بقية المدن الفلسطينية الأخرى.

2- عند غزو بني إسرائيل لأرض فلسطين هل كانت خالية من السكان أم كانت عامرة بسكانها؟ فالإجابة امتدتنا بها نصوص العهد القديم التي أوردناها في المباحث السابقة، فعند دخول يشوع بن نون أرض كنعان كانت هناك شعوب كثيرة منها: الكنعانيون، والفلسطينيون، والحيثيون، والأموريون وغيرهم،

¹⁷⁶ - أحمد عثمان، تاريخ اليهود، ج 1، ص 123.

¹⁷⁷ - المرجع نفسه، ص 106.

وكانت لهم ممالك قوية في المنطقة: "الممالك الكنعانية في المنطقة التي تشغلها الآن معظم فلسطين، وقد اشتهرت هذه الممالك ببناء المدن المحصنة مثل: أريحا، بيسان (بيت شان)، مجدو.. كما استطاعت أن تقيم لها حضارات عظيمة، كان من أبرز نواحيها التقدم في الزراعة والصناعة وتجارة القوافل التي كانت تتم عن طريق الجمال لتتقل السلع من بلاد ما بين النهرين إلى ساحل البحر المتوسط أو العكس" ¹⁷⁸.

والقرآن لكريم أخبرنا بأن الأرض المقدسة كان بها سكان عندما أمر الله تعالى موسى - عليه السلام - بدخول الأرض المقدسة، وقد برر بنو إسرائيل إياهم دخول تلك الأرض بان فيها قوما جبارين.

والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن بني إسرائيل عند أمرهم بدخول الأرض المقدسة كانوا ضعافا مضطهدين في مصر، وكانوا أتباعا لرسول من أولي العزم من الرسل هو موسى - عليه السلام - ومن ثم جاءهم الأمر من الله بدخول الأرض المقدسة ليس لقوتهم، ولا لتفوقهم العسكري والحضاري، إنما لأنهم أصحاب دعوة توحيدية، لكن جبنوا وأبوا الدخول فكتب الله عليهم التيه أربعين سنة وحرموا من دخول الأرض المقدسة، فكيف يحق لمن يزعمون الآن من اليهود أنهم أتباع بني إسرائيل القدامى بالمطالبة بالحق التاريخي الذي حرم منه القدامى من بني إسرائيل رغم بقائهم على الإيمان بالتوحيد، وتخلي

¹⁷⁸ - فتحي فوزي عبد المعطي ، المزاعم الصهيونية في فلسطين (دار المعارف بمصر)،

اليهود المعاصر عن الإيمان بالتوحيد، وكفروا بالرسالة الخاتمة التي حملها الإسلام.

3- عند دخول بني إسرائيل أرض كنعان حسب روايات العهد القديم، قد وزعت تلك الأرض بين الأسباط، وكان لكل سبط رقعة جغرافية معينة، حيث نلاحظ في هذه الرقعة الجغرافية رسماً دقيقاً للحدود الفاصلة بين أراضي الأسباط من جهة، وبين الأراضي المتاخمة لها من جهة ثانية؟ وهذا التقسيم الدقيق لتلك الأرض بحدودها لم يعرف في الزمن الذي دخل فيه يشوع بن نون مع بني إسرائيل إلى تلك الأرض على افتراض وقوعه، إنما هو تقسيم متأخر جداً، و ذلك يدل دلالة قاطعة أن الكاتب كان في عصر متأخر جداً عن يشوع بن نون: "إن الحدود بين الدول لم تكن واضحة المعالم بالمعنى المعاصر، وطالما أن فلسطين الدولة الأم" بل والأردن ولبنان "كذلك كانت جميعها قائمة بشهادة الكتاب المقدس في ذلك الوقت فإن المدن المجاورة لها والواقعة بينها لا بد وأنها كانت ستتبعها في لحظة ما في التاريخ"¹⁷⁹.

4- روايات العهد القديم تسقط الحق التاريخي المزعوم من قبل اليهود في أرض فلسطين، إلى جانب الإبادة المثبتة في تلك النصوص التي يعاقب عليها الآن القانون الدولي حيث ذبحوا سكان المدن التي احتلوها بل أن الحيوانات من البقر والغنم لم تسلم من ذلك: "والبديهي بعد هذه الشهادة الواضحة، التي قدمها

¹⁷⁹ - محمد الحسيني اسماعيل ، بنو اسرائيل ، الطبعة الأولى (مكتبة وهبة: 1422هـ -

2002م)، ص 65.

لنا الكتاب المقدس، والتي تدين بني إسرائيل بشدة وتسحق أي حق تاريخي لهم في المنطقة، ليس لهم إلا الإعتراف بهذا الواقع و قبوله¹⁸⁰.

5- ليس هناك إشارة صريحة في القرآن الكريم تفيد أن بني إسرائيل قد دخلوا الأرض المقدسة، وكل ما في الأمر أن هناك بعض الآراء التفسيرية التي بين أصحابها أن المراد بالقرية الواردة في القرآن الكريم، وأمر بني إسرائيل بدخولها على هيئة معينة، وخالفوا ذلك واستبدلوها بهيئة أخرى، أريحا أو بيت المقدس وذلك لا يستند إلى دليل شرعي ولا تاريخي، وهذا يرجح بأنهم استوطنوا قرية من القرى المهجورة بعد انقضاء فترة النبيه.

6- جغرافية الأرض التي وصفت في العهد القديم التي احتلها بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون، فيها أسماء مناطق مبهمه لم يجد لها مفسروا العهد القديم مدلولات فوضعت بغير الواضحة، غير أن بعض الباحثين وجدوا لها تفسيراً في منطقة أخرى غير فلسطين تدعى الآن منطقة عسير، وهنا أشير إلى دراستين تتعلق بالموضوع أولهما لكمال صليبي تحت عنوان "التوراة جاءت من جزيرة العرب" والثانية لزياد منى تحت العنوان: "جغرافية التوراة" وكلاهما وصلا إلى النتيجة ذاتها و هي أن بني إسرائيل قد تواجدوا قديماً في منطقة عسير، ولا علاقة لهم إطلاقاً بأرض فلسطين.

¹⁸⁰ - محمد الحسيني اسماعيل ، البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي ، الطبعة الأولى (مكتبة وهبة : 1421هـ - 2000م) ، ص 190.

أ-دراسة كمال صليبي: بين كمال صليبي أن اكتشافه تم عن طريق الصدفة. عندما كان يبحث الأسماء الغير عربية للأماكن في غرب شبه الجزيرة العربية: فوجد كل الأسماء الواردة في أرض التوراة موجودة هناك: "فوجدت بوجود أرض التوراة كلها هناك، وذلك في منطقة بطول يصل إلى حوالي 600 كيلومتر وبعرض حوالي 200 كيلومتر، تشمل ما هو اليوم عسير والجزء الجنوبي من الحجاز، وكان أول ما تنبتهت إليه أن في هذه المنطقة أسماء أمكنة كثيرة تشبه أسماء الأمكنة المذكورة في التوراة، وسرعان ما تبين لي أن جميع أسماء الأمكنة التوراتية العالقة في ذهني، أوجها مازال موجودا فيها، وقد تبين لي أيضا أن الخريطة التي تستخلص من نصوص التوراة في أصلها العبري، سواء من ناحية الأمكنة أو من ناحية القرائن، أو الإحداثيات تتطابق تماما مع خريطة هذه الأرض"¹⁸¹.

ب-زيامني: يؤكد الباحث تطابق جغرافية أرض التوراة مع منطقة عسير، وقد اعتمد على النصوص العبرية وقام بترجمتها مع إجراء المقارنة مع النصوص المترجمة، وقد وجد تفسيراً لبعض الأسماء المبهمة عند مفسري العهد القديم: "إن قراءة العهد القديم في ضوء جغرافية جزيرة العرب وفق المنهجية التي اخترتها تستدعي ضمن أمور أخرى، تحليل نصوص جغرافية ثبت أنها غير قابلة للتطبيق على أرض فلسطين، وعندما نتمكن من فهم تلك النصوص

¹⁸¹ - كمال صليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عقيف الرزاز الطبعة الرابعة (مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان : 1991)، ص 227.

ضمن جغرافية عسير نكون قد أرسينا قاعدة علمية صلبة لموضوعة العمل¹⁸².

وقد التزم الباحث في دراسته بهذا المنهج وتوصل إلى التطابق الكامل بين أسماء أماكن أرض التوراة، و أسماء أماكن منطقة عسير، بل وجد المنطولات المبهمة في تفسيرات العهد القديم في تلك المنطقة: "وقد أثبتنا أن هذه المنهجية هي الأكثر سلاسة ودقة، حيث أفلحنا في ما عجزت عنه أجيال من علماء التوراة، رغم أنه ساورتنا بعض الشكوك أحيانا فيما يتعلق بالموقع الصحيح الذي وجب إعطاؤه كدريف لما ورد في التوراة"¹⁸³.

فكرة أرض الميعاد: حددت أرض الميعاد عند الإسرائيليين من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات: "وبذلك وسعت أرض الميعاد ضمن ما وسعت تلك المساحة التي تعرف ببلاد الهلال الخصيب، وكان ذلك الميثاق الذي قطعه الرب مع إبراهيم أصل تلك العبارة المنقوشة على أبواب الكنيسة الإسرائيلي شعارا لدولة إسرائيل" من النيل إلى الفرات" فالهلال الخصيب كما تجري رواية التوراة هو أرض الميعاد التي وعد بها إبراهيم في عبوره من أور إلى أرض كنعان¹⁸⁴.

وهكذا تطورت فكرة أرض الميعاد عندهم من جزء من أرض فلسطين، لتشمل بعد ذلك كل أراضي فلسطين، لتتعداها في مرحلة ثالثة إلى كل الأرض الممتدة

¹⁸² - زياد منى ، جغرافية التوراة (رياض الريس للكتب والنشر) ، ص 147.

¹⁸³ - المرجع نفسه، ص 177.

¹⁸⁴ - حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، ص 31.

من الفرات إلى النيل، وهو المطالب الأساسي التي تسعى الحركة الصهيونية الآن لتحقيقه: "ويجري التداول اليوم، بعدد من الصيغ المتباينة لحدود أرض إسرائيل التوراتية التي تفسرها مراجع حاخامية كحدود تعود في الوضع المثالي للدولة اليهودية، والصيغة الأبعد أثرا تشمل ضمن تلك الحدود كامل سيناء وجزءا من شمالي مصر وحتى ضواحي القاهرة، في الجنوب، كامل الأردن وجزءا كبيرا من العربية السعودية، كامل الكويت وجزءا من العراق جنوبي الفرات في الشرق، كامل لبنان وسوريا مع جزء كبير جدا من تركيا (حتى بحيرة فان)، في الشمال، وقبرص في الغرب"¹⁸⁵.

وقد رد القرآن الكريم على هذه المزاعم: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"¹⁸⁶.

¹⁸⁵ - إسرائيل شاحاك ، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود ، ترجمة رضا سلمان الطبعة

السابعة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت لبنان: 2003)، ص 29.

¹⁸⁶ - سورة الأنبياء، الآية 105.

جامعة الأمير

الفصل الثالث

الشعب الإسرائيلي

الكتاب للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

الشعب في العهد القديم

1- تسميات الشعب: أطلقت عدة تسميات على الشعب الإسرائيلي: عبراني،

إسرائيلي، يهودي.

أ- عبراني:

وترد أيضا بجمع عبري وجمعها عبريون، وعبرانيون، وقد وردت

التسمية في العهد القديم منسوبة إلى أحد الأجداد القدامى لبني إسرائيل حسب

تصورهم: "وعاش سام بعدما ولد أرفكشاد خمس مئة سنة وولد بنين وبنات،

وعاش أرفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد شالح، وعاش شالح ثلاثين سنة

وولد عابر"¹.

ويقرر أحد شراح الكتاب المقدس أن تسمية العبرانيين ترجع إلى هذا الجد

المذكور في هذا النص حيث كان من نريته إبراهيم وإسحاق ويعقوب: "ذكر

الوحي شيئا عن مواليد سام، ولما وصل إلى فالج ويقطان ابني عابر قصر

الكلام على ذكر مواليد يقطان، وفي هذه الأعداد يتحدث عن مواليد فالج حيث

يوصل الحديث عن الآباء الذين تناسلوا منه أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب،

وعن تاريخ الشعب العبراني بوجه عام، وقد ظهر أنبياء العهد القديم من نسله

¹ - سفر التكوين، الإصحاح 11، الفقرات 11-14.

كما ظهر السيد المسيح، ودعي الشعب "العبراني" هكذا نسبة إلى "عابر" وربما نسبة إلى عبورهم الفرات أيضا².

وقد ورد في النص السابق اسم يقطان فيا ترى من يكون يقطان هذا أليس هو قحطان الذي تنتمي إليه القبائل العربية الساكنة في ناحية الجنوب: "وهو المعروف عندنا باسم "قحطان" الذي تنتمي إليه جميع قبائل العرب في الناحية الجنوبية في اليمن وحضرموت وغيرهم، كما أن العرب الشماليين أو "العذنانية" ينتمون إلى إبراهيم سليل عابر هذا، شأنهم في ذلك شأن بني إسرائيل"³.

وبناء على ما سبق يتبين لنا بطلان النسبة في التسمية إلى عابر، فهو جد كذلك لشعوب لا تنتمي إلى بني إسرائيل.

أما النسبة الثانية فلا إبراهيم - عليه السلام - حيث أطلق عليه العهد القديم اسم إبراهيم العبراني: "فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني وكان ساكنا عند بلوطات ممر الأموري"⁴ فما المقصود بالعبراني في هذا النص، هل يعني احد أبناء عابر، أو نسبة إلى عبوره نهر الفرات: "دعي عبرانيا. كما دعي نسله عبرانيين، إما نسبة إلى عابر احد أجداده، وإما لأنه وفد إلى كنعان عابر نهر

² - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس. سفر التكوين ، ص 159.

³ - حسن ظاطاء، الشخصية الإسرائيلية، الطبعة الأولى (دار القلم: 1405هـ - 1985 م)، ص 23.

⁴ - سفر التكوين، الإصحاح 14، الفقرات 13.

الفرات فيكون معنى العبراني حينئذ المهاجر الذي عبر النهر، والذي من الضفة الأخرى، أو من وراء المياه"⁵.

والنسبة الثالثة ترجع إلى الحال الذي كان عليه بنو إسرائيل حيث أنهم لم يستقروا في مكان معين بل عرفوا بالارتحال في الصحراء من مكان إلى آخر: "وهناك فريق ثالث يرى أن كلمة "عبري" لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي للعبرانيين، وهو الصحراء، إذ أن القوم إنما كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، ومن هنا فإن كلمة عبري مثل كلمة بدوي، أي ساكن الصحراء أو البادية، ولكن هذا الرأي يناقضه أن هذه التسمية إنما اختص بها العبرانيون دون غيرهم من الأمم السامية، والتي لا تختلف عنهم في موطنهم الأصلي"⁶.

ويذهب فريق من الباحثين إلى أن اللفظ عبري له علاقة باللفظين "عبيرو" و"خبيرو" الوارد عند قدماء المصريين والآشوريين والبابليين: "حاول بعض الباحثين المحدثين ربطها بلفظة وردت في لوحات تل العمارنة بصعيد مصر، وفي نقوش من دولة الكشيين التي أعقبت الأسرة البابلية الأولى في العراق، وفي كتابات حثية من بوغازكوي بتركيا، وفي وثائق آشورية من حفائر بوزي القريبة من كرلوك شمال العراق"⁷.

⁵ - نجيب جرجس تفسير الكتاب المقدس، سفر التكوين ، ص 155.

⁶ - محمد بيومي مهران ، بنو إسرائيل، ج 1، ص 31.

⁷ - حسن ظاظا ، الشخصية الإسرائيلية ، ص 24-25.

وتحمل كلمة عبري عدة دلالات نذكر منها: الغريب، الأجنبي، اللغة، التراث: "وهناك إشارات إلى أن اللفظ استخدم على لسان الشعوب التي عاش بينها العبريون، بل إن التوراة نفسها تتحدث عن العبريين بصفتهم غرباء، بما قد يعني أن العبري أجنبي"⁸. وقد ورد هذا اللفظ في بعض الأحكام التشريعية لبني إسرائيل: "وهذه هي الأحكام التي تضع أمامهم، إذا اشترت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجاتا، إن دخل وحده فوحده يخرج، إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه"⁹.

كما استخدم هذا اللفظ أثناء وجود بني إسرائيل في مصر: "وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالمهم فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل، ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلا عبرانين يتخاصمان"¹⁰.

ويستعمل اللفظ عبري للدلالة أيضا على اللغة: "إن كلمة عبري تستخدم للدلالة على اللغة التي تحدثت بها هذه الجماعات المشار إليها سابقا وهي اللغة العبرية القديمة كما تطلق أيضا على الأدب الذي تم إنتاجه بهذه اللغة باختلاف العصور من أدب عبري قديم وحديث، فالأدب العبري هو الأدب الذي استخدم اللغة

⁸ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، الطبعة الأولى (دار قباء: 1998)، ص22.

⁹ - سفر الخروج، الإصحاح 21، الفقرات 1-3.

¹⁰ - سفر الخروج، الإصحاح 2، الفقرات من 11 إلى 12.

العبرية كوسيلة للتعبير بصرف النظر عن اللغة المستخدمة بين الشعوب التي عاش فيها اليهود في مراحل تاريخهم المختلفة¹¹.

ومن خلال استعراضنا للأراء المختلفة في سبب تسمية الشعب بالعبري، نرجح أن الرأي الأقرب للصواب هو مدلول الأجنبي، لأن شعب بني إسرائيل من وجوده في مصر إلى انتقاله إلى أرض كنعان، إلى وقوعه في السبي الآشوري أولاً، والسبي البابلي ثانياً، وهو في موضع الأجنبي بين السكان الأصليين لتلك الأراضي.

ب- إسرائيلي: هذه التسمية لها مدلول خاص، وآخر عام.

1- المدلول العام:

يرجع أصل التسمية إلى حادثة وقعت ليعقوب - عليه السلام - ذكرها العهد القديم: "فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فاتخلى حق فخذ يعقوب في مصارحته معه، وقال أطلقتي لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني، فقال ما اسمك، فقال يعقوب، فقال لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك، فقال لماذا تسأل عن إسمي وباركه هناك، فدعا يعقوب إسم المكان فنيئيل، فاتلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي، وأشرق له الشمس إذ عبر فنيئيل وهو يجمع على فخذه، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء

¹¹ - محمد خليفة حسن أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية ، ص:23.

الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء¹².

وهذا النص يبين سبب تغيير الإسم من يعقوب إلى إسرائيل، فربطه بهذا الصراع الشديد الواقع بين يعقوب والرب، وهذا عنصر أسطوري في هذه الحادثة: "ويمكن اعتبار الأسطورة التي ارتبطت بتغيير اسم يعقوب- عليه السلام - إلى إسرائيل من نوع الأسطورة التي يطلق عليها علماء تاريخ الأديان اسم أسطورة الأصل MYTH OF ORIGIN، أو الأسطورة التعليلية أو التبريرية AETIOLOGICAL MYTH، وهدف مثل هذه الأسطورة إعطاء تفسير تصوري لأصل عادة أو تقليد أو اسم أو شيء"¹³.

وعلق احد الباحثين على هذه الحادثة الغربية التي تتلاقى فيها قوة بشر مع قوة إله في ميدان التصارع: "إن إسم إسرائيلي الذي منحه يهوه ليعقوب هو اسم احد ملائكة الميثولوجيا الكلدانية، وتقيد الخرافة اليهودية بأن إسم إسرائيل يعني "القوي ضد الله"، أما الكاتب اليهودي الواسع الثقافة فيلون فيؤكد أن إسم إسرائيل هو إسم كلداني، وليس يهوديا، وهو يعني "الذي رأى الله"، ولكن مهما كان الأمر، فليس بمقدورنا أن نقرأ هذه القصة نون أن تبتسم، ومن الصعب جدا أن تقع في أي ميثولوجيا ما عدا الأكثر بدائية منها، على وصف لإنسان

¹² - سفر التكوين، الإصحاح 32، الفقرات من 24 إلى 31.

¹³ - محمد خليفة أحمد حسن، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة. (دار

الثقافة: 1985 م)، ص : 14.

تساوي قوته قوة إله من الآلهة، أما يعقوب لم يصمد في وجه الإله يهوه وحسب، بل انتصر عليه أيضا، بغض النظر أنه خلع له حقه¹⁴.

وانتسب أبناء يعقوب - عليه السلام - بذريتهم إليه فقبل لهم بنو إسرائيل وأحيانا إسرائيل، وهذه الكلمة تحمل إليهم في طياتها تلك البطولة والنصر والغلبة: "وقد قدر ليعقوب أن يكون شيخ عشيرة تنتمي إليه، وهم بنو إسرائيل، فراحوا يتناقلون هذه المفخرة الماثورة عن سلفهم القديم المبارك، الذي فعل العجائب في تلك الليلة الرهيبة، وأثبت أنه من الأقوياء الجبابرة القادرين على المصارعة وعلى التغلب على الأنداد، لا من البشر فحسب، بل عندما يصارع الله أيضا!! وعبادة القوة البدنية من شيم المجتمعات الفطرية البدائية"¹⁵.

وأطلق اسم إسرائيل كعلم على العبرانيين منذ خروجهم من مصر: "ثم صار علما عليهم منذ خروجهم من مصر وحتى آخر أيام شاول - أول ملوك إسرائيل - وليس إلى ما بعد موت سليمان - عليه السلام - فيما يرى البعض"¹⁶.

2- المدلول الخاص:

أطلقت كلمة إسرائيل على المملكة الشمالية بعد انقسام الملك في بني إسرائيل، كما أطلقت مضافة إلى ارض كنعان فقبل لها ارض إسرائيل أي بمعنى أدق أن هناك دلالة سياسية وأخرى جغرافية.

¹⁴ - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص: 135.

¹⁵ - حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية ص: 15.

¹⁶ - محمد بيومي مهران بنو إسرائيل، ج 1، ص: 36.

أ-الدلالة السياسية: ظهرت هذه الدلالة بعد الانشقاق الذي أصاب مملكة سليمان -عليه السلام- وبعد وفاته، فأطلق على المملكة الشمالية اسم إسرائيل: "كانت دولة إسرائيل تحتل أغلبية الأسباط، وكانت أوسع رقعة من دولة يهوذا، ولكن دولة إسرائيل كانت مضطربة كثيرة الانقلابات، في حين كانت يهوذا أكثر استقراراً وهدوءاً، ومن أجل هذا تغلب على عرش مملكة إسرائيل ملوك من أسر متعددة، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات أكثر من مرة"¹⁷.

ب-الدلالة الجغرافية: أطلقت على أرض كنعان أو أرض فلسطين تسمية مضافة إلى إسرائيل فقبل لها أرض إسرائيل: "وهناك دلالة خاصة للتسمية إسرائيلي وهي دلالة جغرافية متأخرة في الظهور عن الدلالة العامة للتسمية ويؤرخ لظهور هذه الدلالة السياسية الجغرافية بحدث تاريخي هام هو انشقاق مملكة داود وسليمان المتحدة"¹⁸.

ج-يهودي: تأتي هذه التسمية يهودي من حيث الظهور التاريخي بعد الإسمين السابقين "عبري" و"إسرائيلي" والكلمة "يهودي" تعود في أصلها إلى الإبن الرابع ليعقوب -عليه السلام- وهو يهوذا: "وكلمة يهوذا كمصطلح لها تاريخ نذكره هنا باختصار فهي في أصلها الأول تعود إلى الإسم يهوذا، وهو أحد أبناء يعقوب -عليه السلام- وبالتالي فهو احد أسباط بني إسرائيل حسب التعبير

¹⁷ - أحمد شلبي، اليهودية، الطبعة الثانية(مكتبة النهضة: 1988)، ص 83.

¹⁸ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية ص: 26-27.

القرآني، ويعتبر يهوذا أهم شخصية في قصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته بل إن المصدر اليهودي يعتبره أهم من يوسف نفسه¹⁹.

وقد تعددت الآراء حول البداية الزمنية لاستخدام هذا المصطلح: "وقد اختلفت الآراء حول بداية استعمال هذا الاسم، فهناك من يرجعه إلى أيام موسى (أي الثالث عشر ق.م) - كما رأينا - وهناك من يرجعه إلى أيام داود (1000-960 ق.م)، وسليمان (960-922) حين كانت الغلبة على الإسرائيليين لبسط يهوذا، وان كانت التوراة لم تذكره قبل أيام (أحاز) (735-715 ق.م) ملك يهوذا، وأخيراً هناك فريق تأخر به إلى أيام الفرس (539-332 ق.م)"²⁰.

وقد كان لمصطلح يهودي دلالة سياسية وجغرافية بعد انقسام الملك في بني إسرائيل بعد سليمان عليه السلام -: "ومنذ هذا الانقسام تبلورت التسمية 'يهودي' لتكسب دلالتها السياسية والجغرافية، واستمرت هكذا حتى نهاية الوجود السياسي لمملكة يهوذا على يد البابليين بزعامة نبوخذ نصر حوالي 582 ق.م، ولا يمنع هذا من احتمال استمرار استخدام التسمية 'يهودي' كتعبير عن الانتماء إلى منطقة جغرافية"²¹.

ولتسمية يهودي دلالة دينية خاصة وأن الأنبياء الكبار في التاريخ الإسرائيلي كانوا من يهوذا، وقد بذلوا مجهودات كبيرة لتوحيد الرؤى الدينية : "وأصبحت التسمية يهودي تستخدم للدلالة على من يعتقد في مجموعة المفاهيم الدينية التي

¹⁹ - المرجع نفسه ، ص : 29.

²⁰ - محمد بيومي مهران ، بنو إسرائيل ، ج 1 ، ص : 39.

²¹ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية ، ص : 30.

كونت الديانة الإسرائيلية، وأصبحت عبارة الديانة اليهودية تعادل في معناها الديانة الإسرائيلية، وكذلك أصبحت كلمة "يهودي" من الناحية الدينية تعادل "إسرائيلي"، ونعتقد أن هذا التغيير لم يكن في الإمكان لولا هذه الإجراءات الإصلاحية الدينية التي قام بها بعض ملوك يهوذا²².

وقد وردت الكلمة "يهودي" في أسفار العهد القديم: نذكر على سبيل المثال طرد ملك أرام لليهود: "في ذلك الوقت أرجع رصين ملك أرام أيلة للأراميين وطرد اليهود من أيلة وجاء الأراميون إلى أيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم"²³.

كما وردت الكلمة يهودي كذلك في هذا الموضع: "وإذا كانوا يكلمونه يوماً فيوماً ولم يكن يسمع لهم أخبروا هامان ليرى هل يقول كلام مردخاي لأنه أخبرهم بأنه يهودي، ولما رأى هامان أن مردخاي لا يجثوا ولا يسجد امتلاً هامان غضباً، وازدرى في عينه أن يمد يده إلى مردخاي وحده لأنهم أخبروه عن شعب مردخاي فطلب هامان أن يهلك جميع اليهود الذين في كل مملكة أحشويروش شعب مردخاي"²⁴.

وهكذا يتضح لنا أن التسمية الأخيرة هي التي سادت عند بني إسرائيل بعد السبي الآشوري حيث قضى على مملكة إسرائيل ككيان، ولم تبقى إلا مملكة يهوذا حتى بعد سببها من طرف البابليين، فشعبها هو الذي استطاع العودة ثانية

²² - محمد خليفة حسن أحمد، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة،

ص: 28

²³ - سفر الملوك الثاني، الإصحاح 16، الفقرات 6.

²⁴ - سفر أستير، الإصحاح 3، الفقرات من 4 إلى 6.

حسب ما يذهب إليه العهد القديم، وأوجد كيانا يهوديا من جديد فيما عرف بأرض يهوذا، ومن ثم فمصطلح "يهودي" أخذ بعدا جديدا ارتبط بالأرض فقيل لها اليهودية.

2- أقسام الشعب:

ينقسم الشعب الإسرائيلي إلى اثنتي عشر سبطا، وسندرس في هذا العنصر أصل الأسباط، إحصاء الأسباط، سلطة الأسباط، الصراع بين الأسباط.

أ- أصل الأسباط:

النسبة في سبط ترجع إلى ابن من أبناء يعقوب - عليه السلام - الاثني عشر: رؤوبين، شمعون، لاوي، يهوذا من زوجته ليئة: "فحبلت ليئة وولدت ابنا ودعت اسمه رؤوبين، لأنها قالت إن الرب قد نظر إلى مذنتي، إنه الآن يحبني رجلي، وحبلت أيضا وولدت ابنا وقالت إن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضا فدعت اسمه شمعون، وحبلت أيضا وولدت ابنا، وقالت الآن هذه المرة يقترن بي رجلي لأنني ولدت له ثلاثة بنين لذلك دعي اسمه لاوي، وحبلت أيضا وولدت ابنا وقالت هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهوذا"²⁵.

ودان ونفتالي من زوجته بلهة: " فحبلت بلهة وولدت ليعقوب ابنا، فقالت راحيل قد قضى لي الله وسمع أيضا لصوتي وأعطاني ابنا لذلك دعت اسمه

²⁵ - سفر التكوين، الإصحاح 29، الفقرات من 32 إلى 35.

دانا، وحبلت أيضا بلهة جارية راحيل وولدت ابنا ثانيا ليعقوب، فقالت راحيل مصارعات الله قد صارعت أختي وغلبت فدعت اسمه نفتالي²⁶.

وجاد وأشير من زوجته زلفة: " فولدت زلفة جارية لينة ليعقوب ابنا، فقالت لينة بسعد فدعت اسمه جاد، وولدت زلفة جارية لينة ابنا ثانيا ليعقوب، فقالت لينة بغبطتي لأنه تغبطني بنات فدعت اسمه أشير²⁷.

ويساكر وزبولون من زوجته لينة: "وسمع الله للينة فحبلت وولدت ليعقوب ابنا خامسا، فقالت لينة قد أعطاني الله أجرتي لأني أعطيت جاريتي لرجلي فدعت اسمه يساكر وحبلت أيضا لينة وولدت ابنا سادسا ليعقوب، فقالت لينة قد وهبني الله هبة حسنة، الآن يساكنني رجلي لأني ولدت له ستة بنين فدعت اسمه زبولون".²⁸

ويوسف وبنيامين من زوجته راحيل: "وذكر الله راحيل وسمع لها الله وفتح رحمها، فحبلت وولدت ابنا فقالت قد نزع الله عاري، ودعت اسمه يوسف، قائلة يزيدني الرب ابنا آخر"²⁹.

1- الصراع بين أبناء يعقوب:

تبدأ قصة الصراع بين أبناء يعقوب - عليه السلام - بعد أن ينال واحد منهم وهو يوسف - عليه السلام - المكانة عند أبيهم يعقوب، وتبدأ قصة

²⁶ - سفر التكوين الإصحاح 30 الفقرات من 5 إلى 8.

²⁷ - سفر التكوين، الإصحاح 30 ، الفقرات من 10 إلى 13.

²⁸ - سفر التكوين ، الإصحاح 30، الفقرات من 17 إلى 20.

²⁹ - سفر التكوين، الإصحاح 30، الفقرات من 23 - 24.

الصراع من رؤيا يوسف - عليه السلام - : " فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت، فما نحن حازمون حزما في الحقل، وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي، فقال له إخوته لعنك تملك ملكا أم تتسلط علينا تسلطا، وازدادوا أيضا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه"³⁰.

ثم رأى حلما ثانيا ولا يختلف عن الأول في ملوله: "ثم حلم أيضا حلما آخر وقصه على إخوته، فقال إنني حلمت أيضا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي، وقصه على أبيه وإخوته، فانتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت، هل نأتي أنا وأمك وإخوتك نسجد لك إلى الأرض، فحسده إخوته، أما أبوه فحفظ الأمر³¹ وذهب الأبناء لرعاية الغنم، وانتاب الأب الخوف على أبنائه، فأراد أن يطمئن عليهم، فأرسل يوسف ليخبره بحالهم وبعد عناء وجهد وجد يوسف إخوته فلما رأوه مقبلا عليهم بدأ التآمر يدب إلى نفوسهم: "فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه، فقال بعضهم لبعض هو ذا صاحب الأحلام قادم، فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش ردي أكله، ففروا ماذا تكون أحلامه"³²، لكن واحد من إخوته وهو رؤوبين صرفهم عن قتله، وأشار عليهم بأن يطرحوه في البئر، وكان يضم في نفسه إنقاذه والرجوع به إلى أبيه، لكن جاءتهم الفرصة في غياب رؤوبين أنهم رأوا قافلة للإسماعيليين فاقترح عليهم يهوذا أن يبيعه،

³⁰ - سفر التكوين، الإصحاح 37، الفقرات من 6 إلى 8.

³¹ - سفر التكوين، الإصحاح 37، الفقرات من 7 إلى 11.

³² - سفر التكوين، الإصحاح 37، الفقرات من 18 إلى 20.

ووقع كاتب السفر في التناقض مرة يذكر الإسماعليين، وأخرى المديانيون: "واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعليين بعشرين فضة فأتوا بيوسف إلى مصر"³³، وبعد ذلك يظهر المديانيين مرة أخرى في عملية بيعه في مصر: "وأما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط"³⁴.

والذي يهمننا في هذا المبحث هو قضية الصراع بين الأبناء لذلك لا أتعرض إلى تفاصيل كثيرة في قصة يوسف ذكرت في سفر التكوين، لكن الذي يستوقفني مرة أخرى هو الحلم، فحلم يوسف الأول كان سببا لكيد إخوته له، وتخلصهم منه، وبيعه في سوق الرقيق، والحلم مرة ثانية هو الذي سيكون سببا في نيله منصبا مرموقا في مصر.

-الحلم في السجن: دخل مع يوسف في السجن ساقى الملك وخبازه، وفي ليلة رأى كل واحد منهما حلما، وبدت ملامح القلق والحيرة بادية على وجهيهما، ويبحثان عن من يفسر لهما الحلم.

أ- حلم ساقى فرعون:

ونص الحلم كما يلي: "كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي، وفي الكرمة ثلاثة قصبان، وهي إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقبها عنبا، وكانت كأس فرعون في يدي، فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون وأعطيت الكأس في يد فرعون، فقال له يوسف هذا تعبيره، الثلاثة قصبان هي ثلاثة

³³ - سفر التكوين، الإصحاح 37، الفقرة 28.

³⁴ - سفر التكوين، الإصحاح 37، الفقرة 36.

أيام، في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك، فيعطى كأس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه، وإنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع إليّ إحسانا وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت، لأنني قد سرقت من أرض العبرانيين، وهنا أيضا لم أفعل شيئا حتى وضعوني في السجن"³⁵، وحدث له كما أخبره يوسف - عليه السلام -.

ب- حلم رئيس الخبازين:

وعندما سمع رئيس الخبازين تعبير يوسف لحلم ساقى فرعون قصى عليه حلمه: "كنت أنا أيضا في حلمي وإذا ثلاثة سلال حواري على رأسي، وفي السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز، والطيور تأكله من السل عن رأسي، فأجاب يوسف وقال هذا تعبيره، الثلاثة سلال هي ثلاثة أيام، في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك"³⁶، وتحقق تفسير يوسف لهذا الحلم.

ج- حلم فرعون مصر:

بعد مرور سنتين عن الحلمين السابقين، جاء دور فرعون مصر، ورأى بدوره حلما، وبحث عن من يفسر له هذا الحلم، وتذكر الساقى الحادثة القديمة وأخبر فرعون عن قدرة يوسف في تعبير الأحلام، وأمر فرعون فأحضر له يوسف وقصّ عليه ما رأى: "فقال فرعون ليوسف إني كنت في حلمي واقفا على شاطئ نهر، وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة

³⁵ - سفر التكوين، الاصحاح 40، الفقرات من 9 إلى 18.

³⁶ - سفر التكوين، الاصحاح 40، الفقرات من 16 إلى 19.

الصورة، فارتعت في روضة، ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراؤها مهزولة وقبيحة الصورة جدا ورقيقة اللحم، لم أنظر في كل أرض مصر مثلها في القباحة، فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة السبع الأولى السمينه، فدخلت أحوامها ولم يعلم أنها دخلت في أجوافها، فكان منظرها قبيحا كما في الأول، واستيقظت، ثم رأيت في حلمي وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممثلة وحسنة، ثم هو ذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة ورائها، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنه، فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني³⁷.

ولقد لعب تفسير هذا الحلم دورا بارزا في احتلال يوسف - عليه السلام - مكانة مرموقة في ملك مصر، ووقعت الحوادث كما أخبر بها يوسف - عليه السلام - وكان الجوع والقحط الذي أصاب مصر وما حولها سببا في الالتقاء بين يوسف وإخوته من جديد، بل يكون ذلك نقطة تحول في حياة يعقوب وأبنائه، فهاهي حياة أسباط بني إسرائيل ستقع أحداثها لفترة زمنية طويلة في أرض مصر: "فكلم فرعون يوسف قائلا أبوك وإخوتك جاءوا إليك، أرض مصر قدامك، في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ليسكنوا في أرض جاسان، وان علمت أنه يوجد بينهم ذو قدرة فأجعلهم رؤساء على مواش على التي لي"³⁸.

وفي مصر تبرز مسألة البركة من جديد، ولكن الشيء غير المفهوم كيف تكون هذه البركة من نصيب الابن الرابع يهوذا الذي اقترح بيع يوسف بمقابل زهيد:

³⁷- سفر التكوين، الإصحاح 41، الفقرات من 17 إلى 24.

³⁸- سفر التكوين، الإصحاح 47، الفقرات من 5-6.

"يهودا إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، يهوذا جرو أسد، من فريسة صعدت يا ابني، جثا وربض كأسد وكلبوة من ينهضه، لا يزيل قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجله حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب"³⁹.

واستشف من هذه البركة، أن كاتب السفر من سبط يهوذا، وكما نعلم أن الأسفار كتبت في السبي البابلي، وهناك كان سبطا يهوذا وبنيامين، فأرجع الفضل والتفوق والتمكن لبني يهوذا، وكأن هذه البركة رؤية مستقبلية للأحوال التي سيكون عليها أسباط بني إسرائيل.

ولكن تبقى ملاحظة هامة في هذا الصدد فبعد زوال الملك من يهوذا، يأتي شيلون هذا المخلص الذي تخضع له الشعوب، حيث يذهب المسيحيون إلى أن المقصود به هو المسيح- عليه السلام- لكن نحن لنا رأي يخالف ذلك.

ب- إحصاء عدد أفراد الأسباط:

بعد خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى- عليه السلام- أمر الرب حسب رواية العهد القديم بإحصاء عدد الجند من الأسباط: "وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قاتلا أحصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه من ابن عشرين سنة

³⁹ - سفر التكوين، الإصحاح 49، الفقرات من 8 إلى 10.

فصاعدا كل خارج للحرب في إسرائيل أحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم، ويكون معكما رجل لكل سبط⁴⁰.

والسبب في اختيار رجل لكل سبط حتى يكون عارفا بمن ينتسبون إلى سبطه فلا يقع الخطأ والخلل في عملية الإحصاء: "باعتبار أن كل رئيس ملم بأبناء سبطه ومسؤول عن السبط، وبذلك يكون العد مضبوطا ودقيقا وسهلا، ولا يكون هناك موضع للتهرب، أو التلاعب أو الخطأ أو الشك، وفي نفس الوقت يكون الرؤساء شهودا أمناء لعمليات الإحصاء، ومن الجميل أن يستعين القادة والحكام والرؤساء والرعاة بذوي الخبرة من الأشخاص الغيورين الأكفاء، من الجميل أن تؤلف لجان مثل اللجنة التي ألفها موسى وهارون حتى تنجز الأعمال على خير وجه"⁴¹.

فكان عدد المحاربين بحسب أسباطهم: بنو رؤوبين ستة وأربعون ألفا وخمس مائة، بنو شمعون تسعة وخمسون ألفا وثلاث مائة، بنو يهوذا أربعة وسبعون ألفا وست مائة، بنو يساكر أربعة وخمسون ألفا وأربع مائة، بنو زوبولون سبعة وخمسون ألفا وأربع مائة، بنو يوسف أربعون ألفا وخمس مائة لسبط أفرايم، واثنان وثلاثون ألفا ومائتان لسبط منسى، بنو بنيامين خمسة وثلاثون ألفا وأربع مائة، بنو دان اثنان وستون ألفا وسبع مائة، بنو أشير واحد وأربعون ألفا وخمس مائة، بنو نفتالي ثلاثة وخمسون ألفا وأربع مائة⁴².

⁴⁰ - سفر العدد، الاصحاح 1، الفقرات من 1 إلى 4.

⁴¹ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد، ص 18.

⁴² - سفر العدد، الاصحاح 1، الفقرات من 40 إلى 43.

فكان عدد المحاربين عدا سبط لاوي الذين أعدوا للخدمة في خيمة الاجتماع يقدر بست مائة ألف وخمسة مائة وخمسين⁴³.

أما سبط لاوي فوظيفته محددة في الخدمة في خيمة الاجتماع، فهم كهنة الشعب: "إذ كلم الرب موسى قائلاً، أما سبط لاوي فلا تحسبه ولا تعده بين بني إسرائيل، بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعتهم، وعلى كل ما له، هم يحملون المسكن وكل أمتعتهم، وهم يخدمونه وحول المسكن ينزلون، فعند ارتحال المسكن ينزله اللاويون، وعند نزول المسكن يقيمهم اللاويون، والأجنبي الذي يقترب يقتل"⁴⁴.

وقد بلغ عدد اللاويين حسب ما ورد في العهد القديم اثنين وعشرين ألفاً، وهذا يخص الذكور من شهر فأكثر: "جميع المعدودين من اللاويين الذين عدّهم موسى وهارون حسب قول الرب بعشائرهم كل ذكر من ابن شهر فصاعداً اثنين وعشرون ألفاً"⁴⁵.

وقد قام رحمة الله ابن خليل الرحمن بدراسة نقدية لهذا العدد المذكور آنفاً حيث بين أنه لو ضمّ عدد المتروكين والمتروكات مع المعدودين سيكون العدد 2500000، وقدم وجهين لعدم صحة هذا العدد:

الأول: عدد الداخلين من بني إسرائيل كان سبعين، وقد دامت إقامتهم في مصر مائتين وخمس عشرة سنة، مع حدوث القتل لأبنائهم، وإحياء نسايتهم قبل

⁴³ - سفر العدد، الإصحاح 1، الفقرات من 45 إلى 47.

⁴⁴ - سفر العدد، الإصحاح 1، الفقرات من 50-51.

⁴⁵ - سفر العدد، الإصحاح 3، الفقرة 39.

خروجهم من مصر بثمانين سنة، فلا يبلغ عددهم في هذه المدة إلى ستة وثلاثين ألفاً بقطع النظر عن القتل.

الثاني: استبعاد تكاثرهم من سبعين إلى هذا العدد، وفي المقابل عدم حدوث ذلك التكاثر للقبط مع الغني والراحة الذين يتمتعون بها⁴⁶.

3- شعب الله المختار:

يعتبر كتاب العهد القديم أن الشعب الإسرائيلي هو شعب الله المختار، ويبدأ هذا الاختيار عندهم من سام أحد أجدادهم، وهو الابن الذي لعب دوراً بارزاً في ستر عورة أبيه نوح - عليه السلام - عندما سكر وتعرى حسب الرواية التوراتية: "وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء فلم يبصروا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم"⁴⁷.

وسكر نوح - عليه السلام - غير مقبول البتة في الإسلام، أما اللعن الذي لحق بكنعان فهو إشارة للصراع بين الإسرائيليين والكنعانيين: "وأما قصة لعن

⁴⁶ - إظهار الحق، (دار الكتب)، ج 1، ص 112-113.

⁴⁷ - سفر التكوين، الاصحاح 9، الفقرات من 20 إلى 27.

كنعان الذي لم يكن له من ذنب سوى أن أبنائه سكنوا فلسطين التي يريدونها اليهود، لهذا لا بد أن يكون كنعان ملعوناً، وعبد العبيد لإخوته⁴⁸.

وتتقل هذه المباركة من سام إلى إبراهيم - عليه السلام - "وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأوض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأبارك وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك، ولاعذك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض"⁴⁹.

وبعد هذه المباركة جاء دور الميثاق الذي قطعه الرب مع إبراهيم: "في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات"⁵⁰.

وإذا تأملنا في هذا النص ندرك أن المراد بهذا العهد إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- لأن إسحاق لم يولد بعد، وبناء عليه يكون الميثاق لإسماعيل بعد أبيه إبراهيم: "فعهد الختان كان المقصود به إبراهيم ونسله آنئذ، ولم يكن من نسله إلا إسماعيل فقط، لأن إسحاق ولد بعد هذا العهد بسنة حين كان عمره مائة، فهو صريح بان يرث إسماعيل أرض الميعاد فلسطين بحكم التوراة"⁵¹.

وهذا الميثاق يرتكز عليه يهود اليوم في إدعائهم امتلاك فلسطين بل يزعمون أن أرض الميعاد تمتد من النيل إلى الفرات: "هذا هو النص الديني الذي يعتبر

⁴⁸ - محمد علي البار، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، ص: 70.

⁴⁹ - سفر التكوين، الاصحاح 12، الفقرات من 1 إلى 3.

⁵⁰ - سفر التكوين، الاصحاح 15، الفقرة 18.

⁵¹ - عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في الميزان، الطبعة الأولى (مؤسسة الرسالة -

لبنان: 1420هـ - 2000م)، ص: 184.

الأساس لمطالبة اليهود بفلسطين، وهذا هو النص الذي يمثل السند الوحيد لأطماع صهاينة اليوم في مد "دولتهم" التي افتعلوها من نفس هذا النص كما يشمل كل هذه الحدود⁵².

والشرط في تحقيق هذا الميثاق ما عرف بعهد الختان، وكانت بدايته بإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - حيث اختتنا في نفس اليوم: "وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم"⁵³.

وعادة الختان التي جعلها العهد القديم الأساس في الميثاق، كانت معروفة في حضارات وأمم سابقة على بني إسرائيل وبالتالي لم تكن خاصة بهم: "ومن الناحية التاريخية أثبتت دراسة الموميات المصرية القديمة أن عادة الختان كانت منتشرة في مصر وبلاد النوبة منذ فجر التاريخ، كما أكدت الدراسة أن الأطفال الذين لم يتجاوز أعمارهم "خمس سنوات" قد تم ختانهم، ولم تكن الديانة المصرية القديمة تفرض في طقوسها ختان الصغار ليكونوا اتباعا للدين، بل كانت هذه العادة تجرى بين القوم لمجرد أن الختان من الممارسات المتعلقة بصحة الطفل الذكر وزيادة أخصا به طبقا لما أثبتته العلم الحديث"⁵⁴.

⁵² - أبقار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص: 77.

⁵³ - سفر التكوين، الاصحاح 17، الفقرات من 9 إلى 11.

⁵⁴ - عبد العزيز عامر، بنو إسرائيل، ص: 118.

وأعود مرة ثانية إلى الميثاق فنلاحظ أنه على خطورته وأهميته جاء في رؤيا مناميه هذا من جانب، ومن جانب ثان وقع كتاب أسفار العهد القديم في هفوة، حيث تسرعوا في إيراد هذا الوعد قبل أن يكون هناك نسل لإبراهيم، ومعلوم أن الإبن الأول لإبراهيم - عليه السلام - هو إسماعيل - عليه السلام - وعليه فإن الميثاق ينتقل منطقياً إليه، غير أن الإنحياز يدفع الكاتب إلى نقل الوعد إلى إسحاق: "فقال الله بل سارة امرأتك تلك لك إنا وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه أبدياً لنسله من بعده"⁵⁵.

والتساؤل الذي يطرح كيف انتقل العهد من إبراهيم إلى إسحاق، وكيف أسقط إسماعيل من هذا العهد، هذه فجوة كبرى في سفر التكوين، ويحاول الكاتب عبثاً سد هذه الفجوة بتزييف الحقائق التاريخية، بحيث أورد قصة الذبيح، وقرّر أن الذبيح البكر إسحاق حتى ينسب له شرف الامتثال لأمر الربّ وفي مقابل ذلك استحقاقه للعهد: "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له يا إبراهيم، فقال هاتذا، فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك"⁵⁶.

ويحاول بعض شراح الكتاب المقدس إيجاد مبررات لإطلاق الوحيد على إسحاق، فلم يجد أمامه غير الوعد: "كم كان الإمتحان صعباً لأن الله لم يطلب من إبراهيم أمواله أو مواشيه أو شيئاً نظير ذلك، وإنما طلب إبنه الوحيد لأنه ابن شيخوخته الذي بنى عليه كل رجائه، وقد دعى وحيداً لأنه ابن الموعد من

⁵⁵- سفر التكوين، الاصحاح 27، الفقرة 19.

⁵⁶- سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرات 1-2.

جهة، ولأنه قد صرف إسماعيل من جهة أخرى، وكان الامتحان صعباً لأن الله طلب من الأب الحنون بذبح ابنه بيده، وأن يحرقه بالنيران على المذبح⁵⁷.
 أما عن سبب إختيار كاتب سفر التكوين جبل المريا والصخرة هناك، فجبل المريا هو المكان الذي فيه الهيكل الذي بنى في زمن سليمان - عليه السلام - وهذا يؤكد القول بأن السفر كتب في زمن متأخر، وبالضبط أثناء السبي البابلي: "منذ زمن بعيد حفت بهذه الصخرة قدسية بسببها تقديس هذا الجبل الذي يقول عنه المؤلف اليهودي بأن الرب قد عيّن لإبراهيم كيما يذبح عليه إسحاق، ونحن لا نفهم تماماً مصدر القدسية التي حفت بهذا الجبل وبهذه الصخرة ما لم نعد إلى العصور التي سبقت مجيء آباء التوراة أرض كنعان"⁵⁸.

ثم تؤكد أسفار التوراة بأن العهد انتقل من إسحاق إلى ابنه يعقوب، وعن كيفية انتقال هذا العهد ترد حادثة في غاية الغرابة، فيعقوب الذي ينتسب إليه الشعب الإسرائيلي تحصل على البركة عن طريق خداع أبيه إسحاق، فعندما طلب إسحاق من ابنه عيسو أن يأتيه بصيد حتى يباركه، انتهز يعقوب فترة ذهاب أخيه، وقام بخداع إسحاق الذي باركه: "فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، ثم اذهب إلى فدّان أرام إلى بيت بنوئيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك، والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك، لترث أرض غريتك التي أعطها الله لإبراهيم،

⁵⁷ - نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس سفر التكوين ، ص 190.

⁵⁸ - أبكار السقاف ، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص: 92.

فصرف إسحاق يعقوب فذهب إلى قدان أرام إلى لابان بني ينوئيل الأرامي
أخي رفقة أم يعقوب وعيسو⁵⁹.

ورأى يعقوب حلما في طريقه نحو حاران: "ورأى حلما وإذا سلم منصوبة
على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها،
وهو ذا الرب واقف عليها، فقال أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله إسحاق،
الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون كتراب الأرض،
وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل
الأرض، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض، لأنني لا
أتركك حتى أفعل ما كلمتك به"⁶⁰.

وتكرر هذا الوعد مع يعقوب حيث أكده لابنه يوسف: "وقد قال يعقوب ليوسف
الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني، وقال لي
ها أنا أجعلك مئمرا وأكثرك جمهورا من الأمم وأعطي نسلك هذه الأرض من
بعدك ملكا أبديا"⁶¹.

من خلال النصوص السابقة نلاحظ كيف انتقل الوعد من إبراهيم إلى إسحاق
إلى يعقوب، وهؤلاء جميعا لم يتحقق لهم الوعد: "فقد تذكر مؤلف هذا الجزء
من التوراة أن القسم الذي جعله يرد على لسان إبراهيم لإبراهيم لم يوف
لإبراهيم ولكن ماذا يضير هذا المؤلف اليهودي من أن يهوه قد أهمل قسمه،

⁵⁹ - سفر التكوين، الاصحاح 28، الفقرات من 1 إلى 5.

⁶⁰ - سفر التكوين، الاصحاح 28، الفقرات من 10 إلى 15.

⁶¹ - سفر التكوين، الاصحاح 48، الفقرات 3 - 4.

ونسى وعده لإبراهيم بينما هو لا يريد أن يصل بهذا الوعد إلا إلى بيت يهوذا، من هنا نراه يتحول بنا في تروّ ناحية إسحاق وكأنما هذا الوعد لم يكن لإبراهيم وإنما لإسحاق، بل وفي تغافل بلغ أقصى مداه يتمادى هذا المؤلف وإلى مناقضة نفسه بنفسه لا يلتفت فيجعل هذا الوعد يرد على لسان إبراهيم لإسحاق⁶².

وقد خصص يعقوب ابنه يهوذا من دون إخوته بهذا الوعد، وكان غرض كاتب السفر الوصول إلى نتيجة مفادها عودة مملكة يهوذا من السبي البابلي، بناء على وعد الرب لأباء بني إسرائيل: "فان هذا المؤلف اليهودي منذ اللحظة التي شرع فيها قلمه وبدأ يكتب سفر التكوين لم يستهدف من وراء هذه الوعود إلا التمهيد لعودة مملكة داود، ومن ثمّ حتماً لهذا الوعد أن يتحول من شخص لآخر حتى يصل إلى ذريّة داود"⁶³.

ومن خلال تتبعنا لانتقال الوعد نصل إلى نتيجة هامة وهي أن فكرة شعب الله المختار ظهرت خلال السبي البابلي مرتبطة بمملكة يهوذا حيث حاول مؤلفو العهد القديم التركيز على عودة المملكة الداودية اعتماداً على تحقيق الوعد، بل أبعد من ذلك اعتبروا أنفسهم خلق مميز عن باقي البشر: "كان نفكرتهم عن أنفسهم بأنهم شعب الله وأنهم مخلوقاته الوحيدة المميزة والمفضلة عن باقي المخلوقات بما فيها باقي البشر الذين اعتبروهم حيوانات لخدمتهم والتمتع بهم

⁶² - أبقار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص: 92.

⁶³ - المرجع نفسه ص: 92-93.

وبما يملكون، أثر تغلغل في نفوسهم وسرى مع الدم في عروقهم فليس في استطاعتهم التخلص منه ولو أرادوا⁶⁴.

واستنادا إلى عقيدة شعب الله المختار يقسم اليهود الشعوب إلى قسمين: "اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين، وتتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية، وتصنع قوانينها ونظمها على هذا الأساس، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شؤون الاجتماع"⁶⁵.

وأول شيء يعتقد بنو إسرائيل أنهم شعب مقدس: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية، من يد فرعون ملك مصر، فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياهم إلى ألف جيل"⁶⁶.

فهل قداسة الشعب واختياره دائمة ومستمرة لهم، ولو خالفوا تعاليم الرب المتمثلة أساسا في وصاياهم، أو أن العهد مشروط، إذا توافرت تلك الشروط كان وإذا انتفت زال، فمن خلال تتبع أسفار العهد القديم نستنتج منها عكس

⁶⁴ - إبراهيم جمدة ، بنو إسرائيل الأصل والهدف ص: 37.

⁶⁵ - علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة في الإسلام، الطبعة الأولى (1384هـ - 1964م)، ص: 31.

⁶⁶ - سفر التثنية، الإصحاح 7 ، الفقرات من 7 إلى 9.

معتقدهم: "أنظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتمهم لوصايا الربّ إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الربّ إلهكم وزعتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها"⁶⁷.

بل أسفار التوراة زيادة على ذلك تقرر أن النصر لبني إسرائيل على بقية الشعوب لا يعود لصفات ذاتية فيهم، إنما يرجع إلى إثم تلك الشعوب: "لا تقل في قلبك حين ينفيهم الربّ إلهك من أمامك قائلاً لأجل برّى أدخلني الربّ لأمتك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الربّ من أمامك، ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الربّ إلهك من أمامك ولكن يفي بالكلام الذي أقسم الربّ عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الربّ إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة"⁶⁸.

فكيف يقول بنو إسرائيل أن الاختيار نهائي، والنص يشير إلى عكس ذلك: "فكيف يتفق القول- زعماً- بأن الاختيار نهائي غير مشروط مع ما يعتقد اليهود أنفسهم- كما ورد في أسفارهم على الرغم من تحريفها بأيديهم- من أن الله تعالى قد غضب عليهم، فصب عليهم صنوف العذاب، وفرقهم إلى يومنا

⁶⁷- سفر التثنية، الاصحاح 11، الفقرات من 26 إلى 28.

⁶⁸- سفر التثنية، الاصحاح 9، الفقرات من 4 إلى 6.

هذا- شر ممزق في الآفاق، بحيث لم يكونوا أهلاً لتحمل رسالة الله سبحانه وتعالى بعد ذلك⁶⁹.

إضافة إلى هذا فقد توعد الربّ بني إسرائيل بإنزال غضبه عليهم: "فأب الربّ وردل من الغيظ بنيه وبناته، وقال أحجب وجهي عنهم وانظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل منقلب، أولاد لا أمّاتة فيهم، هم أغاروني بما ليس إليها، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعبا، بأمة غيبية أغيظهم، إنه قد اشتعلت نار بغضى فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال، أجمع عليهم شرورا وأنفذ سهامى من فيهم"⁷⁰.

ما المقصود بالأمة الغيبية التي يغيظهم الربّ بها، أليس معنى اغاضتهم أنه اختار هذه الأمة عليهم، ونجزم أن التعبير الصحيح قبل التحريف أمة أمية، والمقصود بها الأمة الإسلامية صاحبة الرسالة الخاتمة.

ومن أهم العناصر المنبثقة عن فكرة شعب الله المختار مع الشعوب الأخرى نذكر:

أ- استعباد الشعوب:

فعلاقة بني إسرائيل ببقية الشعوب هي علاقة صراع دائم، فمن استجاب من هذه الشعوب للصلح يستعبد: "حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى

⁶⁹ - أحمد بن عبد الله الزغبى، العنصرية اليهودية، الطبعة الأولى (مكتبة العبيكان:

1418هـ-1988م)، ج1، ص: 148.

⁷⁰ - سفر التثنية، الاصحاح 32، الفقرات من 19 إلى 23.

الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك"⁷¹.

ويعلق أحد الباحثين على هذا النص: "وإذا كان الاصحاح العشرون من السفر نفسه احتوى أمرا لبني إسرائيل بدعوة المدينة التي يتقدمون إلى قتالها إلى السلم أولا فإن هذا محصور بالمدن البعيدة جدا دون مدن أرض كنعان، وليست دعوة إلى سلم وسلام وتوحيد لأنها تأمر باستعباد جميع شعوب المدينة التي توافق على الاستسلام"⁷².

ب- الإبادة:

وتشمل الإبادة شعوب الأمم التي ترفض الصلح مع بني إسرائيل وكذلك سكان المدن الكنعانية: "وان لم تسالملك بل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف، وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها تغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تسبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك"⁷³.

⁷¹- سفر التثنية، الاصحاح 20، الفقرات 10-11.

⁷²- محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (مطبعة نهضة مصر:

1377هـ-1958م)، ص: 67-68

⁷³- سفر التثنية، الاصحاح 20، الفقرات من 12 إلى 17.

فهذا النص فيه أمر بالإبادة الكاملة لتلك الشعوب قتلا بحد السيف: "هذا هو قانون الحرب عند إسرائيل، وهذا هو دستور الذي ينم عن مشاعر سفاحة عطشى إلى الدم مما يعطينا صورة واضحة. بل وفكرة شاملة عن نوايا "إسرائيل" في عصرنا الحاضر تجاهنا واتجاه سائر الشعوب من غير اليهود في إتباع لخطى هؤلاء الذين راحو يزحفون صوب "الأرض الموعودة" ومن جوانبهم تصطلي نيران الغل والحقد وفي سمعهم يدوي هذا الصوت الصارخ"⁷⁴.

ج-الإفساد في الأرض:

انتشر الفساد في المجتمع الإسرائيلي، وسجلت صفحات العهد القديم الكثير من الشرور التي اقترفوها: "لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغائة عيني مجده، نظر وجوههم يشهد عليهم وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم لا يخفونها، ويل لأنفسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرا، قولوا للصديق خير، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويل للشرير شرا، لأن مجازاة يديه تعمل به، شعبي ظالموه أولاد، ونساء يتسلطن عليه، يا شعبي مرشدوك مضلون ويبغون طريق مسالك"⁷⁵.

ولا شك أن التأمل في هذا النص يرشد إلى بعض المفاصد التي انتشرت بين بني إسرائيل منها الخطيئة التي عرف بها قوم سدوم فاستحقوا العقاب الإلهي، إلى جانب ما تقوم به نساء إسرائيل من ارتكاب للفواحش: "وقال الرب من أجل

⁷⁴ - ابيكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص: 269.

⁷⁵ - سفر اشعيا، الاصحاح 3، الفقرات من 8 إلى 12.

أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن، يصنع السيد هامة بنات صهيون، ويعرّي الربّ عورتهم⁷⁶.

وقد انقلبت الموازين في المجتمع الإسرائيلي حيث جعلوا الشر مكان الخير: "ويل للقائلين الشر خيراً، والخير شراً، للجاعلين الظلام نورا والنور ظلام، الجاعلين المرّ حلوا والحلو مرّاً، ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهاء عند ذواتهم، ويل للأبطال على شرب الخمر، ولذوي القدرة على مزج المسكر، الذين يبررون من أجل الرشوة، وأما حق الصديقين فينزعونهم، لذلك كما يأكل نهب النار القش، ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالفونة ويصعد هرمهم كالغبار، لأنهم ردّلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قدّوس إسرائيل"⁷⁷.

ومن صور إفسادهم أنهم عبدوا آلهة أخرى، وتركوا إلههم: "هكذا قال الربّ، ماذا وجد في آباءكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا، ولم يقولوا أين هو الربّ الذي أصعدنا من أرض مصر، الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر، في أرض يبوسة، وظل الموت في أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان، وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها، فأتيتم ونجستم أرضي وجعلتم ميراثي رجسا، الكهنة لم يقولوا أين هو الربّ، وأهل الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوا عليّ،

⁷⁶ - سفر اشعيا، الاصحاح 3، الفقرات من 16-17.

⁷⁷ - سفر اشعيا، الاصحاح 4، الفقرات من 20 إلى 24.

والأنبياء تنبأوا وذهبوا وراء ما لا ينفع، لذلك أخاصمكم بعد يقول الرب وبني بينكم أخاصم، فاعبروا جزائر كثيم وانظروا وأرسلوا إلى قيثار وانتبهوا جدا، وانظروا هل صار مثل هذا، هل بدلت أمة آلهة وهي ليست آلهة، أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع"⁷⁸.

وبفعل الخطايا والفواحش التي ارتكبت من طرف بني إسرائيل من كلا المملكتين إسرائيل ويهوذا نتجست الأرض حسب أسفار العهد القديم: "وقال الرب لي في أيام يوشيا الملك، هل رأيت ما فعلت العاصمة إسرائيل، انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء زنت هناك، فقلت بعد ما فعلت كل هذه أرجعي إلي فلم ترجع، فرأت أختها الخائنة يهوذا، فرأيت أنه لأجل كل الأسباب إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها، لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هي أيضا، وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر والشجر، وفي كل هذا أيضا لم ترجع إلي أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب، فقال الرب لي قد بررت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا"⁷⁹.

ولم يقتصر الإفساد على عامة الشعب، بل تغلغل في أوساط رؤسائهم وقضاتهم الذين كان يفترض فيهم إيقاف هذا الفساد: "اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة، كهنتها

⁷⁸ - سفر إرميا، الاصحاح 2، الفقرات من 5 إلى 11.

⁷⁹ - سفر إرميا، الاصحاح 3، الفقرات من 5 إلى 9.

يعلمون بالأجرة وأنبيائها يعرفون بالفضة، وهم يتوكلون على الرب قائلين
أليس الرب في وسطنا، لا يأتي علينا شر، لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل
وتصير أورشليم خرباً وجبل البيت شوامخ وعر⁸⁰.

ومن مظاهر إفسادهم سفك الدماء، انتهاك الحرمات، اضطهاد اليتيم: "هو ذا
رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لسفك الدم، فيك أهانوا
أبا وأما، وفي وسطك عاملوا الغريب بالظلم، فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة
أزدريت أقداسي، ونجست سبوتي، كان فيك أناس وشاة لسفك الدم وفيك
أكلوا على الجبال في وسطك عملوا رذيلة، فيك كشف الإنسان عورة أبيه،
فيك أذلوا المتنجسة بطمئنها، إنسان فعل الرّجس بامرأة قريبة، إنسان نجس
كنته برذيلة، إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه، فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم،
أخذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم ونسيتني بقول السيد الرب"⁸¹.
العقاب الإلهي على إفساد بني إسرائيل:

تمثل العقاب الإلهي على بني إسرائيل في تسليط مملكة آشور على
المملكة الشمالية إسرائيل فأخذوا إلى السبي: "وسبى ملك آشور إسرائيل إلى
آشور ووضعهم في حلق وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي، لأنهم لم
يسمعوا لصوت الرب إلههم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد
الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا"⁸².

⁸⁰ - سفر ميخا، الاصحاح 3، الفقرات من 9 إلى 13.

⁸¹ - سفر حزقيال، الاصحاح 28، الفقرات من 6 إلى 12.

⁸² - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 18، الفقرات 11 إلى 13.

ثم جاء التحذير بعد ذلك للملكة الجنوبية يهوذا والتي كانت أورشليم عاصمتها وفيها بيت الرب والمقدسات، لكن لوحظ في يهوذا مخالفة التعاليم التوراتية وارتكبت المحرمات والموبقات: "وقد كانت الوديان المحيطة بالمدينة المقدسة مسرحا لعبادة الأوثان ومكانا تجري فيه أبشع ما عرفه التاريخ من أنواع التضحيات البشرية"⁸³.

وقد أُنذرهم النبي إرميا بالعقاب المنتظر جزاء الإفساد الذي وقعوا فيه: "اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم واضربوا بالبوق في تقوع وعلى بيت هكاريم ارفعوا علم نار لأن الشر أشرف من الشمال وكسر عظيم، الجميلة اللطيفة ابنة صهيون أهلكها، إليها تأتي الرعاة وقطعاتهم ينصبون عندها خياما حواليتها يرعون كل واحد في مكانه، قدسوا عليها حربا"⁸⁴.

وقد سلط الرب على مملكة يهوذا ملك بابل حيث حاصر أورشليم بجيشه واشتد الجوع في المدينة، وحاول المقاتلون من مملكة يهوذا الفرار ليلا غير أن الكلدانيين تمكنوا منهم، وأسروا الملك قرب أريحا: "فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه في بركة أريحا وتفرقت جميع جيوشه عنه، فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ريلة"⁸⁵.

وفي المرة الثانية أرسل الملك البابلي نبوخذ نصر جيشه لسبي جميع شعب يهوذا، وتهديم مدينة أورشليم: "وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وهي

⁸³ - عبد العزيز عامر، بنو إسرائيل، ص 350.

⁸⁴ - سفر إرميا، الاصحاح 6، الفقرات 1 إلى 4.

⁸⁵ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 25، الفقرات 5-6.

السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نيوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار⁸⁶.

وكان عدد الشعب المسيبين يقدر بحوالي أربعة آلاف وستة مائة.

"هذا هو الشعب الذي سباه نبوخذ ناصر في السنة السابعة من اليهود ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون وفي السنة الثامنة عشرة لنبوخذ ناصر سبى نيوزرادان رئيس الشرط من اليهود سبع مئة وخمسا وأربعين نفسا، جملة النفوس أربعة آلاف وست مئة"⁸⁷.

فهذا النص يبين أن السبى كان على ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى: كانت في السنة السابعة لنبوخذ ناصر وكان عدد المسيبين يقدر بـ 3023.

المرحلة الثانية: كانت في السنة الثامنة عشرة من ملك نبوخذ ناصر وكان 823.

المرحلة الثالثة: وكانت عدد المسيبين 745.

والملاحظ أن عدد المسيبين كان قليلا جدا: "يرى البعض أن عدد المسيبين في المراحل الثلاث والبالغ 4600 رقم صغير جدا"⁸⁸.

⁸⁶ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 25، الفقرات 8-9.

⁸⁷ - سفر ارميا، الاصحاح 52، الفقرات 28 إلى 30.

⁸⁸ - تادرس يعقوب ملطى، تفسير سفر ارميا، ج2، ص1056.

المبحث الثاني

الشعب في القرآن الكريم

1- تسميات الشعب:

التسميات الواردة في القرآن الكريم هي: بنو إسرائيل، اليهود، أهل الكتاب، ولم يرد إطلاقاً اسم عبراني في القرآن الكريم. أبناء إسرائيل:

خاطبهم القرآن الكريم في كثير من المواضع بهذا الاسم، والنسبة فيه إلى إسرائيل، وقد ورد هذا الاسم مرتين في القرآن الكريم. الأولى: في قوله تعالى: " كل الطعام كان حلال لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فقلوها إن كنتم صادقين" 89.

الثانية: في قوله تعالى: " أولئك الذين أنعم الله عليهم من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا نتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً" 90.

وقد ذهب المفسرون إلى أن المقصود بإسرائيل يعقوب - عليه السلام -؛ ظاهر الآية يدل على أن إسرائيل حرم ذلك على نفسه، وفيه سؤال وهو أن التحريم

89- سورة آل عمران، الآية 93.

90- سورة مريم، الآية 58.

والتحليل إنما يثبت بخطاب الله تعالى، فكيف صار تحريم يعقوب - عليه السلام - سببا لحصول الحرمة⁹¹.

غير أن صاحب المنار ذهب إلى أن المقصود بإسرائيل ليس يعقوب - عليه السلام - بل شعب إسرائيل وهو استعمال وارد عند الإسرائيليين: "قالمراد بإسرائيل شعب إسرائيل كما هو مستعمل عندهم لا يعقوب نفسه، ومعنى تحريم الشعب ذلك على نفسه أنه إذا كان الأصل في الأطفمة الحل، وكان تحريم ما حرم إسرائيل تأديبا على جرائم أصابوها"⁹².

ثم يقدم الدليل على ما ذهب إليه: "ولو أريد بإسرائيل يعقوب نفسه لما كان هناك حاجة إلى قوله: "من قبل أن تنزل التوراة" لأن زمن يعقوب سابق على زمن نزول التوراة سبعا لا يشتبه فيه، فيحترس عنه، والمتبادر عندي أن المراد بما حرمه إسرائيل على نفسه ما امتنعوا عن أكله وحرموه على أنفسهم بحكم العادة والتقليد لا بحكم من الله، كما يعهد ذلك في جميع الأمم، ومنه تحريم العرب البحائر والسوائب وغير ذلك مما حكاه القرآن عنهم في سورتي المائدة والأنعام"⁹³ ويكون المراد ببني إسرائيل على الرأي القائل بأن إسرائيل هو يعقوب أبناء يعقوب وقد خوطبوا بهذا الاسم تمييزا لهم عن الشعوب التي عاشوا بينها، ولا يحمل أي تفضيل لهم: "أن مصطلح "بنو إسرائيل" استخدم لتمييز هذه الجماعة عن بقية الجماعات التي عاصرتها أو عاشت معها، فقد

⁹¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص 152.

⁹² - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج4، ص3.

⁹³ - نفس المصدر، ج4، ص3.

استخدم لتمييز هذه الجماعة عن المصريين زمن موسى - عليه السلام - ولتمييزهم عن الفلسطينيين والكنعانيين وعن الجماعات العربية التي سكنت سيناء وشبه الجزيرة العربية، فهو مجرد اسم أطلق على هذه الجماعة دون أننى تمييز لها من الناحية العرقية⁹⁴.

وقد كان يعقوب - عليه السلام - اثنا عشر ابناً : " إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إلي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، قال يا بني لا نقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين، وكذلك يجتبيك ربك ويعطيك من تأويل الأحاديث، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم⁹⁵ وبناء على ما ورد في هذه الآية فإن عدد أبناء يعقوب - عليه السلام - يقدر باثني عشر، أحد عشر كوكباً إضافة إلى يوسف - عليه السلام -، وقد لاحظ أولئك الأبناء إثارة أبيهم ليوسف - عليه السلام - نوتهم، فحرك ذلك الشعور فوازع الشرقي نفوسهم، واجمعوا على الكيد ليوسف - عليه السلام - وكان يعقوب - عليه السلام - أحس بما أضمره في أنفسهم عندما طلبوا منه أن يسمح ليوسف بمرافقتهم : "لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً

⁹⁴ - محمد خليفة حسن أحمد، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القيمة،

ص.36.

⁹⁵ - سورة يوسف، الآية 4 إلى 6.

صالحين، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين⁹⁶.

ويعلق عبد الوهاب النجار على الحجة التي قدمها إخوة يوسف لأبيهم على صدق ادعائهم بأن الذئب أكله وهم في غفلة من أمرهم: "وكان كمهرة المحققين في القضايا في هذه الأيام فأخذ القميص، ولما لم يجد به تمزيقا وقطعا، قال لهم متhekما ما أحلم هذا الذئب الذي افترس ولدي ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل في قميصه نابا ولا ظفرا⁹⁷".

وكان مصير يوسف - عليه السلام - أن أخذته سيارة إلى مصر، وبيع هناك لتعزيز مصر، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في حياة يوسف - عليه السلام - في أرض ستكون بعد ذلك مستقرا ليعقوب وأبنائه بل لقبائل بني إسرائيل فترة كبيرة من الزمن: "ورأى يوسف أبويه في ساحته، وحولهما أحد عشر من إخوته، والجميع يسجدون له معظمين، ويقفون بين يديه خاشعين، فرفع يديه إلى السماء شاكرا أنعمه، ذاكرا فضله⁹⁸".

وتحقق بذلك مدلول الرؤيا التي رآها يوسف - عليه السلام - : " فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء أمنين، ورفع أبويه على العرش وخرروا له سجدا قال يا أبت هذا تلويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد

⁹⁶- سورة يوسف، الآية 7 إلى 10.

⁹⁷- قصص الأنبياء، ص 121.

⁹⁸- محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، (دار الكتب العلمية- لبنان 1398هـ -

1978م)، ص 106-107.

أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم، رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وأحقني بالصالحين⁹⁹ وقد وردت كلمة " بني إسرائيل" في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة، في السور المكية خمسا وعشرين مرة، وفي السور المدنية ست عشرة مرة: " وإذا نظرنا في هذه المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة "بنو إسرائيل" فإننا نجد أنها كانت تعرض أطرافا ولقطات ومشاهد من تاريخ بني إسرائيل ابتداء مما قبل بعثة موسى - عليه السلام - إلى ما بعد بعثته - عليه السلام -¹⁰⁰.

ب- اليهود:

وردت كلمة يهود بالجمع ثماني مرات في القرآن الكريم، ومرة واحدة في صيغة المفرد: " وترد كلمة اليهود في الجمع في ثماني آيات قرآنية كلها تدل على وجود هذه الجماعة التي تحمل هذا الاسم... وورود اللفظ يهود في القرآن الكريم لا يعني قبول القرآن الكريم لهذه التسمية إنما هو تقرير لأمر واقع وإثبات لفظ تم استخدامه بالفعل في التاريخ ليدل على هذه الجماعة¹⁰¹ والمواطن القرآنية التي وردت فيها كلمة يهود بالجمع هي كالآتي:

⁹⁹ - سورة يوسف، الآية من 99 إلى 101.

¹⁰⁰ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، الطبعة الأولى

(دار القلم-دمشق: 1419هـ-1998م)، ص34.

¹⁰¹ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص49.

- 1- "وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم"¹⁰².
- 2- "ولئن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير"¹⁰³.
- 3- "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق"¹⁰⁴.
- 4- "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق"¹⁰⁵.
- 5- "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين"¹⁰⁶.
- 6- "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"¹⁰⁷.
- 7- "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا"¹⁰⁸.

¹⁰² - سورة البقرة، الآية 113.

¹⁰³ - سورة البقرة، الآية 120.

¹⁰⁴ - سورة آل عمران، الآية 181.

¹⁰⁵ - سور المائدة، الآية 18.

¹⁰⁶ - سور المائدة، الآية 51.

¹⁰⁷ - سورة المائدة، الآية 64.

¹⁰⁸ - سورة المائدة، الآية 82.

8- "وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون" ¹⁰⁹.
 أما في صيغة المفرد فوردت في قوله تعالى: "ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" ¹¹⁰.

التفصيل الإلهي لبني إسرائيل:

فضل بنو إسرائيل على بقية الشعوب في فترة زمنية معينة: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين" ¹¹¹.
 I- رأى الفخر الرازي:

ذهب إلى أن التفصيل متعلق بفترة زمنية معينة: "المراد بالتفصيل فضلكم على عالمي زمانكم وذلك لأن الشخص الذي سيوجد بعد ذلك وهو الآن ليس بموجود لم يكن ذلك الشخص من جملة العالمين حال عدمه لأن شرط العالم أن يكون موجود، والشيء حال عدمه لا يكون موجودا فالشيء حال عدمه لا يكون من العالمين، وأن محمدا -عليه السلام- ما كان موجودا في ذلك الزمان، فما كان ذلك الوقت كونهم أفضل من محمد - صلى الله عليه وسلم - في ذلك الوقت" ¹¹².

ثم يشير إلى مسألة دقيقة متعلقة في التفصيل في أمر واحد دون بقية الأمور الأخرى: " أن قوله " وأنى فضلتكم على العالمين " عام في العالمين مطلق في

¹⁰⁹ - سورة التوبة، الآية 30.

¹¹⁰ - سورة آل عمران، الآية 67.

¹¹¹ - سورة البقرة، الآية 47.

¹¹² - مفاتيح الغيب، ج 3، ص 56.

الفضل، والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة، فالآية تدل على أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين في أمرها، وهذا لا يقتضى أن يكونوا أفضل من غيرهم في أمر واحد فغيرهم يكون أفضل منهم فيما عدا ذلك الأمر¹¹³.

2- رأي الطبري:

بين أن التفضيل كان للأبء ومآثر الآباء ومآثر للأبناء: " ويعني بقوله "واني فضلتكم على العالمين" إني فضلت أسلافكم فنسب نعمه على آباءهم وأسلافهم إلى أنها نعم منه عليهم إذ كانت مآثر الآباء مآثر الأبناء، والنعم عند الآباء نعما عند الأبناء لكون الأبناء من الآباء، وأخرج جل ذكره قوله "واني فضلتكم على العالمين" مخرج العموم وهو يريد به خصوصا، لان المعنى واني فضلتكم على عالم من كنتم من ظهريه وفي زمانه"¹¹⁴.

3- رأى عبد الفتاح طبارة:

ذهب إلى أن تفضيلهم على فرعون، فهو ظالم وهم مظلومون: " ان تفضيل بني إسرائيل الذي قصده القرآن ما كان تفضيلهم على المؤمنين العاملين بشريعة الله، بل كان تفضيلهم على شر طاغية في الوجود ألا وهو فرعون وحاشيته، وما فضلهم رب العالمين عليه إلا لأنهم كانوا مظلومين وكان هو الظالم"¹¹⁵.

¹¹³- نفس المصدر، ج3، ص56.

¹¹⁴- جامع البيان، ج1، ص208.

¹¹⁵- اليهود في القرآن، الطبعة الثانية (دار الشروق-القاهرة: 1401هـ-1981م)،

فهذا التفصيل مرتبط بالعمل، وغير متعلق بالجنس: "وما كان تفضيل القرآن تفضيلاً شخصياً لنواتهم أو لجنسهم وإنما يفضل الله قوماً على قوم حسب أعمالهم، ولذا بعد أن يأتي التفصيل في صدر الآية يعود الشطر الثاني من الآية فيحذرهم أن يغتروا بهذا التفصيل لأن كل نفس ستجزي بعملها"¹¹⁶.

4- محمد السيد طنطاوي:

بين أن الله تعالى ذكر بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بما أنعم على أصولهم، لأن شرف الأصول يسري إلى الفروع: "وقوله" وأني فضلتكم على العالمين" عطف على نعمتي، أي وانكروا تفضيلي إياكم على العالمين، وهذا التفصيل نعمة خاصة، فعطفه على "نعمتي" من عطف الخاص على العام للعناية به، وهو أي التفصيل مبدأ تفضيل النعم، وتعدادها، والمقصود نه الحض على الاتصاف بما يناسب تلك النعم، ويستبقى ذلك الفضل، وقد ذكر الله تعالى بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بهذه النعم مع أنها كانت لأبائهم، كما يدل عليه سياق الآيات لأن النعم على الآباء نعم على الأبناء لكونهم منهم، ولأن شرف الأصول يسري إلى الفروع، فكان التذكير بتلك النعم فيه شرف لهم، وحسن سمعة عليهم وتغريهم بالإيمان والطاعة لو كانوا يعقلون"¹¹⁷.

¹¹⁶ - نفس المرجع، ص 43.

¹¹⁷ - بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الطبعة الثانية (دار مكتبة الأندلس - ليبيا: 1392هـ -

1973م)، ج 1، ص 445.

مظاهر التفضيل

1- الملك والنبوة:

قال تعالى: "إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يوت أحدًا من العالمين" 118.

يذكر الطبري أن المقصود بالأنبياء السبعون الذين اختارهم موسى - عليه السلام - والملوك بأن جعل لهم خدما من غيرهم: "يعني بذلك جل ثناؤه أن موسى ذكر قومه من بني إسرائيل بأيام الله عندهم، وبآلائه قبلهم، فحرضهم بذلك على إتباع أمر الله في قتال الجبارين فقال لهم انكروا نعمة الله عليكم أن فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء يأتونكم بوحيه ويخبرونكم بآياته الغيب ولم يعط ذلك غيركم، في زمانكم هذا، فقل أن الأنبياء الذين ذكرهم موسى أنهم جعلوا فيهم هم الذين اختارهم موسى إذ صار إلى الجبل لميقاتنا، وجعلكم ملوكا سخر لكم من غيركم خدما يخدموكم وقيل إنما قال ذلك لهم موسى لأنه لم يكن في ذلك الزمان أحد سواهم يخدمه أحد من بني آدم" 119.

وأورد الطبري معنى ثان للملك وهو من ملك بيتا وخداما وامرأة: "وقال آخرون كل من ملك بيتا وخداما وامرأة فهو ملك كائنا من كان من الناس" 120.

118- سورة المائدة، الآية 20.

119- جامع البيان في تفسير القرآن، ج6، ص108.

120- نفس المصدر، ج6، ص108.

ب- رأى الرازي:

ذكر الرازي بأن الله تعالى جعل أنبياء كثيرين في بني إسرائيل فإسحاق ويعقوب، ويوسف، وإخوته، وغيرهم: " لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء، فمنهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فانطلقوا معه إلى الجبل، وأيضاً كانوا من وأولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهؤلاء الثلاثة بالاتفاق كانوا من أكابر الأنبياء، وأولاد يعقوب أيضاً كانوا على قول الأكثرين أنبياء، والله تعالى أعلم موسى أنه لا يبعث الأنبياء إلا من ولد يعقوب ومن ولد إسماعيل فهذا الشرف حصل بمن مضى من الأنبياء وبالذين كانوا حاضرين مع موسى، وبالذين أخبر الله موسى أنه سيبعثهم من ولد يعقوب وإسماعيل بعد ذلك، ولاشك أنه شرف عظيم"¹²¹.

أما فيما يخص مدلول الملوك، فأورد الرازي عدة آراء منها: "أحدها قال السدي: يعني وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم، بعدما كنتم في أيدي القبط بمنزلة أهل الجزية فينا، ولا يغلبكم على أنفسكم غالب، وثانيها: أن كل من كان رسولا ونبياً كان ملكاً لأنه يملك أمر أمته ويملك التصرف فيهم، وكان نافذ الحكم عليهم فكان ملكاً"¹²².

وبين أن الرأي الثالث بمعنى الملوك في أخلافهم وأسلافهم، والرابع كل من كان مستقلاً بأمره نفسه فهو ملك: " وثالثها : أنه كان في أسلافهم وأخلافهم ملوك عظاماء، وقد يقال فيمن حصل فيهم ملوك: أنتم ملوك على سبيل

¹²¹ - مفاتيح الغيب، ج11، ص200.

¹²² - نفس المصدر، ج11، ص201.

الاستعارة ورابعها: أن كل من قال مستقلا بأمر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه إلى أحد فهو ملك¹²³.

ج- رأى محمد رشيد رضا:

يذهب إلى أن المقصود بالملك أنهم صاروا أحرارا بعد فترة العبودية: فظاهر هذه العبارة أنهم كلهم صاروا ملوكا، وإن أريد" بكل "المجموع لا الجميع، أي أن معظم رجال الشعب صاروا ملوكا بعد أن كانوا كلهم عبيدا للقبط، بل معنى الملك هنا الحر المالك لأمر نفسه، وتدبير أمر أهله، فهو تعظيم لنعمة الحرية والاستقلال، بعد ذلك الرق والاستعباد¹²⁴.

ثم يفصل في هذا المعنى الجامع لمدلول كلمة الملك: " أن المراد بالملك هنا الاستقلال الذاتي والتمتع بنحو ما يتمتع به الملوك من الراحة والحرية والتصرف وسياسة البيوت، وهو مجاز تستعمله العرب إلى اليوم في جميع ما عرفنا من بلادهم، يقولون لمن كان مهنتا في معيشته مالك لملكه، مخدوما مع أهله: فلان ملك، أو ملك زمانه، أي يعيش عيشة الملوك¹²⁵.

2- المن والسلوى والغمام:

قال تعالى: " وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون¹²⁶.

¹²³ - نفس المصدر، ج 11، ص 201.

¹²⁴ - تفسير المنار، ج 6، ص 323.

¹²⁵ - نفس المصدر، ج 6، ص 324.

¹²⁶ - سورة البقرة، الآية 57.

والمن يشبه الصمغ وطعمه حلو: "المن اسم جنس لا واحد له من لفظه والمشهور أنه الترنجيين، وهو شيء يشبه الصمغ حلو مع شيء من الحموضة كان ينزل عليهم كالطل" ¹²⁷.

والسلوى عبارة عن طائر يأتيهم فيأخذونه بسهولة: "وهو طائر يشبه السماني هو السماني بعينها، وكانت تأتيهم من جهة السماء بكرة وعشيا أو متى أحبوا فيختارون منها السمين ويتركون منها الهزيل، وقيل أن ريح الجنوب تسوقها إليهم فيختارون منهم حاجتهم ويذهب الباقي، وفي رواية كانت تنزل عليهم مطبوخة ومشوية" ¹²⁸.

3- انجاؤهم من فرعون وقومه:

قال تعالى: "وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم" ¹²⁹.
والفرعون المقصود في هذه الآية هو قابوس أو الوليد بن مصعب على ما ذهب إليه بعض المفسرين: "و فرعون : قيل هو اسم ذلك الملك بعينه، وقيل انه اسم لكل ملك من ملوك العمالقة كما يسمى من ملك الفرس كسرى، ومن ملك الروم قيصر، ومن ملك الحبشة النجاشي، واسم فرعون موسى المذكور هنا: قابوس في قول أهل الكتاب، وقال وهب: اسمه الوليد بن مصعب بن الريان،

¹²⁷ - الألوسى، روح المعني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج1، ص264.

¹²⁸ - نفس المصدر، ج1، ص264.

¹²⁹ - سورة البقرة، الآية 49.

قال المسعودي: لا يعرف الفرعون تفسير بالعربية¹³⁰ وقد كان هذا للعذاب المسلط على بني إسرائيل يمتاز بالدوام والاستمرار وتمثل في قتل الأبناء واستحياء النساء، وكان الكهنة قد أخبروا فرعون بأن مولودا من بني إسرائيل يكون هلاك فرعون على يده: "أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقيمت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان"¹³¹ وكان من تمام نعمة الله على بني إسرائيل أنه أغرق فرعون وقومه أمام أبصارهم ونجاهم من الهلاك.

4- سقيهم بالماء:

قال تعالى: "وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما، وأوحينا إلى موسى إذ استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم"¹³².

عندما طلب القوم من موسى أن يدعو الله ليسقيهم ماء، ضرب بعصاه الحجر، فكانت لهم عيون بعدد قبائلهم: "ولما جازوا البحر وجاءوا إلى الشاطئ الشرقي لم يجدوا ماء لشربهم وسقيا دوابهم، فشكوا إلى موسى متمرين واستسقوه فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فلما ضربه انبجست منه اثنتا عشرة عينا،

¹³⁰ - الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 263.

¹³¹ - ابن كثير، البداية والنهاية الطبعة السادسة، (مكتبة المعارف بيروت: 1405هـ) -

(1998م)، ج 1، ص 238.

¹³² - سورة الأعراف، الآية 160.

لكل من الأسباط عين تجري بالماء يشرب منها، وهذه العيون بالبر الشرقي غير بعيدة من مدينة السويس شهيرة بـ "عيون موسى" وقل اليوم ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره، ويزرع على تلك المياه بعض النخيل، والظاهر أن ضرب الحجر وانجاسه بالماء حصل مرات¹³³.

صور إفسادهم في الأرض:

تعددت صور إفسادهم في الأرض، وسأذكر أهم الصور الإفسادية التي

اقترفوها:

قتل الأنبياء: نقض العهود والمواثيق، إثارة الحروب والفتن، إشاعة الفواحش، التعامل بالربا، قولهم يد الله مغلولة، تحريف الكلم عن مواضعه، زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، سفك دم بعضهم البعض، عبادة العجل، مسارعتهم في الإثم والعدوان، كتمانهم الحق وغيرها من المفاسد.

1- قتل الأنبياء:

جاء بعد موسى - عليه السلام - الكثير من الأنبياء لبني إسرائيل، ولكن موقف بني إسرائيل من الأنبياء كان محاولة القتل في كثير من الأحيان: "وأتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون"¹³⁴.

¹³³ - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 211.

¹³⁴ - سورة البقرة، الآية 87.

ومن الأنبياء الذين تعرضوا للقتل حزقيال، واشعيا، وإلياس، وزكرياء، ويحيى: "والمتمأمل لآيات القرآن الكريم التي وصفت ارتكابهم هذه الجريمة النكراء يجدها تسع آيات، جاء الفعل في ست منها بلفظ المضارع وفي اثنتين بلفظ المصدر الذي هو في الأصل فعل مضارع مسبوق بأن أو ما، وفي مرة جاء بلفظ الماضي، وهذا يدلنا على أن قتل الأنبياء جبل فيهم، وطبع خبيث يتوارثه الأبناء عن الآباء، فروح الغدر برسل الله تسري في عروقهم منذ أسلافهم الأقدمين إلى أبنائهم المحدثين" ¹³⁵.

2- عبادة العجل:

صنع بنو إسرائيل من حليهم عجلا وعبدوه في غياب موسى - عليه السلام - عندما ذهب إلى ميقات ربه: " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين" ¹³⁶.

و الذي صنع لهم العجل رجل منهم يقال له السامري: " وهكذا نجد السياق القرآني يبعد هارون عن أن يكون مسؤولا عن كفر بني إسرائيل، وعن صنع هذا الصنم الذهبي، ويبرز لذلك شخصا آخر هو السامري المتزعم لتلك الردة" ¹³⁷.

¹³⁵ - محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، الطبعة الأولى (مكتبة الفلاح- الكويت: 1400هـ-1980م)، ص 161.

¹³⁶ - سورة الأعراف، الآية 148.

¹³⁷ - مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، الطبعة الأولى (دار القلم- دمشق: 1416هـ-1995م)، ص 59-60.

3- نقض العهود والمواثيق:

لم يلتزم بنو إسرائيل بكل العهود والمواثيق التي كانت بين الله تعالى وبينهم أو مع أنبيائهم، أو مع بعضهم البعض: "أو كلما عاهدوا عهدا نبده فريق منهم، بل أكثرهم لا يؤمنون" ¹³⁸.

ونتيجة للفساد الذي ظهر من بني إسرائيل حل عليهم عقاب الله تعالى: "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجازوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين جعلناكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسئتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا" ¹³⁹.

يبين الطبري أن معنى الإفساد في الأرض هو معصيتهم لأمر الله تعالى ومخالفة أمره: "لتعصن الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مرتين ولتعلمن علوا كبيرا يقول ولتستكبرن على الله بإجترائكم عليه استكبارا شديدا" ¹⁴⁰ وذهب إلى أن الإفساد الأول تمثل في قتل زكريا: "إن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة لتفسدن في الأرض مرتين فكان أول الفسادين قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك النبط وكان يدعى صنحابين، فبعث الجنود وكان

¹³⁸ - سورة البقرة، الآية 100.

¹³⁹ - سورة الإسراء، الآية من 4 إلى 7.

¹⁴⁰ - جامع البيان في تفسير القرآن، ج15، ص16.

أساورته من أهل فارس فهم أولو بأس شديد"¹⁴¹، ويروى كذلك عن ابن إسحاق القول بأن الإفساد الأول هو قتلهم اشعيا: "وأما على قول ابن إسحاق الذي روينا عنه فكان إفسادهم المرة الأولى ما وصف من قتلهم شعيا بن أمصيا نبي الله، وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات ولم يقتل وأن المقتول إنما هو شعيا وأن بختنصر هو الذي سلط على بني إسرائيل في المرة الأولى بعد قتلهم شعيا"¹⁴².

أما الإفساد الثاني فتمثل في قتل يحيى: "وأما إفسادهم في الأرض في المرة الآخرة فلا خلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا وقد اختلفوا في الذي سلطه عليهم منتقما منهم عند ذلك"¹⁴³.

وفي الأخير حدد مكان الإفساد ببيت المقدس: "حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ظهر بختنصر على الشام فضرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا أي كناسة فسألهم ما هذا الدم قالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكباطهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن"¹⁴⁴.

أما الخازن فيذهب إلى إن الإفساد الثاني كان قصدهم قتل عيسى - عليه السلام-: " المرة الآخرة من إفسادهم وهو قصدهم قتل عيسى، فخلصه الله

¹⁴¹ - نفس المصدر، ج 15، ص 17.

¹⁴² - نفس المصدر، ج 15، ص 22.

¹⁴³ - نفس المصدر، ج 15، ص 21.

¹⁴⁴ - نفس المصدر، ج 15، ص 23.

منهم، ورفعهم إليه، وقتلوا زكريا ويحي - عليهما السلام- فسلط الله عليهم
الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم"145.

غير أن أبي حيان بين أن الإفساد الثاني تمثل في حبس إرميا: "أولاهما قتل
زكريا ونشره في الشجرة بالمنشار، والثانية حبس إرميا حين أنذرهم سخط
الله"146.

وذهب الألوسي إن المسلط عليهم في المرة الثانية هو ملك خردوش: "وروى
عن عبد الله بن زبير - رضي الله تعالى عنهما - أن الذي غزاهم ملك
خردوش وتولى قتلهم على دم يحي - عليه السلام- قائد له فسكن"147.

وقد قرر محمد السيد الطنطاوي إن العباد الذين سلطهم الله تعالى على بني
إسرائيل في إفسادهم الأول هم جالوت وجنوده، واختار هذا الرأي للأسباب
الآتية:

- 1- ذكر القتال الذي دار بين طالوت وجالوت يدل على أن بني إسرائيل كانوا
في موضع المهزوم المقهور.
- 2- قوله تعالى: "ثم رددنا لكم الكرة عليهم" صريح في نصر الله تعالى لبني
إسرائيل بعد توبتهم وإنابتهم.

145- تفسير الخازن، ج3، ص152.

146- تفسير النهر الماد من البحر المحيط، الطبعة الأولى (دار الجنان: لبنان 1407هـ) -

1987م)، ج2، ص282.

147- روح المعنى في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج15، ص20.

3- نصرهم على جالوت وجنوده، وقد جاء هذا النصر بعد إخراجهم من ديارهم وأبنائهم واعتراضهم على اختيار طالوت ملكا، ومقاتلة عدد قليل منهم مع طالوت.

4- قوله تعالى: "وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا" أكثر ما يكون انطباقا على عهد حكم طالوت وداود، وسليمان لهم¹⁴⁸.

أما المسلط عليهم في المرة الثانية حسب رأي محمد السيد طنطاوي فهم الرومان بقيادة تيطس سنة 70م، واختار هذا الرأي للأمر الآتية:

1- أن الذي يتتبع التاريخ يرى أن ردائل بني إسرائيل في الفترة التي سبقت تشكيل تيطس بهم أشد وأكبر من ردائل بني إسرائيل في الفترة التي سبقت إذلال بختنصر لهم.

2- ضربات الرومان كانت أشد وأقسى على بني إسرائيل من ضربات بختنصر لهم.

3- آثار النكبة التي أنزلها الرومان بهم أشنع بكثير من النكبة التي أنزلها بختنصر بهم.¹⁴⁹

¹⁴⁸ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج15، ص36-37.

¹⁴⁹ - نفس المصدر، ج15، ص38-39.

المبحث الثالث

النقد والمقارنة

1- مناقشة الوعد:

إن الوعد في المرحلة الأولى حسب نصوص العهد القديم كان موجهاً إلى إبراهيم - عليه السلام - بامتلاك الأرض، وعندما بشر إبراهيم بهذا الوعد كان إسماعيل هو الإبن الأول الذي ولد له، وقد اقترن الوعد بمولد إسماعيل معنى هذا إن إرث الوعد كان لإسماعيل، لكن كتاب العهد القديم يميلون بالعهد إلى إسحاق وهو الإبن الثاني لإبراهيم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فنسبوا كل ما من شأنه أن يرفع مكانة صاحبه إلى إسحاق دون إسماعيل، وأوضح مثال على ذلك قصة الذبيح، فنصوص العهد القديم كانت صريحة في إن الأمر تعلق بالبكر، والبكر هو إسماعيل، لكن عبارتها وردت على الشكل التالي: "خذ ابنك وحيدك"¹⁵⁰.

فلا شك أن الادعاء بعد ذلك اختصاصهم بالوعد لا أساس له من الصحة، فبما ترى ما هو المبرر في نقل الوعد لإسحاق ثم يعقوب من بعده، وحرمان إسماعيل وهو الإبن البكر من ذلك: "إن وعد الله سبحانه وتعالى ليس موجهاً إلى الصهاينة أو إلى اليهود، وإنما هو موجه إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وذريته أيضاً، بمعنى أن هذا الوعد ليس مقصوراً على بني إسرائيل

¹⁵⁰ - سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرة 2.

وحدهم. ولا من يدين بالديانة اليهودية دون الديانات الأخرى، أو يعتنق المذهب الصهيوني دون غيره، وإنما هذا الوعد لسلالة إبراهيم على الإطلاق¹⁵¹.

وذكر القرآن الكريم وعد الله لإبراهيم - عليه السلام - : "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن"¹⁵².

ونفى القرآن الكريم عن إبراهيم - عليه السلام - أن يكون يهودياً أو نصرانياً: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"¹⁵³.

كما نفى ذلك عن أبنائه من بعده: "أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كان هوداً أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون"¹⁵⁴.

هكذا يقرر القرآن الكريم أن الورثة الحقيقيين لإبراهيم هم أتباع الحنيفية السمحاء: "فلقد من الله تعالى عليه وبعد ما بلغ من الكبر عتياً، بإسماعيل، وإسحاق، وكانت جميع أنبياء بني إسرائيل من نسل إسحاق نبي الله، ابن نبي الله إبراهيم - عليه السلام - إلا أن الله تعالى قد من علينا نحن المسلمين بأن

¹⁵¹ - فتحي فوزي عبد المعطي، ص 41.

¹⁵² - سورة البقرة، الآية 124.

¹⁵³ - سورة آل عمران، الآية 67.

¹⁵⁴ - سورة البقرة، الآية 140.

جعلنا ورثة الملة الحنيفية" السمحة، وكانت من حظ خاتم الأنبياء سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ابن إبراهيم - عليه السلام -¹⁵⁵.

2-الاختيار الإلهي:

يقسم الإسرائيليون البشر إلى قسمين: إسرائيل وهم شعب الله المختار، والأمميين وهم بقية شعوب العالم.

وتبين لنا من خلال المبحث المتعلق بالشعب الإسرائيلي أن الرب هو الذي اختار شعب بني إسرائيل، وارتبط هذا الاختيار بالوعد بالأرض: "وقد تداخلت عناصر اختيار الرب لبني إسرائيل ليكونوا له شعبا ويكون لهم إلهاء، مع وعد الرب لهم بتوريثهم الأرض التي وعد الرب جددهم الأكبر إبراهيم بتوريثها له ولنسله من بعده وكان من المعتذر فصل الاختيار عن الوعد فصلا إلا بإهمال بعض النبوءات التي تحمل المعنيين"¹⁵⁶.

وهذا الاختيار الإلهي عند بني إسرائيل ارتكز أولا على أن الرب اختص إبراهيم - عليه السلام - ببركائه ووعدته وثانياً اختص إبراهيم ابنه إسحاق كوريث للعهد، ثالثاً اقتصر معنى الذرية على يعقوب وأولاده من بعده¹⁵⁷ وهذا الإدعاء بأنهم شعب الله المختار قد ورد في روايات العهد القديم ما يفنده خاصة في غضب الرب عليهم وإنزاله العقاب الشديد على مملكتهم وتشتيتهم على أيدي أعدائهم وقد حاول كتاب العهد القديم تقديم المبررات لهذا العقاب من

¹⁵⁵ - فريد إبراهيم محمد، إسرائيل اليهود الوجه الخفى (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة: 2004)، ج1، ص265.

¹⁵⁶ - عبد العزيز عامر، بنو إسرائيل، ص107.

¹⁵⁷ - نفس المرجع، ص124.

باب إرجاع الشعب إلى الوصايا، ومن هنا اغفلوا نقطة أساسية في هذا الاختيار وهو دور الأنبياء والمرسلين في تقويم الشعب وتوجيهه، وأنه ما استحق التفضيل إلا لإتباعه لرسالاتهم.

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يقرر بأن هذا الاختيار قد كان مرتبطاً بفترة زمنية معينة عندما تحققت فيه الشروط التي امتازوا بها عن بقية الشعوب المحيطة بهم، لكن عندما كفروا برسالات السماء، وبدلوا ما جاءهم من عند الله سقطت عنهم هذه الأفضلية: "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق" 158.

قضية الإفساد في الأرض:

أوردنا في مبحث سابق عدة روايات من العهد القديم فصلت في مظاهر الإفساد الذي انتشر في المجتمع الإسرائيلي، وجاءت صيحات الأنبياء منذرة لهم بحلول العقاب الإلهي عليهم، وقد تحقق ذلك على يد سرجون الثاني من الآشوريين أولاً، ونبوخذ نصر البابلي ثانياً: فأشور قاموا بسبى عشرة أسباط، وبابل سبوا السبطين المتبقين وهما يهوذا وبنيامين.

وقد ورد في القرآن الكريم أن الله كتب على بني إسرائيل إفسادهم في الأرض مرتين وذكرنا آراء المفسرين في المقصود بالإفساد الأول ومن سلط عليهم، والإفساد الثاني والمسقط عليهم، غير أن بعض الباحثين المعاصرين من بين بأن الإفساد الأول قد وقع، أما الإفساد الثاني فلم يقع بعد: "سيكتب الله النصر لمن دخلوه أول مرة وهم المسلمون، ويخزي وجود بني إسرائيل، ويكتب

158- سور المائدة، الآية 18.

للمنتصرين أن يتبروا أي يدمروا تدميرا كاملا ما علاه الإسرائيليون فوق المسجد وغيره، ومكان المسجد الأقصى لم يعرف باسم المسجد إلا في ظل الإسلام، وبالتالي فالتعبير بعبارة "وليد خلوا المسجد كما دخوله أول مرة" في الإفساد الأول يدل على أن الإفساد الثاني سيحدث في ظل الإسلام¹⁵⁹.

¹⁵⁹ - عبد الناصر توفيق العطار، تدمير عجل بني إسرائيل الجديد مؤسسة البستاني للطباعة - القاهرة: 1991، ص 67-68.

جامعة الأمير

الفصل الرابع

نظام الحكم الإسرائيلي

القانون للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

نظام الحكم في العهد القديم

1- عهد القضاة:

انحصر دور يشوع بن نون في الإستيلاء على رقعة جغرافية من أرض كنعان، والقيام بتقسيمها بين أسباط بني إسرائيل، وقد وفاء الأجل ومجتمع بني إسرائيل في طور النشأة الأولى، خاصة وأن الغارات الفلسطينية شديدة ومتتالية، وألحقت الهزائم تلوي الأخرى ببني إسرائيل، هذا ما دفع بشيوخ بني إسرائيل إلى الاستجداء بأنبيائهم، طالبين منهم تعيين قائد عسكري يقود جيوشهم أطلق عليه العهد القديم اسم القاضي: "ولكننا إذا أردنا استجلاء حقيقة المجتمع العبري إبان عهد القضاة على ضوء ما ذكر في العهد القديم لوجدناه عصر قلاقل وحروب، وتشتت في الصف والكلمة، ولم يكن ظهور هؤلاء القضاة إلا لمعالجة هذه المثالب، فهم لا يعرفون طريق الرب إلا عند الشدائد واستحواذ الأزمات عليهم"¹.

ومن خلال دراستي لسفر القضاة لم أجد شكلاً معيناً لنظام الحكم في المجتمع الإسرائيلي آنذاك، ولا تقسيم للسلطات بمعنى وجود سلطة تنفيذية، وسلطة تشريعية، وسلطة قضائية، ومجالس للحكم، كل ما في الأمر أن هناك تعيين

¹ - محمود أحمد المراغي، اشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم، الطبعة الأولى (دار العلوم العربية - لبنان: 1413هـ - 1992)، ص 17.

لقائد عسكري يتولى شؤون بني إسرائيل الحربية، وتتحصر مهمته الرئيسية في إحرار الإنتصار في ميدان القتال.

دواعي ظهور القضاة: يمكن حصر هذه الدواعي في جانبين أساسيين، جانب ديني، وآخر سياسي.

I- الدواعي الدينية:

قبل وفاة يشوع بن نون، وفي أيامه الأخيرة ذكر بني إسرائيل بما فعله الرب لهم من تمكينهم من احتلال الأرض، وهزيمة شعوب المنطقة حيث وصف لهم الرب بالمحارب عنهم، وأوصاهم بالتمسك بشريعة موسى: "فتشدوا جدا لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يمينا أو شمالاً"² وهذا النص جلي في إلزام بني إسرائيل بالشرائع التي أمرهم موسى بالتمسك بها من قبل الرب، ويأتي على رأس الشرائع الوصايا العشر. وبعد وفاة يشوع عبد بنو إسرائيل آلهة الكنعانيين.

إننا أمام صورتين متناقضتين، الفاصل الزمني بينها قصير فلو طال الزمن لوجدنا عذرا للقوم مع طول الأمد، لكن أن يحدث ذلك بعد وفاة يشوع مباشرة، فإن ذلك مدعاة للتعجب، وطرح التساؤل تلو الآخر بحثا عن الأسباب الدافعة لذلك، ولا أجد تفسيراً لذلك غير تمكن العبودية والتبعية من نفوسهم وأن آثارها امتد إلى الجيل الجديد الذي لم يعيش في الاضطهاد والعبودية في مصر، وتوارثها الجيل اللاحق عن الجيل السابق.

²- سفر يشوع، الاصحاح 23، الفقرة 6.

ومن أجل عبادتهم لآلهة أخرى دفعهم الرب إلى أيدي أعدائهم، حتى ضاق بهم الرب، ثم أقام عليهم قضاة لتخليصهم من أعدائهم: "وحينما أقام الرب لهم قضاة، كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأن الرب ندم من أجل أنينهم، بسبب مضايقتهم وزاحيمهم، وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها"³.

وجزاء لعبادتهم آلهة أخرى، وتركهم وصايا الرب، سلطت عليهم الممالك المجاورة، وشننت عليهم الغارات المتوالية، وأول من أغار عليهم ملك آرام: "فعمل بنو إسرائيل الشرفى عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري، فحمى غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعنا يم ملك آرام النهيرين، فعبد بنو إسرائيل كوشان ثمانى سنوات، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام الرب مخلصا لبني إسرائيل فخلصهم"⁴.

وهنا نلاحظ التناقض الكبير بين ما ورد في سفر يشوع وسفر القضاة، فسفر يشوع قرر من قبل أن الجيش الإسرائيلي أباد المدن الفلسطينية ولم يبق منها شيئا، وأحكم السيطرة عليها، وفجأة بعد موت يشوع مباشرة يظهر الفلسطينيون والشعوب المجاورة لهم في قوة جبارة تمكنهم من استعباد شعبا بلغ تعدادها حسب العهد القديم أربعة ملايين نسمة وست مائة ألف مسلح.

³ - سفر القضاة، الاصحاح 2، الفقرات 18-19.

⁴ - سفر القضاة، الاصحاح 3، الفقرات 7 إلى 9.

والتفسير الوحيد الذي أجده لهذا التناقض، هو اختلاف كاتبَي السفرين، وعدم معرفتهما لبعضهما، فكل واحد منهما كتب سفره بدافع يختلف عن الآخر، وهذا يدل على عدم الترابط بين أسفار العهد القديم، وعلى عدم الوثوق بالمعلومات المقدمة، إن بني إسرائيل لجأوا مباشرة بعد وفاة يشوع إلى معبودات الكنعانيين، فاتخذوها لهم آلهة: "إن انحرافات بني إسرائيل كانت عقب موت يشوع ودخولهم في حقبة عهد القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذي أخذه عليهم يوشع، وسجله في التوراة على ما حكاه آخر إصحاحات سفر يوشع، مما كان دأبهم منذ خروجهم من مصر، ومما يدل على ضعف صلابتهم ومقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم عدم مبالاتهم بزواجهم بالله ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم المشددة والمتكررة"⁵.

ومن الآلهة الكنعانية التي عبدها بنو إسرائيل بعد يشوع البعلعيليم والسواري: "فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعلعيليم والسواري"⁶.

II- الدواعي السياسية:

وقع بنو إسرائيل في قبضة الفلسطينيين، وتوال الملوك في استعبادهم، حيث ظلوا في عبودية ملك موآب عجلون ثماني سنوات، وفي يد ملك آرام كوشان رشعنايم ثماني سنوات، وفي قبضة ملك كنعان يابين عشرين سنة، وسيطر

⁵ - محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص 17.

⁶ - سفر القضاة، الإصحاح 3، الفقرة 7.

عليهم المديانيون سبع سنوات، ووقعوا في عبودية بني عمون ثماني عشرة سنة، واستعبدهم الفلسطينيون أربعين سنة:

فإذا قمنا بحساب سنوات العبودية في العهد القضائي استنادا إلى ماورد في سفر القضاة كانت النتيجة واحد ومائة سنة.

ولنا أن نتساءل عن المدة الزمنية التي استغرقها عهد القضاة:

1- رأى عايد هنري:

ذهب إلى تقدير المدة بـ 286 سنة: "يغطي من الوقت حوالي 286 سنة من موت يشوع بن نون سنة 1427 ق.م إلى وقت بدء خدمة صوئيل سنة 1141 ق.م"⁷.

2- رأى شانوان ليسو « CHANOINE LUSSEAU » :

خلص من خلال عملية حسابية لفترة الاستعباد من طرف الممالك المجاورة، وفترة حكم القضاة إلى أن المدة تقدر بـ 430 سنة⁸.

3- رأى سبتينو موسكاتي:

قدرها بحوالي قرنين من الزمان: "وهؤلاء هم القضاة الذين سميت باسمهم حقبة من تاريخ العبريين تشمل تقريبا القرنين اللاحقين لاحتلال فلسطين"⁹.

⁷ - عايد هنري، الكتاب المقدس سفرا سفرا، (مكتبة كنيسة الاخوة: 1994) ص 38.

⁸ - Histoire du peuple d'Israel (librairie. Tequi: 1945) p: 742.

⁹ - الحضارات السامية، ص 112.

4- رأي محمد عزة دروزة:

حدد المدة في حوالي مائة سنة، ورفض الحساب المذكور في سفر القضاة ودليله المدة الزمنية بين الخروج وبداية الملك. "وحساب السفر يجعل حقبة القضاة نحو أربع مائة سنة مع أنها قد لا تزيد على المائة إذا ما لاحظنا أن الملك الرسمي لبني إسرائيل قام في أواسط القرن الحادي عشر (حوالي 1030) وأن بني إسرائيل خرجوا من مصر في أواخر القرن الثالث عشر (حوالي 1210) وأن زعامة موسى ويشوع من بعده استمرت نحو ثمانين سنة¹⁰.

يتضح من خلال الآراء السابقة أن مدة القضاة تتراوح ما بين: قرن من الزمان، وأربعة قرون، ومدة وسط تقدر بقرنين، وإذا قمنا بحساب نسبة العبودية وجدناها كالتالي:

إستنادا إلى الرأي القائل بأربعة قرون تقدر بربع المدة.

وعلى الرأي القائل بقرنين تقدر بنصف المدة.

وبناء على الرأي الأخير قرن من الزمان، تعتبر كل المدة مدة عبودية، ومن هنا نتبين دور الداعي السياسي في ظهور القضاة، وإن حاول كاتب سفر القضاة الإعتماد على التبرير الديني، حيث كانت هذه الحالة السيئة التي يعيشها بنو إسرائيل من دواعي ظهور حاكم وقائد عسكري يقود المجتمع الإسرائيلي أطلق عليه اسم قاض: "ولما كان الكيان اليهودي آنذاك مقسما إلى عشائر غير متفقة في كثير من الأحيان، أصبح من الضروري لصمودهم أمام

¹⁰ - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص 82.

مقاومة أصحاب الأرض، أن يظهر بينهم من وقت لآخر قائد أو حاكم عسكري يسمى قاضيا يحاول جمع كلمة قومه وتوحيد صفهم ولم شملهم الممزق¹¹.

الحالة الدينية لعهد القضاة:

تعتمد سلطة القضاة على رضا الرب فمَن يستمد القاضي سلطانه، بل أن تعيينه يتم بأمر الرب لنبي من أنبيائهم: "وكانت سلطة القضاة تعتمد أساسا على رضا الله عنهم وتأييده لهم، ومن ثم سميت الفترة بحق عصر الرضا الرباني"¹².

وأمدنا سفر القضاة بوصف شامل للحالة الدينية لبني إسرائيل بعد يشوع، وعبادتهم لآلهة الأقوام المجاورة: "وفعل بنو إسرائيل الشرفى عينسى الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل والعشتاروت"¹³.

كيف أباح بنو إسرائيل لأنفسهم عبادة الآلهة الكنعانية، وأي فكر قادم إلى ذلك الانحطاط، ألم يشدد يشوع عليهم في وصيته، ألم يذكرهم بما كان للأباء الأولين من وعد، ألم يستعرض أمامهم الأحداث القريبة منذ خروجهم من مصر إلى دخولهم أرض كنعان، وكيف أجابه الشعب بأنهم متمسكون بعبادة الرب ولن يحدوا عن ذلك: "فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد

¹¹ - محمود أحمد المراغي، اشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي، ص 13.

¹² - سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية، ص 13.

¹³ - سفر القضاة، الاصحاح 2، الفقرات من 11 إلى 13.

أللهة أخرى، لأن الرب إلهنا هو الذي أضعنا من أرض مصر من بيت العبودية والذي عمل أمام أعيننا الآيات العظيمة".

وعدد القضاة الذين حكموا المجتمع الإسرائيلي خمسة عشر قاضياً، بعضهم يوصف بالكبار، والبعض الآخر بالصغار، وفيما يلي ترتيبهم ومدة حكمهم:

اسم القاضي	مدة حكمه	الملك الذي استعدهم
1- عثيئيل	40	ملك آرام كوشان رشعتايم
2- إهود	80	ملك موآب عجلون
3- سمجر	؟	الفلسطينيون
4- دبورة	40	ملك كنعان يابين
5- جدعون	40	المدنيانيون
6- ابيمالك	3	؟
7- تولع	24	؟
8- يائير	22	؟
9- يفتاح	6	بني عمون
10- ابسان	7	؟
11- ايلون	10	؟
12- عبودون	8	؟
13- شمشون	20	الفلسطينيون
14- عالي الكاهن	40	الفلسطينيون
15- صموئيل	12	الفلسطينيون

1- عثينيل:

ما ورد عن عثينيل في سفر القضاة مختصر جدا، حيث نكر كاتب السفر أنه ابن قناز أخت كالب الأصغر، ووصف بأن روح الرب عليه وهي إشارة إلى نبوته، والذي سيط على بني إسرائيل في عهده هو الملك الآرامي كوشان رشعتايم، وسبب عبودية بني إسرائيل لعبادتهم للبعليم والسواري، لكن الرب أقام عليهم عثينيل وخلصهم مزيد الآراميين: "فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب فدفع الرب بيده كوشان رشعتايم ملك آرام واعزت يده على كوشان رشعتايم، واستراحت الأرض أربعين سنة، ومات عثينيل بن قناز¹⁴.

2- إهود:

انكس بنو إسرائيل مرة أخرى، وعملوا الشر في عيني الرب، فسلط عليهم هذه المرة الملك الموآبي عجلون فاستعبدهم ثماني عشرة سنة: "وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم الرب مخلصا إهود بن جيرا البنياميني رجلا أعسر¹⁵.

وطريقة الخلاص مدعاة للتعجب والدهشة، لأن إهود بن جيرا اختار أسلوب الخداع للتخلص من الملك الموآبي، حيث كلفه بنو إسرائيل بحمل هدية للملك عجلون، وأعد للمناسبة سيفاً ذا حدين طوله ذراع، وخبأه تحت ثيابه وعند الانتهاء من تقديم الهدية، انفرد بالملك الموآبي بحجة إيلاعه بكلام سر، واستغل

¹⁴ - سفر القضاة، الاصحاح 3، الفقرات 10-11.

¹⁵ - سفر القضاة، الاصحاح 3، الفقرة 15.

انفراده بالملك وأخرج سيفه وطعنه، واستطاع إهود ينجو بنفسه¹⁶، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل جمع بني إسرائيل عندما رجع وأمرهم بالإغارة على موآب: "فضربوا من موآب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل كل نشيط وكل ذى بأس ولم ينج أحد، فذل المآبيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل، واستراحت الأرض ثمانين سنة"¹⁷.

3- شمجر:

فيما يخص هذا القاضي وردت في حقه عبارة واحدة مبهمة في العهد القديم: "وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ست مئة رجل بمنساس البقر وهو أيضا خلص إسرائيل"¹⁸.

4- دبورة:

هذه المرأة جمعت بين وظيفتين النبوة والقضاء: "دبورة امرأة نبيّة زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت، وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرام، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء"¹⁹.

وفي هذا النص يبرز مدلول جديد للقاضي، وهو الفصل في الخلافات بين الناس، ولعل دبورة اتصفت بذلك لكونها نبيّة، فكان بنو إسرائيل في زمانها

¹⁶ - سفر القضاة، الاصحاح 3، الفقرات 15 إلى 25

¹⁷ - سفر القضاة، الاصحاح 3، الفقرات 29-30.

¹⁸ - سفر القضاة، الاصحاح 3، الفقرة 31.

¹⁹ - سفر القضاة، الاصحاح 4، الفقرات 4-5.

يرجعون إليها للفصل في خلافاتهم وخصموتهم، ولم تكن قائدة للجيش كما سنيين ذلك فيما بعد.

في وقتها تعرض بنو إسرائيل إلى الاستعباد من طرف ملك كنعان يابيين، والسبب دائما نفسه وهو عمل الشرفي عيني الرب: "فباعهم الرب بيد يابيين ملك كنعان الذي ملك في حاصور، ورئيس جيشه سيسرا وهو ساكن في حروشة الأمم، فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب لأنه كان له تسع مئة مركبة من حديد وهو ضايق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة"²⁰.

فاختارت دبورة بأمر الرب قائد لبني إسرائيل إسمه باراق بن ابينوعم من سبط لاوى، وهنا يقع كاتب سفر القضاة في خطأ آخر، ألم تكلف أسفار العهد القديم اللاويين بالخدمة في خيمة الاجتماع أوبيت الرب، ألم تفهم من العمل في الجيش، وتسد لهم الأعمال الكهنوتية، كيف يتغير ذلك فجأة، ويختار القائد من الكهنة هذا من جانب، ومن جانب ثان فإن سفر القضاة ابرز صفة الجبن التي تمكنت من باراق ومن ثم من بقية أفراد جيشه لمواجهة المؤابيين الذي رفض الذهاب إن لم تذهب معه: "أذهب وازحف إلى جبل تابور وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون، فأجذب إليك إلى نهر قيشون سيسرا رئيس جيش يابيين بمركباته وجمهوره وأدفعه إليك، فقال لها باراق إن ذهبت معي أذهب، وإن لم تذهبي فلا أذهب"²¹.

²⁰- سفر القضاة، الاصحاح 4، الفقرات 2-3.

²¹- سفر القضاة، الاصحاح 4، الفقرات 6 إلى 8.

استجابت دبورة لطبه، لكن بينت له أن جنبه ذلك يسلب منه فخر النصر، لأن المرأة هي التي خرجت وتقدمت بنفسها: "فقلت إنني أذهب معك غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها، لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة فقامت دبورة وذهبت مع باراق إلى قادش"²².

ويعلق أحد الباحثين على هذا الموقف: "ولكن شعب الإله يهوه مالبت أن وقع في عبودية الملك الكنعاني يابين، ولكن لحسن حظه أن امرأة تدعى دبورة، وهي نبية محترمة، بعثت فيه، فدعت إليها بارقا وأيقظت فيه حمية الرجال، كما أيقظتها في عشرة آلاف مقاتل من بني زبولون ونفتالي"²³.

وبين سفر القضاة أن سيسرا أخرج كل أفراد شعبه لمقاتلة جيش بني إسرائيل مع تسعمائة مركبة حديدية، ومع كل هذه القوة العسكرية للكنعانيين، ومع اهتزاز نفسية بني إسرائيل وجبنهم وتخاذلهم حيث تقدمتهم امرأة تبعث في نفسياتهم الحمية، فإن جيش بني إسرائيل قتلوا كل جيش العدو ولم يبقوا منهم واحدا، غير قائد الجيش سيسرا حيث لجأ إلى خيمة امرأة واختبأ داخلها، وأمر المرأة بعدم الكشف عنه لجيش باراق الباحث عنه: لكن المرأة أخذت وتدا وطعنته به، وأخبرت باراق وجيشه بمصير القائد الجبار سيسرا: "وإذا ببارق يطارد سيسرا فخرجت ياعيل لاستقباله وقالت له تعال فأريك الرجل الذي أنت طالبه فجاء إليها وإذا سيسرا ساقط ميتا والوتد في صدغه"²⁴.

²² - سفر القضاة، الاصحاح 4، الفقرة 9.

²³ - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 225.

²⁴ - سفر القضاة، الاصحاح 4، الفقرة 22.

فهذه المعركة وأحداثها لا تصمد أمام النقد العلمي، ولم نسمع في تاريخ الحروب قاطبة بمعارك تنتهي بهذا الشكل إلا في كتاب العهد القديم، وبعد هذا الانتصار على الكنعانيين انشدت دبورة وباراق ترنيمة الرب، ومما جاء في هذه الترنيمة: "خذل الحكام في إسرائيل، خذلوا حتى قمت أنا دبورة، قمت أما في إسرائيل، اختار آلهة حديثة، حينئذ حرب الأبواب، هل كان يرى مجن أورمح في أربعين ألفاً من إسرائيل" ²⁵.

5- جدعون:

مرة أخرى يعود بنو إسرائيل إلى عمل الشرفي عيني الرب، وهذه المرة يسلط عليهم المديانيين، ويحكم عليهم المديانيون القبضة، بل إن بني إسرائيل قد لجأوا إلى الكهوف هرباً من شدة المديانيين: "فاعتزت يد مديان على بني إسرائيل، بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغائر والحصون" ²⁶.

ولم يترك المديانيون بني إسرائيل لينعموا برغد العيش، بل يغزون منطقتهم، ويتلفون زرعها فلا يجد بنو إسرائيل قوت يومهم، ونفس الشيء يفعل بالأغنام والأبقار والحمير، وبلغ بنو إسرائيل درجة قسوة من المذلة، ولجأوا مرة أخرى إلى الرب ليخلصهم من أعدائهم، ويظهر في هذه الظروف نبي لم يذكر سفر القضاة اسمه، ولا قبيلته، ولا أي شيء يمكن من تحديد شخصيته، وكان دور النبي تذكيرهم ما صدر منهم من مخالفة الشريعة التي جاءتهم من قبل

²⁵ - سفر القضاة، الإصحاح 5، الفقرات 7 - 8.

²⁶ - سفر القضاة، الإصحاح 6، الفقرة 2.

الرب: "أن الرب أرسل رجلا نبيا إلى بني إسرائيل فقال لهم، هكذا قال الرب إله إسرائيل، إني قد أصعدتكم من مصر وأخرجتكم من بيت العبودية، وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع مضايقيكم وطردهم من أمامكم وأعطيتكم أرضهم، وقلت لكم أنا الرب إلهكم، لا تخافوا آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون أرضهم ولم تسمعوا لصوتي"²⁷.

وعند هذا التذكير ينتهي دور هذا النبي المجهول، ويختفي من مسرح الأحداث، ليظهر فتى من بني إسرائيل يدعى جدعون من منسى، ويختاره ملاك الرب ليخلص شعب بني إسرائيل وهنا يطرح هذا الفتى الذي كان يعصر الحنطة عندما ظهر له ملاك الرب التساؤل على ملاك الرب عن سبب تخلي الرب عنهم رغم الوعود التي قطعها لأبائهم: "فقال له جدعون أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها أبؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر، والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كف مديان، فالتفت إليه الرب وقال اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل"²⁸.

ونلاحظ الخلط في هذا النص بين ملاك الرب والرب، فالذي ظهر لجدعون وكلمه ملاك الرب، والذي طرح عليه جدعون تساؤله ملاك الرب، وفجأة ينتقل الكلام من ملاك الرب إلى الرب حيث وردت العبارة فالتفت إليه الرب، وعليه فالذي ظهر له الرب، أو أن الرب كان مع ملاكه، وهذه الصورة التجسيمية للرب تكررت هنا في فترة زمنية متأخرة، لأن بدايتها عند بني إسرائيل كانت

²⁷ - سفر القضاة، الاصحاح 6، الفقرات 8 إلى 10.

²⁸ - سفر القضاة، الاصحاح 6، الفقرات 13-14.

في عهد الآباء الأولين حيث ظهر الرب لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى ويشوع، ويعود مرة أخرى للظهور في عهد جدعون. والملاحظة الثانية أن هناك خلط بين ما وقع في سفر القضاة من سيطرة المديانيين، وما تعرضوا له من قبل على يد موسى-عليه السلام-: "وفي هذا الخبر نقض لما ذكره الإصحاح الحادي والثلاثون من سفر العدد من زحف بني إسرائيل بأمر موسى-عليه السلام- على المديانيين وإهلاكهم وتدمير مدنهم على ما أوردناه من قبل، فليس من المعقول أن يكون تم ذلك كما ذكر الإصحاح المذكور من سفر العدد ثم نما المديانيون وقوا حتى قدروا على غزو الإسرائيليين وإزعاجهم الشديد بالشكل الذي وصفه الإصحاح السادس من سفر القضاة"²⁹.

وخرج جدعون للقاء المديانيين بجيش يقدر باثني وثلاثين ألف مقاتل، وأخبر الرب جدعون بأن العدد كبير لا بد من إنقاصه والسبب في ذلك حتى لا يرجع بنو إسرائيل النصر لأنفسهم ويتجاهلون ما يفعله الرب من أجل نصرهم: "وقال الرب لجدعون إن الشعب الذي معك كثير لأدفع المديانيين بيدهم لنلا يفتخر على إسرائيل قاتلا يدي خلصتني، والآن ناد في أذان الشعب قاتلا من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جنعاد، فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا، وبقي عشرة آلاف"³⁰.

²⁹- محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص 87.

³⁰- سفر القضاة، الإصحاح 7، الفقرات 2-3.

وعشرة آلاف الباقون كثير حسب قول الرب لجدعون، وحتى تتم تصفيتهم، وتقليل عددهم، أمره الرب أن ينزل بالشعب إلى مكان الماء فمن يجثو على ركبتيه عند الشرب يخرج من تعداد الجيش، أما من يلغ بلسانه من الماء بيده فيتركه ضمن جيشه: "فنزل بالشعب إلى الماء وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب، وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاث مائة، وأما باقي الشعب جميعا فجثوا على ركبتهم لشرب الماء، فقال الرب لجدعون بالثلاث مائة الرجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك"³¹.

وقام جدعون بتقسيم الثلاث مائة مقاتل الذين استبقاهم معه إلى ثلاث فرق، وأمرهم بحمل أبواق في أيديهم: "قضرت الفرق الثلاث بالأبواق وكسروا الجرار وأمسكوا المصابيح بأيديهم اليسرى والأبواق بأيديهم اليمنى وصرخوا سيف للرب ووجدعون، ووقفوا كل واحد في مكانه حول المحلة فركض كل الجيش وصرخوا وهربوا"³².

ويعلق أحد الباحثين على خطة جدعون القتالية: "أي انطباع يمكن أن يولده تكسير ثلاث مائة جرة على خط امتداده بين 15-20 كلم؟ لنفرض أن أولئك الرجال الثلاث مائة دخلوا معسكر الخصم في أنساق متراصة، فما تأثيرهم في

³¹- سفر القضاة، الاصحاح 7، الفقرات 4 إلى 7.

³²- سفر القضاة، الاصحاح 7، الفقرات 20-21.

مساحة قدرها 15 كلم²؟ فما بالك وقد كانوا موزعين على الخط الخارجي للمعسكر؟ لا ريب أن تأثيرهم كان يساوي صفراً³³.

ويذكر كاتب سفر القضاة أن عدد القتلى من جيش المديانيين مائة وعشرين ألفاً، ولعل الكاتب قد جال به خياله في رسم تلك البطولات فوصل بعدد القتلى إلى هذا الرقم الخيالي، ولم يبق من جيش المديانيين إلا خمسة عشر ألفاً، وقد تابع جدعون تلك البقية وتمكن من المسك بملكي المديانيين زبح وصلمناع: "فقام جدعون وقتل زبح وصلمناع وأخذ الآلهة التي في أعناق جمالهما"³⁴.

وقد ترجاه شعب بني إسرائيل أن يملك عليهم ملكاً أبدياً غير أنه رفض ذلك؛ وأخبرهم بأن التسلط يكون عليهم من الرب: "وقال رجال إسرائيل لجدعون تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان، فقال لهم جدعون لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابني عليكم، الرب يتسلط عليكم"³⁵.

6- أبيمالك:

هو أحد أبناء جدعون السبعين من نسائه الكثيرات، بل هو ابن سريرة في شكيم، وبعد وفاة جدعون توجه بنو إسرائيل إلى عبادة البعل، وتركوا عبادة الرب، واقترفوا الزنى.

وفي ظل هذه الأوضاع المتردية تطلع أبيمالك لتولي القضاء مكان أبيه، وأراد أن ينفرد بالأمر دون إخوته السبعين، فلجأ إلى أخواله يستعين بهم، فهبؤوا له

³³ - ليوتاكيل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 230.

³⁴ - سفر القضاة، الاصحاح 8، الفقرة 21.

³⁵ - سفر القضاة، الاصحاح 8، الفقرات 22-23.

الجو في شكبم، وحصل على التأييد هناك: "فمال قلبهم وراء أبيمالك لأنهم قالوا أخونا هو، وأعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بعل بريست فاستأجر بها أبيمالك رجالا بطالين طائشين فسعوا وراءه، ثم جاء إلى بيت أبيه في عفرة وقتل إخوته بني يربعل سبعين رجلا على حجر واحد، وبقي يوثام بن يربعل الأصغر لأنه اختبأ"³⁶.

ولعل ما أقدم عليه أبيمالك من قتل إخوته يعتبر صورة بشعة وفظيعة في التاريخ البشري، وتعتبر هذه الحادثة على فرض صحتها حادثة فريدة في التاريخ البشري، فلا شك أن التنافس على الملك داخل الأسرة الواحدة حدث مرات ومرات عديدة في التاريخ البشري، لكن أن يقدم واحد على قتل سبعين من إخوته وعلى حجر واحد فتلك أفضع وأغرب صورة في تاريخ البشرية: "ذلك لأن التنافس على الملك بين الإخوة أمر قد حدث عنه التاريخ كثيرا، وأن القتل من أجل شهوة الحكم والسلطان أمر عرفناه أكثر بين صفحات التاريخ، ولكن أن يقتل واحد من الراغبين في الحكم والطامعين في السلطان سبعين رجلا من إخوته، وعلى حجر واحد على حد تعبير التوراة فذلك ما لم نعرف له مثيلا في التاريخ"³⁷.

³⁶ - سفر القضاة، الاصحاح 9، الفقرات 3 إلى 5.

³⁷ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، ص 584 - 585.

وبعد هذه الجريمة الشنعاء نصبه أهل شكيم ملكا عليهم: "فاجتمع جميع أهل شكيم وكل سكان القلعة وذهبوا وجعلوا أبيمالك ملكا عند بلوطه النصب الذي في شكيم"³⁸.

وسعى أبيمالك لتوسيع ملكه إلى أسباط منسى وأفرايم، لأنه لم يبق مجرد ملك على مدينة كنعانية، بل أراد أن يمتد ملكه ليشمل بني إسرائيل، من هنا جاء إصداره إلى ضم سبطين كخطوة أولى: "فمد حكمه عن طريق الضغط إلى أسباط منسى وأفرايم، التي كانت تعيش على الجبال حول شكيم، وبذا أصبحت أملاكه خليطا من الإسرائيليين والكنعانيين"³⁹.

وذب الخلاف بين أبيمالك وأهل شكيم، وانشق عنه رجل كنعاني اسمه جعل بن عابد، فحاصر أبيمالك والشعب الذي آزره المدينة وقضى على من فيها، وزرع مكانها ملحا: "وحارب أبيمالك المدينة كل ذلك اليوم وأخذ المدينة وقتل الشعب وهدم المدينة وزرعها ملحا"⁴⁰.

وبعدها حاصر أبيمالك مدينة تاباص، وهناك رمته امرأة بحجر فشجت جمجمته، وقضت عليه، وحتى لا يقال أن امرأة قتلت أبيمالك أمر غلامه أن يجهز عليه بسيفه: "فدعا حالا الغلام حامل عدته وقال له اخترط سيفك واقتلني ثلثا يقولوا عني قتلته امرأة فطعنه الغلام فمات"⁴¹.

³⁸ - سفر القضاة، الإصحاح 9، الفقرة 6.

³⁹ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، ص 585.

⁴⁰ - سفر القضاة، الإصحاح 9، الفقرة 45.

⁴¹ - سفر القضاة، الإصحاح 9، الفقرة 54.

7- تولع:

وردت فقرتان مختصرتان عن تولع دون تفصيل يذكر: "وقام بعد أبيمالك لتخليص إسرائيل تولع بن فواة بن دودو رجل من يساكر، كان ساكنا في شامير في جبل أفرام، ففضى لإسرائيل ثلاثا وعشرين سنة ومات ودفن في شامير"⁴².

8- يائير:

ورد ذكره مختصرا كذلك في ثلاث فقرات: "ثم قام بعده يائير الجلعادي ففضى لإسرائيل اثنتين وعشرين سنة، وكان له ثلاثون ولدا يركبون على ثلاثين جحشا ولهم ثلاثون مدينة، منهم يدعونها حوت يائير إلى هذا اليوم، هي أرض جلعاد، ومات يائير ودفن في قامون"⁴³.

9- يفتاح الجلعادي:

ظل بنو إسرائيل ثمانية عشر عاما في العبودية على يد العمونيين بعد سقوطهم مرة أخرى في الوثبة، وكان خلاصهم على يد رجل منهم يدعى يفتاح الجلعادي، والعجيب في الأمر أن سفر القضاة يقرر أن يفتاح ابن امرأة زانية، وطرده إخوته من بينهم: "وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة زانية، وولدت امرأة جلعاد له بنين، فلما كبر بنو المرأة طردوا يفتاح وقالوا له لا ترث في بيت أبينا لأنك ابن امرأة أخرى،

⁴² - سفر القضاة، الاصحاح 10، الفقرات 1 - 2.

⁴³ - سفر القضاة، الاصحاح 10، الفقرات 3 إلى 5.

فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام في أرض طوب، فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه⁴⁴.

وعندما أعلن العمونيون الحرب على بني إسرائيل، ذهب شيوخ جلعاد إلى يفتاح وترجوه أن يحارب معهم العمونيين، فاشتراط عليهم أن يولوه القيادة، فأجابوه إلى ذلك، واستطاع يفتاح أن يحقق النصر على العمونيين وندر يفتاح للرب أن يقدم له قربانا من أهل بيته ويكون اختياره على أول مستقبل له من بيته، عند رجوعه: "فكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسى وعبر مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر إلى بني عمون، ونذر يفتاح نذرا للرب قائلا، إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب وأصعده محرقة"⁴⁵.

وكانت ابنته أول المستقبلين له عند عودته منتصرا: "ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص، وهي وحيدة، ولم يكن له ابن ولا ابنة غيرها، وكان لما رآها مزق ثيابه وقال آه يابنتي قد أحزنتني حزنا وصرت بين مكدري لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع"⁴⁶.

وبعد شهرين قدم يفتاح ابنته ذبيحة ليهوه وفاء لنذره، وهنا يؤكد سفر القضاة وجود القرابين البشرية في حياة بني إسرائيل: "كيف يجرؤ اللاهوتيون على

⁴⁴ - سفر القضاة، الإصحاح 11، الفقرات 1 إلى 2.

⁴⁵ - سفر القضاة، الإصحاح 11، الفقرات 29 إلى 31.

⁴⁶ - سفر القضاة، الإصحاح 11، الفقرات 34-35.

القول بعد هذه القصة: إن شعب الله المختار لم يعرف الذبائح البشرية؟ إذ لم يكن إله اليهود، أي الإله الرسمي للمسيحية بأفضل من مالوح الإله الفينيقي والقرطاجي، لأنه كان مثله يقبل الذبائح التي من الدم واللحم والشحم⁴⁷.

10- شمشون:

اقترب بنو إسرائيل مرة أخرى أعمال الشر التي تغضب الرب عليهم، وهذه المرة سلط عليهم الفلسطينيون، وسيطروا عليهم لمدة أربعين سنة، وينتمي شمشون إلى سبط دان، وقد أخبر ملاك الرب أمه أثناء حملها به أنها ستلد نذيرا للرب: "وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامراته عاقر لم تلد، فترأى ملاك الرب للمرأة وقال لها، ها أنت عاقر لم تلدي، ولكنك تحملي وتلدين ابنا، والآن احذري ولا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تأكلي شيئا نجسا، فها إنك تحبلين وتلدين ولا يعمل موسى رأسه لأن الصبي يكون نذيرا لله من البطن، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين"⁴⁸.

ونلاحظ في هذا النص بروز الفلسطينيين إلى مسرح الأحداث، وأن المخلص الذي يدعي شمشون أخذ القسم على أمه ألا تقص شعره مدى الحياة، لأن هذا الشعر ستكون له مدلولات أسطورية في حياة هذا المخلص.

أول شيء قام به شمشون من أعماله الخارقة قتله لأسد بطريقة غريبة: "فنزّل شمشون وأبوه وأمه إلى تمنة وأتوا إلى كروم تمنة، وإذا بشبل أسد يزمجر

⁴⁷ - ليوتاكيل، التوراة كتاب مقدس ام جمع من الأساطير، ص 234.

⁴⁸ - سفر القضاة، الاصحاح 13، الفقرات 2 إلى 5.

للقائه، فحل عليه روح الرب فشقه كشق الجدي وليس في يده شيء ولم يخبر أباه وأمه بما فعل⁴⁹.

وحادثة شق الأسد الواردة في هذا النص تتجلى فيها صور الخيال التي تصور قوة شمشون الأسطورية، كما تظهر كذلك في طريقة إحراقه لمحاصيل الفلسطينيين بربطه في أذيال ثلاثة مائة ثعلب مشاعل نار، لتحرق المحاصيل: "وذهب شمشون وأمسك ثلاثة مائة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنبا إلى ذنب ووضع مشعلا بين كل ذنبين في الوسط، ثم أضرم المشاعل نارا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون"⁵⁰.

والسبب الذي دفعه إلى هذا الفعل الأسطوري لا يتمثل في الدفاع عن قومه ضد الفلسطينيين، إنما لأجل الإنتقام من رجل من الفلسطينيين زوج بنته لغيره، وكان هو يرغب في الزواج منها.

ويعلق أحد الباحثين على هذه المغامرات: "وهو مكرس لتحرير قومه من نير الفلسطينيين، ولكنه لا يخوض المعارك من أجل ذلك، إنما كانت مغامراته كلها من أجل النساء"⁵¹.

وله قصة غرامية أخرى مع امرأة فلسطينية اسمها دليلة، نرى فيها صورا يمجها العقل السليم، ولا تحتاج إلى التعليق.

⁴⁹ - سفر القضاة، الاصحاح 14، الفقرات 5 - 6.

⁵⁰ - سفر القضاة، الاصحاح 15، الفقرات 4 - 5.

⁵¹ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، ص 593.

وملخص هذه القصة أن أقطاب الفلسطينيين استعانوا بهذه المرأة لمعرفة سر قوته، فحاولت المرأة معرفة ذلك منه فأخبر في المرة الأولى أنه إذا ربط بسبعة أوتار طرية لم تجف ذهب عنه قوته وصار كواحد من الناس العاديين، فلما أخبرت القوم نفذوا ما سمعوا لكن سرعان ما تبينت لهم الخديعة فشمشون لم يخبرهم بحقيقة الأمر، وعادت المرأة الفلسطينية مرة أخرى تحاول معرفة سر قوته، وفي هذه المرة أخبرها بأنه إذا وثق بحبال جديدة لم تستعمل من قبل تذهب عنه قوته، ففعلوا ذلك غير أنهم خدعوا مرة ثانية، وألحت المرأة الفلسطينية في طلبها حتى أخبر بحقيقة الأمر، بأنه نذير للرب، وأن السر في قوته هو عدم حلق شعر رأسه⁵²، فأسرعت بإخبار أقطاب الفلسطينيين بذلك السر: "ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بإذلاله وفارقت قوته، وقالت للفلسطينيون عليك يا شمشون، فانتبه من نومته وقال أخرج حسب كل مرة وانتفض، ولم يعلم أن الرب قد فارقه، فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن"⁵³.

وبعد أن وصل شمشون إلى هذه الحالة، يصور لنا كاتب القصة التوراتية كيفية استعادة شمشون لقوته وإهلاكه لجمع غير من الفلسطينيين قدر بحوالي ثلاثة آلاف رجل: "وقبض شمشون على العمودين المتوسطين الذين كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره، وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بقوة فسقطت البيت على الأقطاب وعلى كل

⁵² - سفر القضاة، الاصحاح 16، الفقرات 4 إلى 17.

⁵³ - سفر القضاة، الاصحاح 16، الفقرات 19 - 20.

الشعب الذي فيه فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته⁵⁴.

وقد دفن بين صرعة واشتأول، ودام قضاؤه أربعين سنة في بني إسرائيل.

11 - صموئيل:

يعتبر صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل، حيث ولد في فترة انغمس فيها بنو إسرائيل في الرذائل، وقاموا بأعمال قبيحة تغضب الرب، وتلك الظروف دفعت امرأة تدعى حنة أن تتذر نذرا لرب الجنود، وعالي الكاهن جالس عند قائمة هيكل الرب أن تجعل مولدها للرب: "وكان في مدار السنة أن حنة حبلت وولدت ابنا ودعت اسمه صموئيل قائلة لأني من الرب سألته، وصعد الرجل القانة وجميع بيته لينبح للرب الذبيحة السنوية ونذره، ولكن حنة لم تصعد لأنها قالت لرجلها متى فطم الصبي آتي به ليتراءى أمام الرب ويقم هناك إلى الأبد"⁵⁵.

عندما شب صموئيل أخذته أمه إلى الكاهن عالي، وفي إحدى الليالي كلم الرب صموئيل: "وقبل أن ينطفئ سراج الله وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله أن الرب دعا صموئيل فقال ها أنذا، فذهب واضطجع، ثم عاد الرب ودعا أيضا صموئيل، فقام صموئيل وذهب إلى عالي وقال ها أنذا لأنك دعوتني، فقال لم أدع يا ابني، ارجع اضطجع، ولم يعرف صموئيل الرب بعد، ولا أعلن له كلام الرب بعد، وعاد الرب فدعا صموئيل الثالثة، فقام وذهب

⁵⁴ - سفر القضاة، الاصحاح 16، الفقرات 29 - 30.

⁵⁵ - سفر صموئيل الأول، الاصحاح 1، الفقرات 20 إلى 22.

إلى عالي الكاهن وقال ها أنذا لأتكَ دعوتني، ففهم عالي أن الرب يدعو الصبي، فقال عالي لسموئيل اذهب واضطجع ويكون إذا دعاك تقول تكلم يا رب لأن عبدك سامع، فذهب سموئيل واضطجع في مكانه⁵⁶.

وأصبح سموئيل بعد ذلك نبيا، وعرف بنو إسرائيل ذلك: "وكبر سموئيل وكان الرب معه، ولم يدع شيئا من جميع كلامه يسقط إلى الأرض، وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه أوتمن سموئيل نبيا للرب، وعاد الرب يترأى في شيلوة لأن الرب استعلن لسموئيل في شيلوة بكلمة الرب"⁵⁷.

وفي زمن سموئيل انهزم بنو إسرائيل مع الفلسطينيين، وقتل منهم الفلسطينيون ثلاثين ألفا، وأخذ تابوت العهد منهم، فجاء شيوخ بني إسرائيل يطلبون من سموئيل أن يجعل لهم ملكا يوحد قبائلهم خاصة أن ابني سموئيل الذين جعلهما للقضاء في شيخوخته لم يسلكا طريقه: "فسمع سموئيل كل كلام الشعب وتكلم به في أذني سموئيل، فقال الرب لسموئيل اسمع لصوتهم وملك عليهم ملكا"⁵⁸.

2- نظام الملك:

تطلع بنو إسرائيل في نهاية عهد سموئيل إلى نظام ملك يخلصهم من تفككهم الاجتماعي، و يجمع صفوفهم، و يرد عليهم الغارات الفلسطينية المتكررة، لذلك طلبوا من سموئيل أن يعين لهم ملكا.

⁵⁶ - سفر سموئيل الأول، الاصحاح 3، الفقرات 3 إلى 10.

⁵⁷ - سفر سموئيل الأول، الاصحاح 3، الفقرات 19 إلى 21.

⁵⁸ - سفر سموئيل الأول، الاصحاح 8، الفقرات 21 - 22.

أ- طريقة إختيار الملك:

1- طريقة إختيار شاؤول:

"فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة، وقالوا له هو ذا أنت قد شخت و أبنائك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكا يقضي لنا كسائر الشعوب، فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا أعطنا ملكا يقضي لنا، و صلى صموئيل إلى الرب ، فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم"⁵⁹.

فهذا النص يبين صراحة أن بني إسرائيل رفضوا ملك الرب عليهم، وبذلك يكون إختيار الملك الجديد انتقال من ملك الرب إلى ملك البشر: "وهكذا انكسر تقليد إسرائيل القديم، و بالرغم من موافقة صموئيل إلا أنه حمل على شاؤول بروح استياء لم يستطع أن يخفيها، لأنه كان يشعر أن دخول إسرائيل تحت قيادة ملك سيكون بداية لتخل حقيقي عن أن يملك الله عليهم"⁶⁰.

ووقع الإختيار على شاؤول، وكان من بيت بنيامين، ذو قامة طويلة، بل أطولهم على الإطلاق، وعليه وقع إختيار الرب: "فلما رأى صموئيل شاؤول أجاب الرب هو ذا الرجل الذي كلمتك عنه هذا يضبط شعبي، فتقدم شاؤول إلى صموئيل في وسط الباب وقال أطلب إليك أخبرني أين بيت الرائي، فأجاب صموئيل

⁵⁹- سفر صموئيل الأول، الإصحاح 8، الفقرات من 4 إلى 8.

⁶⁰- متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 73.

وقال أنا الرائي"⁶¹، وأعلم صموئيل كل الأسباط باختيار الرب لشاؤول ملكا على بني إسرائيل: "فقال صموئيل لجميع الشعب أرأيتم الذي اختاره الرب إنه ليس مثله في جميع الشعب فهتفوا كل الشعب و قالوا لحي الملك، فكلّم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه في السفر، ووضع أمام الرب ، ثم أطلق صموئيل جميع الشعب كل واحد إلى بيته"⁶².

2- طريقة اختيار داود:

أمر الرب صموئيل أن يتجه إلى يسي ليعلمه من اختاره لملك بني إسرائيل، لأن الرب رفض شاؤول بسبب مخالفته أوامر الرب، حيث صدر الأمر له من صموئيل بإبادة العماليق عن آخرهم: "هكذا يقول رب الجنود، إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، جملا وحمرا، فاستحضر شاؤول الشعب وعده في طلابم مئتي ألف راجل وعشرة آلاف من يهوذا"⁶³.

لكن صموئيل خالف ما أوصى به الرب، واستبقى خيار الغنم و البقر، ولم يقض إلا على الأملاك المحترقة، وهذه الخطيئة كانت السبب في غضب الرب

⁶¹- سفر صموئيل الأول، الإصحاح 9، الفقرات من 17 إلى 19.

⁶²- سفر صموئيل الأول، الإصحاح 10، الفقرات 24-25.

⁶³- سفر صموئيل الأول، الإصحاح 15، الفقرات من 2 إلى 4.

على الملك شاؤول، حيث نزع منه الملك: "فقال صموئيل لشاؤول لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكا على إسرائيل"⁶⁴.
وقصد صموئيل بيت يسي واستعرض الأبناء الواحد تلو الآخر، وفي كل مرة يخبره الرب بعدم اختياره، حتى وصل إلى الابن الصغير واسمه داود وعندئذ أمره الرب بمسحه ملكا: "وقال صموئيل ليسى هل كملوا الغلمان، فقال بقي بعد الصغير وهو ذا يرعى الغنم، فقال صموئيل ليسى أرسل وأت به لأننا لا نجلس حتى يأتي إلى ها هنا، فأرسل و أتى به، و كان أشقر مع حلاوة العينين وحسن النظر، فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو، فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته، وحمل روح الرب على داود من ذلك فصاعدا"⁶⁵.

ويعتبر هذا المسح المرحلة الأولى في الإختيار، أما المرحلة الثانية فتمثلت في التنصيب بعد موت شاؤول حيث أمره الرب بالصعود إلى يهوذا وهناك مسح ملكا: "وكان بعد ذلك أن داود سأل الرب قائلا أصعد إلى إحدى مدائن يهوذا، فقال له الرب اصعد، فقال داود إلى أين أصعد، فقال إلى حبرون، فصعد داود إلى هناك.

⁶⁴ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 15، الفقرة 26.

⁶⁵ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 16، الفقرات من 6 إلى 13.

هو وامراتاه أخينوعم اليزرعيلية وأبجاييل امرأة نابل الكرملى، واصعد داود رجاله الذين معه كل واحد وبيته وسكنوا في مدن حبرون وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا⁶⁶.

وبعد صراع طويل بين داود وابن شاؤول، والانتصار الكبير الذي أحرزه داود، جاءه كل الأسباط ومسحوه ملكا على جميع إسرائيل: "وجميع أسباط إسرائيل إلى داود إلى حبرون وتكلموا قائلين هو ذا عظمك ولحمك نحن، ومنذ أمس وما قبله حين كان شاؤول ملكا علينا قد كنت أنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيسا على إسرائيل، وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدا في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكا على إسرائيل".⁶⁷

3- طريقة اختيار ابشوشث:

تم اختيار ابشوشث بن شاؤول للملك من طرف قائد جيش شاؤول وهو الناجي الوحيد من بيت شاؤول بعد مقتل أبيه وإخوته وكان ملكا على كل الأسباط ما عدا يهوذا: "أما أبير بن نير رئيس جيش شاؤول فأخذ ابشوشث بن شاؤول وعبر به إلى محنايم، وجعله ملكا على جلعاد وعلى الآشوريين وعلى يزرعيل وعلى أفرايم وعلى بنيامين وعلى كل إسرائيل، وكان ابشوشث بن شاؤول ابن أربعين سنة حين ملك على إسرائيل وملك سنتين"⁶⁸.

⁶⁶ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 2، الفقرات من 1 إلى 4.

⁶⁷ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 5، الفقرات من 1 إلى 3.

⁶⁸ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 2، الفقرات من 8 إلى 10.

4- طريقة اختيار سليمان:

انتقل الملك إلى سليمان عن طريق الإرث، ولكن التساؤل الذي يطرح لماذا تم اختيار سليمان من قبل الملك داود لوارثة الملك رغم أنه ليس البكر: ويمكن أن يعزى اختيار سليمان إلى كفاءته الشخصية، فهو لم يكن أبدا أكبر أبناء داود الكثيرين، كما أنه لم يكن حتى أكبر الأبناء الذين ولدوا بعد اعتلاء داود لعرش يهوذا، أو إسرائيل الموحدة، وأياما كان الأمر، فقد خلف سليمان أباه دون أية صعوبات أو ثورات داخلية.⁶⁹

وكانت الوصية لسليمان بالملك وأمر بمسحه من قبل صادوق الكاهن: وقال الملك داود لصادوق الكاهن وناتان النبي وبنياهو بن يهوياذا، فدخلوا إلى أمام الملك، فقال الملك لهم خذوا معكم عبيد سيديكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به إلى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناتان النبي ملكا على إسرائيل واضربوا بالسبوق وقولوا ليحيى الملك سليمان.⁷⁰

5- طرق اختيار ملوك يهوذا وإسرائيل:

بين العهد القديم أن الرب قد مزق ملك سليمان إلى قسمين بسبب مخالفة سليمان لوصايا الرب: فقال الرب لسليمان، من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرانضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعدك، إلا أنني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبوك بل من يد

⁶⁹ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، ص 674.

⁷⁰ - سفر الملوك الأول، الإصحاح 1، الفقرات من 32 إلى 34.

ابنك أمزقها، على أني لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التي اخترتها"⁷¹.

ب- السياسة الداخلية لملك بني إسرائيل:

1- الصراع على الملك:

اشتد الصراع الداخلي بين ملوك بني إسرائيل منذ شاؤول إلى عهد انقسام الملك، وحدثت معارك عنيفة من أجل ذلك، وسأذكر أبرز الصراعات الواقعة:

- الصراع بين شاؤول وداود: لم يعلم شاؤول بأن صموئيل قد مسح داود ملكا على بني إسرائيل، وأخفى صمويل ذلك حفاظا على حياة الصبي، وفي المقابل أصيب شاؤول بروح رديئ ينغص حياته، ولا يخفف من وطأة تلك الحالة النفسية.

غير الضرب بالعود الذي يتقنه داود: "وذهب روح الرب من عند شاول وبعثه روح رديئ من قبل الرب، فقال عبيد شاول له هوذا روح رديئ من قبل الله يبعثك، فليأمر سيدنا عبده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود، ويكون إذا كان عليك الروح الردي من قبل الله أن يضرب بيده فتطيب فقال شاول لعبيده انظروا إلى رجلا يحسن الضرب وأتوا به إليّ، فأجاب واحد من الغلمان وقال هوذا قد رأيت ابنا ليسى البيت لحمى يحسن الضرب وهو جبار

⁷¹- سفر الملوك الأول، الإصحاح 11، الفقرات من 11 إلى 13.

بأس، ورجل حرب وفصيح، ورجل جميل والرّب معه، فأرسل شاول رسلا إلى يسيّ يقول أرسل إليّ داود ابنتك الذي مع الغنم"⁷².

وهكذا التحق داود بفضل قدراته الموسيقية بيلاط الملك، حيث لعب داورا بارزا في التخفيف عن الملك: "وعبارة الاصحاح تفيد أنه ابتلى بالصرعة، ونصحه عبيده بدعوة داود لأنه يجيد الضرب على العود، وكان ذلك علاجاً مجرباً للصرعة، فدعاه وأحبه وجعله حامل سلاحه، وكان يضرب له على العود فيذهب عنه الروح الردئ"⁷³.

ويحتل داود مركزا مرموقا في قصر الملك شاول بعد قتله لقائد الجيش الفلسطيني جليات في المواجهة التي حدثت بين جيوش الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث طلب جليات المبارزة، وخاف جميع إسرائيل وارتعبوا من طلب جليات، وظل على مطلبه لمدة أربعين يوما، وكان من بين المقاتلين ثلاثة إخوة لداود، فأمر يسيّ ابنه داود أن يتفقد حال إخوته المقاتلين، وعندما وصل إلى ميدان المعركة رأى تحدي جليات مرة أخرى لجيش بني إسرائيل في المبارزة ولا أحد يجيب، فأبدى داود رغبته في مبارزة جليات، وحدث بذلك بعض رجال الحرب من بني إسرائيل حتى تنهى الكلام إلى شاول فأمر باحضاره، وأظهر داود استماتته لمواجهة جليات، وأخبره بكيفية قتله للأسد والذب، فكيف لا يقدر على قتل هذا القائد.⁷⁴

⁷² - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 16، الفقرات من 14 إلى 16.

⁷³ - محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص 99.

⁷⁴ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 17، الفقرات من 32 إلى 37.

وبغض النظر عن هذه الرواية المتعلقة بغلام يرعى الغنم، واقتناع ملك يقود جيشاً بها، وإصدار أمره بناء على ذلك، فإن علماء الطبيعة قرروا بأن الدب والأسد لا يقطنان نفس المنطقة: "أما مع داود فقد صادفنا الدب وقد أغرقته قطعان فلسطين، ولكن لسوء حظ التوراة أن علماء الطبيعة اكتشفوا بأن الدب لا يعيش في منطقة يقطنها الأسد"⁷⁵.

وتصور رواية العهد القديم داود بعدم المعرفة والتمرس بالحرب مما أدى إلى سخرية جليات بحيث قام الملك شاؤول باللباس ثيابه الحربية لداود من خوذة النحاس، والسيف والدرع غير أن داود لم يستطع المشي فقام بنزعها واستبدالها بعصاه وخمس حجارة وضعها في جرابه، ومسك مقلاعه بيده، وعندما رآه جليات بذلك المنظر احتقره، وقال له: "العلّيّ أنا كلب حتّى أنّك تأتي إليّ بعصي، ولعن الفلسطينيين داود بألّهته، وقال الفلسطيني لداود تعال إليّ فأعطي لحمك لطيور السماء ووحوش البرية، فقال داود للفلسطيني أنت تأتي إليّ بسيف ورمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم ربّ الجنود إله صفوف إسرائيل الذين غيرتهم، هذا اليوم يحبسك الربّ في يدي فأفتلك وأقطع رأسك، وأعطي جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله إسرائيل"⁷⁶.

⁷⁵ - نيوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 304.

⁷⁶ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 17، الفقرات من 44 إلى 46.

واستطاع داود أن يقتل جليات وقطع رأسه: "ولم يكن سيف بيد داود، فركض داود ووقف على الفلسطيني وأخذ سيفه واختارطه من غمده، وقتله وقطع رأسه، فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا"⁷⁷.

ورجع داود حسب رواية العهد القديم إلى اورشليم منتصرا: "ثم رجع بنو اسرائيل من الاحتماء وراء الفلسطينيين ونهبوا محلتهم، وأخذ داود رأس الفلسطيني وأتى به إلى اورشليم، ووضع أدواته في خميته"⁷⁸ وهذا يقع كاتب سفر صموئيل في التناقض، فمدينة اورشليم في هذه الفترة لم تسقط بعد في يد بني اسرائيل بل كانت في يد سكانها الأصليين اليبوسيين، وداود جاء من المرعى، فمن أين له الخيمة التي وضع فيها أدواته؟.

والأعجب من هذا التناقض، أن لا يعرف الملك شاؤول هذا الغلام المنتصر على جليات ويسأل رئيس جيشه عنه، فيجيب بعدم معرفته: "ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبير وأحضره أمام شاؤول ورأس الفلسطيني بيده، فقال له شاؤول ابن من أنت يا غلام، فقال داود ابن عبدك يسى البيت لحمى"⁷⁹.

وهنا نلاحظ التناقض الواضح بين ما ورد في الاصحاح السادس عشر بأن داود كان يعزف على القيتارة لتهدئة نفس شاؤول المتوترة، وقد كان داود ينتقل بين شاؤول وبيت أبيه في هذه الفترة، وفجأة لم يتمكن واحد من أصحاب

⁷⁷ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 17، الفقرات من 50-51.

⁷⁸ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 17، الفقرات من 44 إلى 46.

⁷⁹ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 17، الفقرات من 50-51.

القصر الملكي أن يتعرف على داود، لا الملك شاوول، ولا قائد جنده أبنيير، ولا بقية خدم القصر الملكي، فلا يعقل أن يتحول فجأة موسيقى الملك وحامل سلاحه إلى رجل مجهول بالنسبة لجميع أهل القصر الملكي⁸⁰.

ونتيجة للانتصار الباهر الذي حققه داود على جليات نال مرتبة رئيس المحاربين، وتكونت علاقة متينة بين داود ويوناثان ابن الملك شاوول وبعد ذلك توالت انتصارات داود على الفلسطينيين، وولد ذلك الخوف في نفس شاوول من خطر داود على ملكه وتعلق الشعب به، فقرر فجأة التخلص من قائده: "وكلم شاوول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود، وأما يوناثان بن شاوول فسّر بداود جدا فأخبر يوناثان داود قاتلا شاوول أبي ملتمس قتلك والآن فاحتفظ على نفسك إلى الصباح أقم في خفية واختبئ، وأنا أخرج وأقف بجانب أبي في الحقل الذي أنت فيه وأكلم أبي عنك وأرى ماذا يصير وأخبرك، وتكلم يوناثان عن داود حسنا مع شاوول أبيه وقال لا يخطئ الملك إلى عبيده داود لأنه لم يخطئ إليك، ولأن أعماله حسنة لك جدا، فإته وضع نفسه بيده وقتل الفلسطيني فصنع الربّ خلاصا عظيما لجميع إسرائيل، أنت رأيت وفرحت، فلماذا تخطئ إلى دم برئ يقتل داود بلا سبب، فسمع شاوول لصوت يوناثان وحلف شاوول حيّ هو الربّ لا يقتل، فدعا يوناثان داود وأخبره يوناثان بجميع هذا الكلام"⁸¹.

⁸⁰ - ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الاساطير، ص 306-307.

⁸¹ - سفر صموئيل الاول، الإصحاح 19، الفقرات من 2 إلى 7.

ورغم القسم الذي حلف به الملك شاؤول بعدم قتل داود، يرجع مرة أخرى إلى أسلوب الغدر للتخلص منه، بعد انتصارات أخرى على الفلسطينيين ويوجه إليه رمحا على حين غرة غير أن داود هرب من الرمح، فضرب الرمح في الحائط، وبعد ذلك يكلف الملك شاؤول رسله بترصد بيت داود لقتله: "فأرسل شاؤول رسلا إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح، فأخبرت داود ميكال امرأته قائلة إن كنت لا تنجو بنفسك هذه الليلة فإنك تقتل غدا، فأتزلت ميكال داود من الكوة فذهب هاربا وتجا، فأخذت ميكال الترافيم ووضعت في الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب، وأرسل شاؤول رسلا لأخذ داود فقالت هو مريض، ثم أرسل شاؤول الرسل ليروا داود فأتلا اصعدوا به إليّ على الفراش لكي اقتله، فجاء الرسل وإذا في الفراش الترافيم ولبدة المعزى تحت رأسه" ⁸².

والتساؤل الذي يطرح لماذا لجأت زوجة داود إلى هذه المسرحية، وهل كان في بيتها صنم حتى لجأت لوضعه في مكان يعقوب: "هل يمكن العثور على قصة أكثر بلاهة وغباء من هذه القصة؟ فطرفة تلبس الصنم هذه لا تتفح موضوعا لسقط المتاع من المسرحيات، إنها تحت مستوى أكثر العروض ابتدالا في معرض العروض الشعبية الهزلية، ولكن الخوف من نار جهنم الخارقة، يرغمنا على الإيمان بأن ميكال ساعدت زوجها مسيح الرب داود

⁸² - سفر صموئيل الاول، الإصحاح 19، الفقرات من 14 إلى 16.

على الهرب من النافذة ووضعت الصنم مكانه في السرير بعد أن وضعت عليه لبدة المعزى⁸³.

واتجه داود بعد هروبه من شاؤول إلى صموئيل الذي يظهر مرة أخرى على مسرح الأحداث، حيث يقف إلى جانب داود، وذهب به إلى نايوت حيث يتتبعها جماعة من الأنبياء، وأرسل شاؤول على إثرهما فلما أخبروه بما وجدوا قصد المكان ولكن في صورة المنتبى: "فذهب هو أيضا إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل وقال أين صموئيل وداود، فقبلها هما في نايوت في الرامة، فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتتبع حتى جاء إلى نايوت في الرامة، فخلع هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله"⁸⁴.

فهذا النص يصور لنا شاؤول متتبعًا بعد أن قصد مكان صموئيل وداود للتخلص من هذا الأخير: "وأخيرا شاول نفسه الذي جاء بحثًا عن صهره ليقتله شرع يتتبع في الطريق، ثم تعرّى في اجتماع القديسين أو الأنبياء الذين كانوا يتتبعون جماعة، أن هذا كله يشبه لوحات الجنون التي تشاهدها في مشافي الأمراض العقلية"⁸⁵.

ويتأكد عزم الملك شاؤول على التخلص من داود بأي طريقة رغم الصورة المسالمة التي ظهر بها داود، ولجأ داود إلى اقتراح طريقة يستين من خلالها

⁸³ - ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 313.

⁸⁴ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 19، الفقرات من 14 إلى 16.

⁸⁵ - ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 315.

قصد الملك شاول حيث يخبره ابنه يوناثان عندما يسأله عن غياب داود عن مأددة الطعام بأنه قصد بيت لحم لأن هناك ذبيحة سنوية لكل عشيرة، فإن استحسن ذلك دل على عدم الفتك بداود، وإن بدى عليه الغيظ فقد عقد العزم على الفتك به واستمر هذا الصراع المرير بين شاول وداود إلى غاية نهاية حياة شاول على يد الفلسطينيين: "وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جابوع، فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه وضرب الفلسطينيون يوناثان وابيناداب وملكيشوع أبناء شاول، واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسي فأنجرح جدا من الرماة، فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني به لنلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا، فأخذ شاول السيف وسقط عليه"⁸⁶.

وعندما بلغ داود نبأ مقتل شاول وأبنائه حزن عليه حزنا شديدا وبكى عليهم: "فأمسك داود ثيابه ومزقها وكذا جميع رجال الذين معه، وندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت إسرائيل لأنهم سقطوا بالسيف"⁸⁷.

⁸⁶ - سفر صموئيل الأول، الإصحاح 31، الفقرات من 1 إلى 4.

⁸⁷ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 1، الفقرات 11-12.

وقد رثا داود شاوول وأبناءه بمرثية ذكر أنها من سفر ياشر: "ورثا داود بهذه المرثاة شاوول ويوناتان ابنه، وقال أن يتعلم بني يهوذا نشيد القوس هو ذا ذلك مكتوب في سفر ياشر"⁸⁸.

وسفر ياشر ذكره يشوع بن نون: "أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر، فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل بالغروب نحو يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان، لأن الرب حارب عن إسرائيل"⁸⁹.

ويعلق ليوتاكيل على ماورد في سفر ياشر من مرثية داود: "وإذا لم يكن يشوع بن نون نفسه شخصية مثبولوجية، فإن عجيبة وقعت قبل خمس مائة عام من ملك داود، وهذا يعني من الوجهة الفيزيائية انه لم يكن بمقدور ابن نون أن يسوق نص مرثية داود لشاوول ويوناتان التي دونها كتاب التوراة بعد خمس مائة عام من وفاته، وكتاب ياشر هذا الذي تذكره التوراة غير مرة، الغاد الكهنة اليهود أنفسهم، ثم أبادوه تماما"⁹⁰.

- قتل سليمان لحاشية أبيه: الذي يدعو للعجب أن يبدأ سليمان ملكه بجرائم القتل: "وحلف سليمان الملك بالرب قائلا هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد إته تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه، والآن حي هو الرب الذي ثبتني وأجلسني

⁸⁸ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ، الفقرات 17-18..

⁸⁹ - سفر يشوع، الإصحاح 10، الفقرات 13-14.

⁹⁰ - التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص335.

على كرسي داود أبي والذي صنع لي بيتا كما تكلم إنه اليوم يقتل أدونيا، فأرسل الملك سليمان بيد بنايا هو بن يهويا داع فبطش به فمات"⁹¹.

فلم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتدت جريمة القتل لتشمل يوأب القائد السابق في عهد داود لمجرد أنه وقف مع أدونيا: "لأن يوأب مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أبشالوم، فهرب يوأب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح، وهاهو بجانب المذبح، فأرسل سليمان بنايا هو بن يهويا داع قائلاً اذهب ابطش به"⁹².

ثم تخلص بعد ذلك من رجل ثالث يدعى شمعي، فحدد له أولاً الإقامة في بيت في أورشليم لا يخرج منه اي ما يسمى الإقامة الجبرية حالياً، وبعد ثلاث سنوات هرب عبدان لشمعي إلى ملك جت، فذهب في طلبهما ورجع بهما إلى أورشليم فكان هذا هو السبب الذي تدرج به سليمان لقتله: "فأرسل الملك ودعا شمعي وقال له أما استحلفتك بالرب واشهدت عليك قائلاً إنك يوم تخرج وتذهب إلى هنا وهناك اعلمن بأنك موتا تموت"⁹³.

- تخلص داود من القائد أوريا: يصور العهد القديم قصة عاطفية للملك داود، مع امرأة أحد قادة جنده، حيث كان داود يتمشى على سطح بيت الملك، فلفت

⁹¹ - سفر ملوك الأول، الإصحاح 2، الفقرات من 23 إلى 25.

⁹² - سفر ملوك الأول، الإصحاح 2، الفقرات من 28 - 29.

⁹³ - سفر الملوك الأول، الإصحاح 2، الفقرات من 42 إلى 45.

نظره صورة امرأة جميلة تستحم، فسأل عنها، فأخبر بأنها زوجة أوريا الحثي، فأرسل إليها داود فلما جاءت اضطجع معها وحملت منه⁹⁴. وحتى يتخلص داود من فعلته، فكر في التخلص من القائد أوريا حيث أرسله إلى موقع تشتد فيه الحرب حتى يهلك: "وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول، اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي"⁹⁵.

وبعد أن تخلص من أوريا بهذه الطريقة البشعة تزوج من امرأته: "فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجليها نذبت بعلمها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت امرأة وولدت له ابناً، وأما الأمر الذي فعله داود ففبح في عيني الرب"⁹⁶.

وداود لم يؤنبه ضميره على فعله هذا، فأرسل الرب له من يذكره بفعلته تلك: "فأرسل الرب ناثان إلى داود، فجاء إليه وقال له كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً، وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع

⁹⁴ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 11، الفقرات من 2 إلى 5.

⁹⁵ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 11، الفقرات من 14 إلى 17.

⁹⁶ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 11، الفقرات 26 - 27.

بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابتة، فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهي للضيف الذي جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهياً للرجل الذي جاء إليه، فحمى غضب داود على الرجل جدا وقال لناثان حي هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل على ذلك، ويردّ النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق⁹⁷ والعجب في هذه القصة أن داود لم يعرف بأنه المقصود بذلك الرجل، حتى أخبره ناثان بأنه المعني بذلك وحكم الرب بموت الصبي، وألا يغادر السيف بيته.

دور مدينة اورشليم في مملكة بني اسرائيل:

أدرك داود منذ الوهلة الأولى من فترة حكمة دور العاصمة التي يختارها في جمع الأسباط حوله، ومن ثمّ يتخذ عاصمة لملكه محايدة لا تنتمي إلى أسباط الشمال ولا إلى أسباط الجنوب، ومن هنا اختار مدينة اليبوسيين التي أطلق عليها اسم اورشليم، ولم يستطع داود دخول المدينة، بل اكتفى بالحصن الذي أطلق عليه العهد القديم اسم حصن صهيون وأطلق عليها مدينة داود، واستولى داود على الحصن دون مقاتلة اليبوسيين أصحاب البأس الشديد: "وذهب الملك ورجاله إلى اورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض، فكلّموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج، أي لا يدخل إلى هنا، وأخذ داود حصن صهيون، وهي مدينة داود وقال داود في ذلك اليوم إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمى المبغضين،

⁹⁷ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 12، الفقرات من 7 إلى 10.

من نفس داود لذلك يقولون لا يدخل البيت أعمى أو أعرج وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود، وبنى داود مستديرا من القلعة فداخلا، وكان داود ينزأيد متعظما والرّب إله الجنود معه⁹⁸.

وعن كيفية استيلاء داود على الحصن من مدينة اليبوسيين دون قتال يذكر، حاول بعض الباحثين سدّ هذه الثغرة: "لكن المعروف أن داود دخلها بقواته الخاصة واستولى عليها ولذلك دعيت عن حق مدينة داود، سقطت في يده بعد أن ظلّ الإسرائيليون 200 سنة عاجزين عن أن يطرقوا أبوابها، لأنها كانت أكثر البلاد حصونا ومناعة"⁹⁹.

وهناك إشارة في نص العهد القديم باستقرار داود وأهله في المدينة اليبوسية: "وأخذ داود أيضا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضا لداود بنون وبنات، وهذه أسماء الذين ولدوا له في أورشليم، شموع وشوياب وناتان وسليمان وبيجار وأليشوع ونافج ويافيع وأليشع وأليداع وأليفظ"¹⁰⁰.

وقام داود بنقل تابوت العهد إلى أورشليم، حيث أمر ثلاثين ألفا من بني إسرائيل بمرافقة التابوت إلى مدينته، وفي الطريق وقعت لهم حادثة غريبة بحيث قتل أحد الإسرائيليين من قبل الرّب لأنه حاول الإمساك بالتابوت حتى لا يسقط أرضا والصواب أن يكافئ هذا الرجل لا أن يقتل: "ولكنه كوفئ على

⁹⁸ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 5، الفقرات من 6 إلى 10.

⁹⁹ - متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 78.

¹⁰⁰ - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 5، الفقرات من 13 إلى 16.

غيرته الدينية بموت صاعق، أليس هذا ظلماً، لقد أكد النقاد من أتباع مذهب الشك أن هذه الرواية تعتبر إهانة صريحة ليهوه الإله "الرحيم" وإذا كان ثمة مذنب فهم اللاويون الذين تركوا تابوت الرب لعبث القدر¹⁰¹.

والاسم "أورشليم" ليس عربياً بل ورد في نقوش قديمة مكتوبة بالخط المسماري. "ففي رسالة كتبها "عبد يحييا" إلى امينوفيس الثالث نجد أن الأول هو حاكم القدس "اورسالْم" من قبل فرعون. وأنه يستجد بمدد عسكري لصد غارات شراذم من العجر الرحل اسمهم "خييرو" اتفق الباحثون على أنهم "العبريون" كما ذكر ذلك الأثري "بندلوبوري" الذي أشرف زمنا طويلا على الحفائر في هذه المنطقة¹⁰² كما ورد ذكر اسم "أورشليم" في نقوش قديمة وجدت على أواني فخارية بالأقصر في مصر: "وثبت أن تاريخ تلك الأواني يرجع إلى فترة حكم الفرعون سيزوستريس الثالث (1878-1842 ق م) وكانت عليها تسع عشرة مدينة كنعانية؛ من بينها مدينة "روشاليموم"؛ وتعتبر تلك أول إشارة إلى تلك المدينة في أي سجل تاريخي، ويشير النص أيضا إلى اسمي إثنين من الأمراء هما يقعرم وشاشان، ويتضمن أحد هذه النصوص التي أطلق عليها اسم "نصوص اللعنات"، والذي يظن نقش على الأواني بعد

¹⁰¹ - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 342.

¹⁰² - حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، الطبعة الأولى (دار القلم، 1407هـ) -

1987م)، ص 16.

تلك النصوص الأولى بنحو قرن كامل، عبارات تلعب "روشاليموم" من جديد¹⁰³.

والاسم "أورشليم" مكون من مقطعين، أور بمعنى مدينة أو موضع، وهناك من ذهب بأن "أور" بمعنى ميراث، أما "شالم" فهو اسم لإله السلامة، وهو إسم لإله وثني عرف عند سكان فلسطين الأصليين، وعليه يكون من مدلول المركب الإضافي مدينة إله السلام، أو ميراث السلام¹⁰⁴.

وأطلق على المدينة اسم القدس، وهذا الاسم ورد عند اليونانيين باسم "قديتس"، هذا ولم يذكر المؤرخ اليوناني "هيرودوت" (484-430 ق م) في تاريخه إسم "أورشاليم" ولكنه ذكر مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني من الشام، وسماها "قديتس" مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه¹⁰⁵.

ويزعم أحبار اليهود أن سام بن نوح أطلق على المدينة اسم "شلم" أما إبراهيم فدعاها "يرأ"، فجمع الاسم من الأطلاقين "يرأه-شلم" أي أورشليم ومعناه الخوف والسلام، والله هو الذي قرر هذا الاسم¹⁰⁶.

هيكل سليمان:

في السنة الرابعة لمنكته، بدأ سليمان في بناء الهيكل الذي يعتبر مسكنا للرب في جبل المريا، وهذا المكان، اختاره الرب، ففي هذا المكان أقدم إبراهيم -عليه السلام- على ذبح ابنه: فقال له يا إبراهيم، فقال هاأنذا، فقال خذ ابنك

¹⁰³ - كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص 27.

¹⁰⁴ - حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص 16.

¹⁰⁵ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، ص 739.

¹⁰⁶ - حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص 18.

وحيدك إسحاق واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك"¹⁰⁷، وأول خطوة قام بها سليمان من أجل بناء الهيكل طلبه من حيرام ملك صور الذي كانت تربطه علاقة جيدة بأبيه داود أن يوفر له ما يحتاج من خشب "وهأنذا قائل على بناء بيت لإسم الرب إلهي كما كلم الرب داود أبي قائلا إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي، والان فأمر أن يقطعوا لى أرزا من لبنان ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تقول لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين"¹⁰⁸.

وقد سخر سليمان الآلاف من بني إسرائيل لبناء الهيكل، وعين ثلاثين ألفا في أعمال السخرة، قسمهم إلى ثلاثة أقسام، كل قسم يعمل ثلاثة أشهر في لبنان ويستريح شهرين، كما كلف ثمانين ألفا بقطع الحجارة، وسبعين ألفا لحملها والذين يشرفون على عملية البناء ثلاثة آلاف وثلاث مائة.¹⁰⁹

ونلاحظ أن العدد الإجمالي للعاملين يقدر 183300 عامل، ولاشك أن هذا العدد مبالغ فيه جدا، هذا إلى جانب البنائين والفنيين الذين استعان بهم من الفينيقيين.

وهذا البناء كان صغيرا مقارنة بالمجهودات التي بذلت لإقامته، فكان طوله عشرون ذراعا، وعرضه عشر أذرع، ويعلق على هذا أحد الباحثين: "لقد عمل

¹⁰⁷ - سفر التكوين، الاصحاح 22، الفقرات 1-2.

¹⁰⁸ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 5، الفقرات 2 إلى 6.

¹⁰⁹ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 5، الفقرات 13 إلى 15.

في بناء الهيكل 183300 عامل، ماعدا الحجارين والعمال الآخرين الذين يظهرون فيما بعد، طول المعبد ليس أكثر من 31،5 م، وعرضه 10،5 م، وقد صرف هؤلاء البناؤون سبع سنوات على بناء مؤلف من ثلاثة غرف ويشغل مسافة لا تزيد على 523 م²، إنها أرقام تجعلنا نصاب بالذهول.¹¹⁰

واحتل الهيكل بعد ذلك مكانة الصدارة في المملكة الإسرائيلية: "ولقد أضيف الهيكل على أورشليم بالتالي مسحة المدينة المقدسة بكل معنى وبكل ما يمكن أن يتصوره العقل، حتى صارت أورشليم بحجارتها ومبانيها وشوارعها وأسوارها مقدسة في إحساس الأجيال كلها"¹¹¹.

وأخيرا نقل سليمان التابوت إلى الهيكل، وبعد ذلك كان عهد الرب لسليمان باستمرار الملك على إسرائيل في ذريته بشرط الإلتزام بوصايا الرب وعدم عبادة آلهة أخرى " قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع إسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام، وأنت إن سلكت أمامي كما سلكت داود أبوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي، فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل، إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلا لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل إن كنتم تنقلبون أنتم وأبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه

¹¹⁰ - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 380-381

¹¹¹ - متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 100.

الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لإسمى أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب" ¹¹².

وكانت هدية سليمان لملك حيرام الذي أعانه في بناية الهيكل عشرين مدينة: "أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة في أرض الجليل، فخرج حيرام من صور ليرى المدن التي أعطاه إياها سليمان" ¹¹³.

ولعل خيال كاتب السفر قد لعب دوراً بارزاً في المبالغة في عدد المدن، إذ لم تكن المنطقة تتوفر على ذلك: "يقينا أننا لعاجزون تماماً أن نعرف من أين أتى سليمان بهذه العشرين التي أهداها إلى صديقه حيرام، فالسامرة لم تكن أنشئت بعد، وأريحا كانت قرية صغيرة، وشكيم وبيت لحم كانت ركاما، ولم يعاد بناؤها إلا في عهد يربعام، وهذه هي مدن الجليل في ذلك الحين" ¹¹⁴.

السياسة الخارجية:

1- مصاهرة سليمان لفرعون مصر:

بعد أن نجح سليمان في تصفية خصومه داخل مملكته واستتب له الأمر، اتجه إلى توطيد علاقات مملكته مع أقوى الممالك المحيطة به، وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها ¹¹⁵.

¹¹² - سفر الملوك الأول، الاصحاح 9، الفقرات من 1 إلى 7.

¹¹³ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 9، الفقرات 11-12.

¹¹⁴ - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 282.

¹¹⁵ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 3، الفقرة 1.

لكن ما هدف هذه المصاهرة هل لتوطيد علاقة الود بين مصر ومملكة سليمان، أم أن سليمان أراد الاستفادة من خيرات مصر: "وأول ما التفت سليمان التفت إلى مصر الجارة القوية التي كان يطمع أن يصادقها وينقل عنها ما كان ينقصه في نظام الدولة ووسائل النهوض بها، وهو على ما يظن سيامون الذي جاء بعد الأسرة الحادية والعشرين الضعيفة"¹¹⁶.

غير أن بعض الباحثين يشكك في وقوع هذه المصاهرة أصلاً: ثم تخبرنا التوراة بأن سليمان عقد تحالفاً مع ملك مصر، بل وتزوج ابنته، لكنها لم تذكر لنا اسم ذلك الملك المصري، واكتفت بأن دعته، الفرعون، وهذا يؤكد على أن ذلك الزواج كان مجرد حكاية خرافية وحسب"¹¹⁷.

وقدم فرعون مصر مهراً لابنته تمثل في إحراقه لمدينة جازر وقتل سكانها من الكنعانيين، وسلمها لابنته امرأة سليمان.¹¹⁸

2- سليمان ومملكة سبأ:

تذكر أسفار العهد القديم أن ملكة سبأ قدمت على سليمان في مدينة اورشليم من أجل التأكد من الأخبار التي وصلتها عن أموره وحكمته، وأجابها سليمان بكل المسائل التي طرحتها للاختبار.¹¹⁹

وقدمت ملكة سبأ هدايا ثمينة لسليمان: "ليكن مباركا الرب إلهك الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل، لأن الرب أحب إسرائيل إلي الأبد جعلك ملكاً

¹¹⁶ - متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 90.

¹¹⁷ - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص 373.

¹¹⁸ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 9، الفقرة 16.

¹¹⁹ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 10، الفقرات 1 إلى 7.

لتجرى حكما وبرا، وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيبا كثيرة جدا وحجارة كريمة، لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان".¹²⁰

¹²⁰ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 10، الفقرات 9-10.

المبحث الثاني نظام الحكم في القرآن

1- عهد القضاة:

وردت في القرآن الكريم اشارة الى فترة القضاة من خلال ما ورد في كيفية اختيار ملك بني إسرائيل في قوله تعالى: "ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين"¹²¹.

والتساؤل الذي يطرح من هو هذا النبي الذي طلب منه بنو إسرائيل أن يعين لهم ملكا، وللجواب عن هذا التساؤل نورد بعض الآراء التفسيرية في ذلك حيث أورد الطبري عدة آراء في تحديد النبي المقصود نذكر منها:

أ- شمويل بن بالي بن علقمة، وذكر رواية وهب بن منبه بأنه شمويل غير أنه لم يذكر النسب الذي أورده أبو إسحاق كما بينه الطبري.

ب- شمعون: والرواية في هذا القول عن السدي حيث بين أن أمه سألت الله تعالى أن يرزقها ولدا فاستجاب الله لها فسمته شمعون وهو على وزن فعلون.

¹²¹- سورة البقرة، الآية 246.

ج- يوشع بن نون: وقد ذهب الى هذا الرأي قتادة وبين بأنه أحد الرجلين الذين أنعم الله عليهما.¹²²

وقد أورد الطبري رواية مطولة عن ابن اسحاق: "قال ابن اسحاق فكان من حديثهم فيما حدثني به بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أنه لما نزل بهم البلاء ووطئت بلادهم كلموا نبيهم شمويل بن بالي فقالوا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وإنما كان قوام بني إسرائيل الإجتماع على الملوك وإطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو يسير بالجموع والنبي يقوم له أمره ويأتيه بالخبر من ربه، فإذا فعلوا ذلك صلح أمرهم، فإذا عتت ملوكهم وتركوا أمر أنبيائهم فسد أمرهم فكانت الملوك إذا تابعتها الجماعة على الضلالة تركوا أمر الرسل ففريقا يكذبون فلا يقبلون منه شيئا، وفريقا يقتلون فلم يزل ذلك البلاء بهم حتى قالوا له إبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله.¹²³

وشمويل هذا هو صموئيل الذي ذكر في أسفار العهد القديم، وكان آخر قضائهم.

2- نظام الملك:

عهد الملك في بني إسرائيل حسب ما ورد في القرآن الكريم يبدأ بطالوت الذي اختاره الله تعالى ملكا لبني اسرائيل: "وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم

¹²²- الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 2، ص 373.

¹²³- المصدر نفسه، ج 2، ص 374.

والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم، وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين¹²⁴.

إن المقياس الذي اتبعه بنو إسرائيل في تحديد ملكهم سعة المال، وقد اعترضوا على الاختيار الذي أخبرهم به نبيهم حيث أعلمهم بأن الله تعالى جعل طالوت ملكا عليهم، وبيّن لهم نبيهم بأن طالوت سيأتيهم بعلامة تدل على أحقيته بالملك والمتمثلة في التابوت وهو الصندوق الذي احتوى بداخله على التوراة، وبقية من الأشياء التي تركها آل موسى وآل هارون:

وذكر القرآن الكريم بأن طالوت قاد جيش بني إسرائيل إلى معركة فاصلة مع الفلسطينيين وفي طريقه إلى أرض المعركة اشترط على جنده عدم الشرب من النهر، باستثناء من شرب بيده قليلا من الماء: "فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"¹²⁵.

وقد اختار طالوت الرجال الأشداء للقاء جالوت وجنده، واختارهم من امتحان لهم بعدم الشرب من النهر؟ فكل من شرب استثناء من صفوف الجيش إلا من اغترق بيده فقط؟ ورغم هذا نجد أن الكثير منهم وهنت عزائمهم عند رؤيتهم

¹²⁴ - سورة البقرة، الآية 247-248.

¹²⁵ - سورة البقرة، الآية 249.

جيش جالوت: "إن الكثيرين منهم خالفوا أمر قائدهم، وكرعوا من النهر حتى امتلأت بطونهم وفي ذلك يقول الله تعالى: " فشربوا منه إلا قليلا منهم" لم يشربوا طاعة لقائدهم، ثم بين سبحانه ما أصاب الذين كانوا مع طالوت من فزع عندما شاهدوا جالوت وجنوده وما قاله المخلصون منهم"¹²⁶.

واستطاع داود ان يحرز النصر لبني اسرائيل بعد ان قتل جالوت، وهنا برزت قوة داود حيث تأهل لشغل منصب الملك: "وقتل داود جالوت وءاتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"¹²⁷.

داود بين النبوة والملك:

أ- الحكمة وفصل الخطاب:

لقد أوتى داود حكمة في تسيير شؤون الملك وقد ورد في القرآن الكريم: "وشددنا ملكه وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب، وهل ءاتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني فبي الخطاب، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود

¹²⁶ - محمد السيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن و السنة، ج1، ص 43-44.

¹²⁷ - سورة البقرة، الآية 251.

أثما فتناه فاستغفر ربه وخر راعا وأتاب¹²⁸ فما لمراد بالحكمة وفصل الخطاب الواردة في هذه الآية:

1- الحكمة:

يذهب عبد الوهاب النجار الى أن المقصود بالحكمة النبوة: "والمراد بالحكمة : النبوة، وأصل معناها اللغوي وضع كل شئ في محله، أي يقول الإنسان القول لاخلاق فيه، وليس فيه موضع للبيت أو اللو، ويفعل الصواب الذي لا اعتراض لأحد عليه، بل يأتي به الإنسان على وجه الكمال"¹²⁹ والحكمة يتحصل عليها الإنسان بعد المجاهدة والبحث، غير أن الحكمة التي كانت لداود هبة من الله تعالى لاسيما الى تحصيلها بالبحث والمجاهدة، والحكمة لها دور بارز في ادارة شؤون المجتمع بحيث يضع الحاكم والملك كل شئ في موضعه اللائق بها، فاذا عرضت عليه قضية امكنه التمييز بين الحق والباطل فيها، وهذه صفة أساسية لداود عليه السلام: "وقد كان داود - عليه السلام - نبيا كريما، وخليفة صالحا، وملكا عادلا، وكانت فترة حكمه تمثل الحكم الإسلامي الرشيد، ومكاسبه المباركة في هذه الحياة الدنيا، حيث نعم في عهده بنو إسرائيل بالأمن والاستقرار والرفاه والصلاح والعدل والرشاد"¹³⁰.

¹²⁸ - سورة ص ، الآية 20 إلى 24.

¹²⁹ - قصص الأنبياء، ص 311.

¹³⁰ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ص 99.

2- فصل الخطاب:

يقصد به فصل الخصام أو ملخص الكلام الدال على المقصود، وقد فصل داود بين الخصمين المتنازعين؟ اللذان تسورا على داود المحراب وعرضاً عليه قضية للفصل فيما بينهما؟ وقد أورد المفسرون قصة داود مع زوجة قائد جنده أوريا في تفسير ما ورد في القرآن الكريم: "وقع بعض المفسرين في خطأ فاحش، حين نقلوا بعض القصص الإسرائيلية في تفاسيرهم، اعتماداً على ما جاء عند أهل الكتاب، مما لم يصح سنده، ولا يجوز اعتماده، لأنه من ضلالات أهل الكتاب، ولأنه يتنافى مع عقيدة المسلمين في عصمة الأنبياء، من هذه الأباطيل المدسوسة ماروى عن داود - عليه السلام - من أمر عشقه لزوجة قائد جنده"¹³¹.

ومن أمثلة ما ورد في كتب التفسير ما ذكر ابن جرير عن وهب بن منبه: "ولدا ود تسع وتسعون امرأة، فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه مثلاً يضربه له ولصاحبه، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه، فقال: ما أدخلكما علي، قالوا لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة: "خصمان بغى بعضنا على بعض" فجئتاك لتقضي بيننا: "فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط" أي احملنا على الحق، ولا تخالف بنا إلى غيره، قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن جناح زوج المرأة: "إن هذا أخي" أي على ديني، "له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلينها" أي احملني عليها ثم عزني في الخطاب، وكان أقوى

¹³¹ - محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، (دار الهدى-الجزائر)، ص 261.

منى هو وأعز، فحاز نعجته الى نعاجه وتركني لاشئ لي فغضب داود، فنظر الى خصمه... فقال: لئن صدقتي ما يقول: لأضربين بين عينيك بالفأس، ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا¹³².

أ- إتيانه الزبور:

أنزل الله تعالى الزبور على داود الى جانب الحكمة وفصل الخطاب: "وآتينا داود زبوراً"¹³³، وكذلك: "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً"¹³⁴، ويسمى الزبور في التوراة بالمزامير وهو عبارة عن تسابيح وتقديس: "الفعل العبري "زمر" معناه قطع وقسم وشذب والمراد تقطيع القصيد ونظمه، وكلمة "زمر" العبرية معناها القصيدة التي يتغنى بها، والأصل العبراني للإسم هو "سفر تهليم" أي سفر التهليل أو سفر التسابيح، وفي العربية كلمة "زبر" تعني قطع"¹³⁵، وقد أوتى داود صوتاً حسناً فإذا قرأ الزبور تسبح الطير والجبال بتسبيحه: "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق، والطير محشورة كل له أواب"¹³⁶، وقد أورد ابن كثير روايات تبين مدى التجاوب الذي يحدثه داود بقراءته من قبل الإنس والجن والطيور: "وقال وهب بن منبه كان لا يسمعه احد إلا حجل كهيئة الرقص وكان يقرأ

132 - جامع البيان، ج 23، ص 49.

133 - سورة الإسراء، الآية 55.

134 - سورة الإسراء، الآية 55.

135 - رشدي البدرابي، أنبياء بني إسرائيل، ج 5، ص 135.

136 - سورة ص، الآية 19.

الزبور بصوت لم تسمع الأذان بمثله فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً" ¹³⁷.

ج- صناعة داود:

كان داود يصنع الدروع من الحديد استعداداً لمقاتلة أعدائه: "ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد، أن يعمل سايغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير" ¹³⁸ وقد ورد في القرآن الكريم أيضاً: "وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين، وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون" ¹³⁹ ولا يخفى علينا دور الحديد في الصناعات الحربية: " فقد تم اكتشاف معدن الحديد، والوقوف على أهميته في الحرب، وقد هدى الله داود والخبراء الصناعيين في حكمه إلى طريقة صنع الأسلحة والأدوات الحديدية الضرورية للجنود" ¹⁴⁰.

وقد ذهب بعض الباحثين بأن داود كان يعمل الحديد بيده دون الحاجة إلى النار: "فكان يعمل الدروع المسردة أي ذات الحلق من الحديد بيده معجزة له وأمرًا خارقاً للعادة، ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن في ذلك امتثاناً من الله عليه إذ كل الناس يعملون ذلك، اللهم إلا أن يدعى مدع أن إلهة الحديد

¹³⁷ - البداية والنهاية، ج2، ص11.

¹³⁸ - سورة سبأ، الآية 10.

¹³⁹ - سورة الأنبياء الآية 79-80.

¹⁴⁰ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ص 99-100.

لم تكن معروفة قبل داود وأن الله هداه إلى هذا الأمر الذي لم يكن معروفاً قبله وهذا مالا سبيل إلى تحقيقه¹⁴¹.

والصناعة التي اختص بها داود ومهر فيها هي الدروع من حلق الحديد: عمله الدروع والمركبة من حلق الحديد، وكانت تعمل صفائح، فكان هو الذي نسجها من حلق الحديد تناط الحلقة بأمثالها إلى أن تكمل الدرع، وهي أخف من الدروع الأخرى وأبعد¹⁴².

ملك سليمان:

ورث سليمان الملك عن أبيه داود، وقد آتاه الله عز وجل الحكمة:

"ورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين"¹⁴³.

ذهب ابن كثير أن الوراثة كانت في الملك والنبوة معا: "أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال لأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لا تورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معاشر الأنبياء لا تورث فاخبر الصادق المصدق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحايج لا يخصصون بها أقرباؤهم لأن

¹⁴¹ - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 310.

¹⁴² - نفس المرجع، ص 310.

¹⁴³ - سورة النمل، الآية 16.

الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم¹⁴⁴.

إلى جانب وراثة الملك والنبوة فقد علمه الله عز وجل لغة الطير حيث يفهم ما تتخاطب به بلغاتها، وأتم الله فضله عليه بإتيانه من كل شيء: "والمراد بقوله" من كل شيء كثيرة نعم الله تعالى عليه، ومنها تعليمه كلاما لا يعلمه سواه، وهذه المنحة لم تذكر في كتب أهل الكتاب، وإنما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة، ولذلك يسمونه سليمان الحكيم، ولا يقبونه بالنبى أصلا¹⁴⁵ ومن النعم التي آتاه الله تعالى نذكر:

1- تسخير الريح:

فكانت الرياح تتحرك بأمره وتحقيق المنافع لبني إسرائيل في حياتهم المعيشية: "وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين"¹⁴⁶ وهذه الريح تجري بسليمان وأتباعه: "وتسخير الريح: تسخيرها لما تصلح له، وهو سير المراكب في البحر، والمراد أنها تجري إلى الشام راجعة عن الأقطار التي خرجت إليها لمصالح ملك سليمان من غزو أو تجارة بقريئة أنها مسخرة لسليمان فلا بد أن تكون سائدة لفائدة الأمة التي هو ملكها، وعلم أنها تجري إلى الأرض التي بارك الله فيها، أنها تخرج من تلك الأرض حاملة الجنود أو مصدرة البضائع التي تصدرها مملكة سليمان إلى بلاد

144 - البداية والنهاية، ج2، ص 18.

145 - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 316.

146 - سورة الأنبياء، الآية 81.

الأرض وتقلد راجعة بالبضائع والميرة ومواد الصناعاتية وأسلحة الجند إلى أرض فلسطين¹⁴⁷.

ووصف الريح بأنها رخاء الى جانب أنها عاصفة: "تجري بأمره رخاء حيث أصاب"¹⁴⁸، وقد وردت روايات إسرائيلية في وصف بساط سليمان الذي تحمله الريح: "ومن الإسرائيليات ما يورده بعض المفسرين من أن الريح كانت تحمل بساطا لسيدنا سليمان من كل صنف، وتحت كل ركن ألف جني يحملون ذلك الشيء الخشبي حتى يرتفع في الجو، وحينئذ تسير به الريح، وكان يخرج من القدس فيقيل في اصطخر ثم يبيت بخراسان"¹⁴⁹.

2-تسخير الجن:

جعل الجن في خدمة سليمان - عليه السلام - يستجيبون لأمره، وقد كلفهم بصناعة المحاربيين وتمائيل والجفان: "ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات"¹⁵⁰.

¹⁴⁷ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 17، ص 123.

¹⁴⁸ - سورة ص، الآية 36.

¹⁴⁹ - محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص 227.

¹⁵⁰ - سورة سبأ، الآية 13.

المبحث الثالث

النقد والمقارنة

1- بداية الملك في بني إسرائيل بدأت بشاؤول وقد ذكره القرآن الكريم باسم طالوت، حيث طلب شيوخ بني إسرائيل من آخر قضاتهم وهو صموئيل أن يعين لهم ملكا، فاختار لهم شاؤول بأمر من الرب، والقرآن الكريم ذكره باسم نبي، والله تعالى هو الذي بعث لهم ملكا، كما كان للتابوت دورا بارزا في العهد القديم والقرآن الكريم، هذا غير أن العهد القديم ذهب إلى أن الرب قد غضب على شاؤول وأنزل عليه روح رديء، وأنه أمر صموئيل أن يمسخ داود ملكا وهو ابن سبع سنين، وهذا يدل على عدم رضا بني إسرائيل على شاؤول فبرروا رفضهم بغضب الرب، أما القرآن الكريم فقد أمط اللثام عن اعتراض بني إسرائيل عن تعيين طالوت ملكا بأن قالوا بأنهم أحق بالملك منه، وأنه رجل لم يكن له سعة مال فأخبرنا القرآن الكريم بأن نبيهم أعلمهم أن الاختيار الإلهي لطالوت يرتكز على العلم والبسطة في الجسم، هنا نلاحظ الرواية التراثية تصف شاؤول بأنهم أطول الناس.

2- نجد في أسفار العهد القديم أن الصراع على الملك داخل بني إسرائيل بلغ أشده حيث حاول الملك شاؤول قتل داود في الكثير من المرات، وكان داود في كل مرة ينجو من موت محقق، وبعد شاؤول استمرت الحرب بين بيت داود وبيت شاؤول، بل الأعجب من هذا أن سليمان بعد أن استقر له الملك قتل العديد من رجالات القصر الملكي من حاشية أبيه داود، وهنا تختلف الصورة

القرآنية عن التوراتية، حيث أثنى القرآن الكريم على داود وسليمان، ووصفا بأوصاف حميدة.

3- يعتبر اليهود عصر داود عصرهم الذهبي القديم، غير أن العهد القديم في مقابل هذا يعرض علينا داود في صورة المسفك للدماء حيث أمر قائد جنده أن يجعل أوربا الحثي في مقدمة الجيش حتى يقتل ويخلو له الجو بعد ذلك بامرأته؟ وقتل ابن داود اشبوشث، وقتل الشعب العموني: "ولا يمكن لأي خيال سقيم أن يتصور أن نبي الله داود الذي كرمه الله وملكه الدين والدنيا يفعل هذا الجرم ببني عمون بشرقي الأردن، إذ كيف يطحن شعب بأكلمه بنوارج حديد وتكسر عظامهم بفؤوس من حديد وتلقى أجسادهم المطحونة في أفران الآجر لتختلط الأجساد بالطين الذي يحرق بالنار لصناعة قوالب الأجر"¹⁵¹.

4- دامت مملكة بني إسرائيل من عصر شاؤول إلى عصر سليمان حوالي تسعين عاما، وهي فترة زمنية قصيرة قياسا بالمدة التي استغرقتها ممالك الشرق الأدنى القديم، وعليه لا يحق لليهود في هذا العصر المطالبة بفلسطين استنادا إلى تلك المملكة القديمة، فلا يعقل أن تقاس مدة تسعين عاما بما يقارب أربعين قرنا عاشها هناك السكان الأصليون لفلسطين: "فلا عجب إذا ما نحن وجدنا أن هذه الأمبراطورية الإسرائيلية الوهمية اختلفت تماما كالسراب في قصص العهد القديم نفسه بمجرد أن وارى التراب جثة سليمان الملك، فلا قصور ولا حصون، ولا جيش جرار وسفن تجوب البحر إلى أوفير، ولا خشب من صور ولاجزية من أرام سورية في الشمال أو من مؤاب وأدوم في

¹⁵¹ - عبد العزيز عامر، بنو إسرائيل، ص 157.

الجنوب، وعادت القصة الى الصورة الأصلية لقبائل بني اسرائيل المنتشرة على سفوح الهضبة الفلسطينية، في حالة مستمرة من الدفاع عن النفس أمام قوى كانت دائما أكبر منها¹⁵².

5- مملكة داود وسليمان لم تكن خاصة ببني إسرائيل، بل ضمت شعوبا اخرى، فداود وسليمان كانا نبيين، على عكس ما ذهبت إليه أسفار العهد القديم بأنهما ملكان، وهما عندهم يمثلان تحقق وعد الرب بامتلاك الأرض، ذلك الوعد الذي أنطلق من إبراهيم ووصل إلى يشوع، ثم إلى بيت يهوذا وأن أرض الموعد ستفيض عليهم لبنا وعسلا.

6- مملكة داود وسليمان لم تكن أصلا في فلسطين، وهناك لفتة في القرآن الكريم في قصة سليمان مع ملكة سبأ، حين أخبره الهدد بشأنها وشأن قومها فجاء السياق القرآني بالمكوث غير بعيد، أي دل ذلك على أن المسافة بين مقر سليمان ومملكة سبأ لم تكن بعيدة.

7- هناك تغاير تام بين صورة سليمان في القرآن الكريم، وصورته في العهد القديم: "ولكن القصة القرآنية تختلف إختلافا جوهريا عن قصة العهد القديم في أنها لا تذكر لنا أي شئ عن أن سليمان كانت له مملكة تمتد حدودها بين النيل والفرات، ولأنه هو الذي قام ببناء معبد القدس، فنحن لانجد في القرآن ذكرا للقدس أو بيت المقدس أو المسجد الأقصى"¹⁵³.

¹⁵² - أحمد عثمان، تاريخ اليهود، ج1، ص 177.

¹⁵³ - نفس المرجع، ص 167.

جامعة الأمير
الفصل الخامس

المكونات الدينية

العلوم الإسلامية

المبحث الأول

المكونات الدينية في العهد القديم

1- العقائد:

أ- الألوهية:

يعبر عن الألوهية في العهد القديم بلفظي "إلوهيم" و "يهوه" وهم يعتقدون بأنه إله خاص ببني إسرائيل دون غيرهم من الأمم، يبدأ هذا التصور في فترة إبراهيم - عليه السلام - فقد كان ربا لإبراهيم: "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا، لأكون إلهك ولنسلك من بعدك"¹. وقد تجلى الرب لإبراهيم وهو في باب خيمته، وعندما رفع بصره رأى ثلاثة رجال فأسرع لاستقبالهم وسجد إلى الأرض وقال: "يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فأخذ كسرة خبز فتنسدون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت"².

نلاحظ في هذا النص التوراتي تجلى الرب لإبراهيم، وهذا تجسيد واضح ثم كان الإله بعد إبراهيم - عليه السلام - إله خاصا بإسحاق - عليه السلام -: "وظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك، لا تخف لأني معك وأباركك

¹ - سفر التكوين، الاصحاح 17، الفقرة 7.

² - سفر التكوين، الاصحاح 18، الفقرات 3 إلى 5.

وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عدي، فبنى هناك مذبحا ودعا باسم الرب، ونصب هناك خميته وحفر هناك عبود إسحاق بئرا³.

وقد ظهر له الرب كما تجلى لأبيه إبراهيم من قبل: "وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر، أسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ونسلك أعطي جميع هذه البلاد وأوفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك"⁴.

ومن بعد إسحاق كان الإله ربا ليعقوب - عليه السلام -، حيث ظهر الرب ليعقوب وصارعه حتى طلوع الفجر، وكانت الغلبة في الأخير ليعقوب وباركه الرب ودعا اسمه إسرائيل، وحلت بركة الرب على يعقوب: "وقال له الله أنا الله القدير، أثمر وأكثر، أمة وجماعة أمم تكون منك، ومنوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ونسلك من بعدك أعطى الأرض، ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه، فنصب يعقوب عمودا في المكان الذي فيه تكلم معه عمودا من حجر، وسكب عليه سكبيا وصب عليه زيتا، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل"⁵.

³- سفر التكوين، الاصحاح 26، الفقرات 24-25.

⁴- سفر التكوين، الاصحاح 26، الفقرات 2-3.

⁵- سفر التكوين، الاصحاح 35، الفقرات 11 إلى 15.

وبعد ذلك صار الإله ربا لموسى - عليه السلام - : "فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا ما اسمه فما ذا أقول لهم، فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه، وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم"⁶.

"وفي عهد موسى - عليه السلام - يظهر اسم يهوه: "وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور"⁷.

وقد ذهب فيلون اليهودي الإسكندري أن "أهيه" اسم لا يقدر أن يعبر عنه، أما القديس أغسطينوس أن تلك العبارة تعلن عن الله بكونه الوجود الأول والسامي غير المتغير"⁸.

أما اللفظ يهوه فهو من الفعل هيه أو هوه: "ولفظه يهوه هي فعل المضارع من هيه أو هوه كما كان في الأصل، ومعناه كان، أو حدث، أو وجد بعبارة أخرى هو الذي كان، والذي أعلن ذاته وصفاته"⁹.

⁶ - سفر الخروج، الاصحاح 3، الفقرات 13-14.

⁷ - سفر الخروج، الاصحاح 3، الفقرة 15.

⁸ - تادروس يعقوب ملطى، تفسير سفر الخروج، ص 35.

⁹ - قاموس الكتاب المقدس، ص 1096.

صفات يهوه:

وصف العهد القديم الإله يهوه بكثير من صفات البشر، حيث وصف بالتعب عندما فرغ من خلق السماوات والأرض، وجميع حيوانات البرية، وهذه صفة مماثلة للأحوال التي تجري على البشر: "فأكملت السماوات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدمه، لأنه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً"¹⁰.

وفي قصة آدم، ورد فيها نهى الرب لآدم عن الأكل من الشجرة، لكن آدم بإغواء زوجته حواء أكل من شجرة معرفة الخير والشر، فخاف الرب أن تمتد يده إلى الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، فخاف الرب أن تمتد يده إلى الأكل من شجرة الحياة فينعم بالخلود فأراد الرب إبعاده عن الأكل من تلك الشجرة بإعلامه أنه يموت إذا أكل منها، وهنا يضاف إلى الرب صفة الكذب التي لا تليق بمقام الألوهية: "إن الإله كان يريد بقاء هما جاهلين، حتى لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته، وأن الله استجوبهما، واستنتج من فعلهما ومن استجوابهما أنهما لا بد أن يكونا قد أكل من الشجرة، وأن الإنسان أصبح أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن

¹⁰ - سفر التكوين، الاصحاح 2، الفقرات من 1 إلى 3.

والقبح، وأنه لا بد من طرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي شجرة الخلد، فيكفل لنفسه البقاء وهو أرقى صفات الإله¹¹.

كما ينسب العهد القديم صفة الحزن للرب وذلك عندما رأى الشر الذي يقوم به الإنسان: "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه"¹².

وعندما أوقع الرب الطوفان ندم على ذلك، فجعل قوس قزح حتى لا يوقع بالإنسان الطوفان مرة أخرى: "وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر، وضعت قوسى في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر السحاب على الأرض وتظهر القوس في السحاب، أتي أذكر ميثاقى الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد، فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد"¹³.

ويأمر موسى - عليه السلام - الرب بالرجوع عن غضبه، والندم على الشر الذي أوقعه بشعبه: "وقال لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة، لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم

¹¹ - محمود بن شريف، الأديان في القرآن، الطبعة الخامسة (شركة مكاتب عكاظ:

1404هـ-1984م)، 104.

¹² - سفر التكوين، الاصحاح 6، الفقرة 5.

بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك"14.

ويذكر العهد القديم أن شيوخ بني إسرائيل رأوا الرب وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق: "ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا"15.

ومن صفات يهوه أمره لبني إسرائيل بالسرقة، حيث طلب من كل إسرائيلية أن تسرق الذهب من نزيلة بيتها من المصريات: "وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وأعطى الرب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين"16.

ويصف العهد القديم يهوه بالقسوة والتعطش لسفك الدماء، بل يأمرهم بالإبادة الشاملة دون رحمة ولا شفقة: "فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط

13- سفر التكوين، الاصحاح 9، الفقرات 13 إلى 15.

14- سفر الخروج، الاصحاح 32، الفقرات 11-12.

15- سفر الخروج، الاصحاح 24، الفقرات 9 إلى 11.

16- سفر الخروج، الاصحاح 12، الفقرات 35-36.

ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لا تبني بعد" 17.

عبادة آلهة أخرى:

وعبد بنو إسرائيل في فترات زمنية معينة بعض الآلهة، وخالفوا بذلك وصايا العهد القديم التي تأمرهم بعبادة "يهوه" وحده، وأن لا يتخذوا لهم معه آلهة أخرى، فقد ورد في الوصايا العشرة: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهم ولا تعبدن، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي" 18.

فهذا النص صريح في النهي عن عبادة آلهة أخرى يعبدها بنو إسرائيل إلى جانب عبادة الرب؟ سواء اتخذت شكل تمثال أو صورة، لكن ما ذنب الأبناء أن يتحملوا ذنب فعله آباؤهم ولا علاقة لهم به، وقد حاول بعض شراح الكتاب المقدس تبرير ذلك: "كلمات الرب لا تعني أن الله ينتقم لنفسه في الأبناء كما فعله آباؤهم... لكنه يريد أن يؤكد طول أناته، فلأنه يترك الأشرار للتوبة سنة فأخرى، وجيلاً فآخر،

17- سفر التثنية، الاصحاح 13، الفقرات 15-16.

18- سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرات 2 إلى 6.

وإذ يصمم الإنسان على عمل الشر يؤدب في الجيل الثالث أو الرابع ليس من أجل خطايا آبائهم لكن من أجل إصرار الأبناء على السلوك الشرير بمنهج آبائهم¹⁹. ولم يلتزم بنو إسرائيل بهذا الأمر الوارد في هذا النص، بل عبدوا آلهة أخرى، وكانت الخطوة الأولى في حياة موسى - عليه السلام - حينما صنعوا العجل الذهبي، وقاموا بعبادته: "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا تعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأتوا بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر"²⁰.

ونلاحظ أن كاتب سفر الخروج نسب صناعة العجل إلى هارون - عليه السلام - وبالتالي فهو الذي فتح لهم باب الشرك، ويسر لهم عبادة غير الله تعالى. وغضب موسى عندما شاهد بني إسرائيل وهم يرقصون حول العجل: "وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص، فحمى غضب موسى وطرح

¹⁹ - تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر الخروج، ص 137.

²⁰ - سفر الخروج، الاصحاح 32، الفقرات 1 إلى 4.

اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجهه الماء وسقى بني إسرائيل²¹.

ويوضح أحد شراح العهد القديم سبب تصرف موسى بهذه الطريقة: "لقد أحرق العجل بالنار وسحقه وذراه على الماء لكي يشرب الشعب من هذا الماء الممتزج بالمسحوق علامة على أن كل إنسان يلتزم بأن يشرب ثمار خطاياها"²².

وأمر موسى بني لاوى بأخذ سيوفهم، وأن يقتل كل واحد منهم أخاه، وصاحبه: "فاجتمع إليه جميع بني لاوى، فقال لهم، هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه، ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى، ووقع من ذلك الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل"²³.

وفي عهد القضاة وقع بنو إسرائيل في عبادة الآلهة الكنعانية، فغضب الرب عليهم، وأسلمهم إلى يد أعدائهم، وعندما يضيق بهم الأمر يلجؤون إلى أحد أنبيائهم يرجون الخلاص، فيعين لهم النبي قاضيا، وهكذا دواليك: "وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهيهم، ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها، حادوا سريعا عن الطريق الذي سار بها آبائهم لسمع

²¹ - سفر الخروج، الاصحاح 32، الفقرات 19-20.

²² - تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر الخروج، ص 212.

²³ - سفر الخروج، الاصحاح 32، الفقرات 26 إلى 28.

وصايا الرب²⁴ بل إن أسفار العهد القديم تنسب إلى سليمان - عليه السلام - ميله إلى آلهة أخرى: "فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي ترأى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب"²⁵.

ب- الأنبياء:

ظهر مجموعة كثيرة من الأنبياء في بني إسرائيل، وكان دورهم يتمثل في مهاجمة الفساد الذي ظهر في بني إسرائيل، ومحاولة إرجاعهم للتمسك بوصايا الرب: "كان الله حاضرا دائما في وسط الشعب، ولكنه لا يتدخل إلا عند الانحراف عن الوصايا المحددة ومعاندة إرادته العليا، وأدواته التي يتكلم بها ليوصل صوته للإنسان، كثيرة ولكن أبسطها الأنبياء"²⁶.

وكلمة النبي تشير إلى من يتلقى أفكاره عن مصدر خارجي: "النبي هو من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره، دون أن يكون الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه قوة الله عند المسيحيين والعبريين والمسلمين، وقوة الآلهة المتعددة عند عباد الأصنام الوثنيين"²⁷.

²⁴- سفر القضاة، الاصحاح 2، الفقرات 16-17.

²⁵- سفر الملوك الأول، الاصحاح 11، الفقرات 9-10.

²⁶- متى مسكين، تاريخ إسرائيل، ص 134.

²⁷- قاموس الكتاب المقدس، ص 947.

والنبي عند بني إسرائيل يتكلم باسم الرب، ومن هنا ظهرت مجموعات كبيرة من مدعي النبوة، وقد عرفوا باسم الأنبياء الكاذبين: "عرف اليهود نوعين من الأنبياء الكذبة، نوعا يمثل العبادة الوثنية المقاومة لله علنا كأنياء السوارى الذين قتلهم إيليا النبي، والنوع الآخر يتنبأون من وحي قلوبهم ومشاعرهم الذاتية ورغباتهم الخاصة تحت اسم الله"²⁸.

دور الأنبياء: يمكن تحديد دور الأنبياء في النقاط الآتية:

1- مقاومة الإنحراف العقدي في بني إسرائيل وذلك بدعوة بني إسرائيل بالتخلي عن عبادة الآلهة الأخرى، والرجوع إلى عبادة الرب، والتمسك بوصاياها: "قد دأبت هذه الجماعة على النكث بعهودها مع الله، والإنحراف عن العبادة الصحيحة مما استدعى توالي ظهور الأنبياء فيهم لإعادتهم إلى الدين الصحيح، وإصلاح أحوالهم الدينية"²⁹.

2- القيام بالشعائر الدينية خاصة تقديم القرابين والتغني بترانيم الشكر مع استعمال الآلات الموسيقية: "فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص، وأجابتهن مريم رنموا للرب فإنه قد تعظم"³⁰.

²⁸- تادرس يعقوب ملطى، تفسير الآباء الأولين حزقيال، ص 144.

²⁹- محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص 156.

³⁰- سفر الخروج، الاصحاح 15، الفقرات 20-21.

3- تعيين القضاة والملوك ويبرز هذا الجانب الدور الفعال للأنبياء في الأزمات التي تحل ببني إسرائيل: "والدور الذي اضطلع به الأنبياء في تحذير الشعب وتوجيه الملوك والرؤساء، وتحذير الخطاة لتلافي المصائب لو حاولنا استبعاده لتعري التاريخ، فالأنبياء دخلوا في تاريخ شعب إسرائيل كعنصر مميز جدا وفعال، ربما أكثر فعالية من الملك نفسه"³¹.

4- لعب الأنبياء دورا بارزا في تعليم أفراد الشعب الإسرائيلي وتثقيفهم حيث ظهر ما يعرف بمدارس الأنبياء، وعرف روادها ببني الأنبياء، فأولئك الأنبياء عرفوا باسم أنبياء التعليم: "وكانت تعاليم الأنبياء تنحصر في نقاط رئيسية: ألا يخالط الشعب الأجانب لأنه فح لعبادة الأوثان، التي هي السوس الذي نخر في عظم الأمة حتى أسقطها، ثم الإلتزام بالناموس بمقتضى عهد الله الذي يقيم السلوك العام والخاص"³².

³¹- متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 135.

³²- نفس المرجع، ص 141.

أسماء الأنبياء: وردت عدة أسماء في العهد القديم للنبي نذكر منها:

1- الرائي:

وقد ورد في أسفار العهد القديم اسم الرائي مرادفاً لإسم النبي: "هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله، هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي كان يدعى سابقاً الرائي"³³.

والرائي في الحقيقة يشير إلى وسيلة من وسائل التنبؤ وهي الرؤى، وقد وردت الكثير من رؤى الأنبياء في أسفار العهد القديم وسأذكر بعضها:
أ- رؤيا اشعيا:

يورد كتاب سفر اشعيا في مقدمته الرؤيا التي رآها اشعيا خاصة بيهودا: "رؤيا اشعيا بن آموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عزيا ويوتام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا"³⁴.

وفي هذه الرؤيا يتكلم اشعيا عن معاصي بني إسرائيل، ويصف بني إسرائيل بالأمة الخاطئة، وأن العقاب سيحل عليهم نتيجة للإثم المقترف: "بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهي خربة كأنقلاب الغرباء، فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم كخيمة في مقناة كمدينة محاصرة"³⁵.

³³ - سفر صموئيل الأول، الاصحاح 9، الفقرة 9.

³⁴ - سفر اشعيا، الاصحاح 1، الفقرة 1.

³⁵ - سفر اشعيا، الاصحاح 1، الفقرات 7-8.

ب- رؤيا دانيال:

النبى دانيال أوتي فهم الرؤى والأحلام، وهو الذي فسر الأحلام التي أزعجت نبوخذ نصر الملك البابلي بعد أن عجز السحرة والعرافون والمجوس والكلدانيون عن تفسير تلك الأحلام: "حينئذ لدانيال كشف السر في رؤيا الليل، فبارك دانيال إله السموات، أجاب دانيال قال ليكن اسم الله مبارك من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والنجبروت"³⁶.

ومن الرؤى التي رآها دانيال أربع رياح هجمت على البحر، وصعد من البحر أربعة حيوانات، أسد وله جناحا نسر، والحيوان الثاني يشبه الدب، والحيوان الثالث مثل النمر وله أربعة أجنحة، أما الحيوان الرابع فكانت له أربعة رؤوس.³⁷

وهذه الرؤيا كانت تشير إلى بابل، وفارس، والإسكندر الأكبر: "الحيوان الأول كالأسد وله جناحا نسر وهو يرمز إلى بابل، والحيوان الثاني شبيه بالدب وهو يرمز إلى فارس، والثالث مثل النمر له أربعة أجنحة وهو يرمز إلى الإسكندر الأكبر وقواده الأربعة منكموا بعده، ثم خرج قرن قوى داس الباقين ودخل الهيكل وخربه وهو يرمز إلى أنطويوخوس الذي هدم الهيكل وحارب القديسين في مملكة يهوذا مما أدى إلى قيام ثورة المكابيين"³⁸.

³⁶- سفر دانيال، الاصحاح 2، الفقرات 19-20.

³⁷- سفر دانيال، الاصحاح 7، الفقرات 1 إلى 6.

³⁸- رشدى البدر اوى، قصص الأنبياء والتاريخ، ج5، ص 406.

ج- رؤيا زكريا:

تعددت رؤى النبي زكريا، فالأولى رأى فيها زكريا رجل راكب على فرس، ورجل واقف وخلفه فرسان وملاك وزكريا نفسه، والرؤيا الثانية تتمثل في أربعة قرون، ورؤيا ثالثة لرجل يريد قياس أورشليم، والرابعة رأى فيها الكاهن الأعظم يرتدي لباساً قدرة، والخامسة رأى فيها منارة ذهبية، والسادسة رؤيته لدرج عظيم مفتوح، والسابعة رأى فيها إيفه مسدودة بغطاء من الرصاص، والثامنة رأى فيها أربع مركبات خارجات من بين جبلين.³⁹

2- الكاهن:

ورد التعبير عن النبي في العهد القديم بإسم الكاهن، بل في كثير من الأحيان تختلط وظيفة النبي بوظيفة الكاهن، بحيث لا يستطيع الدارس أن يميز بينهما، وقد نسب إسم الكاهن في العهد القديم للأنبياء، حيث وصف به على سبيل المثال النبي إرميا: "كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عناثوث في أرض بنيامين"⁴⁰.

كما وردت منسوبة إلى النبي حزقيال: "صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور"⁴¹.

³⁹ - نفس المرجع، ج5، ص418-420.

⁴⁰ - سفر إرميا، الاصحاح 1، الفقرة 1.

⁴¹ - سفر حزقيال، الاصحاح 1، الفقرة 3.

3- رجل الله:

وهذا الاسم ورد في أسفار العهد القديم مضافاً إلى الأنبياء، حيث وصف النبي بأنه رجل الله: "لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا وليس من هدية نقدمها لرجل الله، ماذا معنا، فعاد الغلام وأجاب شاول وقال هو ذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا عن طريقنا"⁴².

نبوءات العهد القديم:

تعلقت نبوءات العهد القديم بأحداث مستقبلية فتنبأ أنبياء العهد القديم بمصير الممالك المحيطة بهم، فتحدثوا عن الإنكسارات التي ستحدث في آشور وبابل، والخراب الذي يحل على مؤاب وقيدار ودمشق ومصر.

1- نبوءات متعلقة بأشور:

تنبأ اشعيا بتحطم ملك آشور: "قد حلف رب الجنود قاتلاً إنه كما قصدت بصير وكما نويت يثبت، أن أحطم آشور في أرضي وأدوسه على جبالي فيزول عنهم نيره ويزول عن كتفهم حمله، هذا هو القضاء المقضى به على كل الأرض وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم، فإن رب الجنود قد قضى فمن يبطل ويده هي الممدودة فمن يردّها"⁴³.

⁴² - سفر صموئيل الأول، الاصحاح 9، الفقرات 7-8.

⁴³ - سفر اشعيا، الاصحاح 14، الفقرات 24 إلى 27.

2-نبوءات متعلقة ببابل: تعددت النبوءات المتعلقة بزوال بابل وإنكسارها أمام أعدائها فقد تنبأ بذلك كل من اشعيا، ارميا، حزقيال.

أ-نبوءة اشعيا:

يرد هنا تحذير النبي اشعيا ليهودا بعدم التحالف مع بابل لأن ملكها سيزول، وسيلاط الرب الفرس عليها: "ها أتذا أهيج عليهم الماديين السذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب، فتحطم القسى الفتیان لا يرحمون ثمرة البطن، لا تشفق عيونهم على الأولاد، وتصير بابل بهاء الملوك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة، لا تعمر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور"⁴⁴.

ب-نبوءة إرميا:

جاءت نبوءة إرميا عن بابل بأسلوب قاسي، وهذا مبعث للتساؤل لأن إرميا نفسه طالب يهوذا بالخضوع لبابل، وتعتبر هذه النبوءة مجموعة من نبوءات مختلفة لإرميا حول بابل: "يرى البعض أنها مجموعة نبوءات نطق بها النبي في أوقات مختلفة جمعت معا، ويرى آخرون أنها ضمت تعليقات على نبوءات إرميا في عصر لاحق له، على أي الأحوال، كتبت هذه النبوءات قبل انهيار بابل"⁴⁵.

ويبدأ نبوءته ببيان الممارسات البابلية على بني إسرائيل، والظلم الذي سُلط عليهم: "في تلك الأيام وفي ذلك الزمان يقول الرب يأتي بنو إسرائيل هم وبنو

⁴⁴- سفر اشعيا، الاصحاح 13، الفقرات 17 إلى 20.

⁴⁵- تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر إرميا، ج2، ص 982.

يهودًا معًا يسرون سيرا ويكون ويطلبون الرب إلههم، يسألون عن طريق صهيون ووجوههم إلى هناك قائلين هلم فلنصق بالرب بعهد أبدي لا ينسى⁴⁶ ويسلط الرب بعد ذلك عدة شعوب على بابل لتحطيمها : "لأني هاأنذا أوقظ وأصعد على بابل جمهور شعوب عظيمة من أرض الشمال فيصطفون عليها من هناك تؤخذ، نبالهم كبطل مهلك لا يرجع فارغا، وتكون أرض الكلدانيين غنيمة، كل مقتميتها يشبعون يقول الرب"⁴⁷.

ويذكر كاتب السفر أن التدمير الذي يحل ببابل سببه ما فعله الملك البابلي نبوخذ نصر بشعب إسرائيل، فينزل عقاب الرب عليه: "إسرائيل غم متبددة، قد طردته السباع، أولا أكله ملك آشور ثم هذا الأخير نبوخذ راصر ملك بابل هرس عظامه، لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل، هاأنذا أعاقب ملك بابل وأرضه كما عاقبت ملك آشور"⁴⁸.

3- نبوءات متعلقة بمصر:

وردت عدة نبوءات خاصة بمصر، عند اشعيا وإرميا وحزقيال ودانيال، غير أن النبي حزقيال ذكر تفاصيل كثيرة خاصة بمصر وملكها.

⁴⁶- سفر إرميا، الاصحاح 50، الفقرات 4-5.

⁴⁷- سفر إرميا، الاصحاح 50، الفقرات 9-10.

⁴⁸- سفر إرميا، الاصحاح 50، الفقرات 17 إلى 19.

أ-نبوءة اشعيا:

يخبر اشعيا بما سيحل بمصر حتى أن المياه تجف من أنهارها، فتذهب الرياض الموجودة حول النيل، ولا يجد الصيادون ما يصطادونه، ويتقاتل المصريون فيما بينهم، وتتحارب ممالكها: "وحي من جهة مصر، هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها، وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة، وتهراق روح مصر داخلها وأفنى مشورتها فيسألون الأوثان والعازفين وأصحاب التوابع والعرافين، وأغلق على المصريين في يد مولى قاس فيتسلط عليهم ملك عزيز يقول السيد رب الجنود"⁴⁹.

ب-نبوءة إرميا: بدأ إرميا في نبوءاته بمصر للأسباب التالية:

1-خضوع المنطقة بأكملها إلى النفوذ السياسي لمصر.

2-ميل يهوذا إلى التحالف مع فرعون مصر ضد بابل حتى لا تسقط يهوذا في يد البابليين، ومعارضة النبي إرميا لذلك.

3-تمثل مصر وبابل أعظم قوتين في ذلك الوقت، وكانت مصر ممثلة لحياة الرخاء، وبابل لحياة الكبرياء.⁵⁰

⁴⁹ - سفر اشعيا، الاصحاح 19، الفقرات 1 إلى 4.

⁵⁰ - تادرس يعقوب ملطى، تفسير سفر إرميا، ج2، ص920.

وقد تملك المصريين الرعب حسب نبوءة إرميا، وانكسروا أمام أعدائهم: "الكلمة التي تكلم بها الرب إلى إرميا النبي في مجيء نبوخذ راصر ملك بابل ليضرب أرض مصر، أخبروا في أرض مصر وأسمعوا في مجدل وأسمعوا في نوف وفي تحفنجيس قولوا انتصب وتهياً لأن السيف يأكل حوالبك لماذا انطرح مقتدروك، لا يقفون لأن الرب قد طرحهم"⁵¹.

ج-نبوءة حزقيال:

بين النبي حزقيال في نبوءته حول مصر أن العقاب الذي يحل بفرعون مصر يشمل كل أنحاء مملكته بل يمتد حتى إلى مثل أسوان وكوش التي يقصد بها بلاد النوبة: "تأديب فرعون مصر تأديب شامل، فتصير أرضه خراباً لا يسكنها إنسان أو حيوان ، ممتد من أقصى الجنوب لكنه في نفس الوقت مؤقت ولمدة محددة (40عاماً)، على عكس الأمم إذ صدر الأمر أن يكون التأديب أبدياً"⁵². وتسقط مصر بناء على هذه النبوءات في يد الملك البابلي، فيقوم بنهب الممتلكات المصرية: "لذلك هكذا قال السيد الرب، هاأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذ راصر ملك بابل فيأخذ ثروتها ويغتم غنيمتها وينهب نهبها فتكون أجرة لجيشه"⁵³.

⁵¹ - سفر إرميا، الاصحاح 46، الفقرات 13 إلى 15.

⁵² - تادرس يعقوب ملطي، تفسير الآباء الأولين حزقيال، ص 299.

⁵³ - سفر حزقيال، الاصحاح 29، الفقرة 19.

4-نبوءة متعلقة بالسبي:

وقع أسباط بني إسرائيل في قبضة الآشوريين والبابليين حيث تعرضت مملكة إسرائيل بأسباطها العشرة إلى السبي الآشوري، ثم بعدها استولى البابليون على مملكة يهوذا وأخذوا سبطينها للأسر، وقد جاءت النبوءات منذرة ومحذرة من الوقوع في السبي، مبرزة غضب الرب على شعب بني إسرائيل.

أ-نبوءة اشعيا:

نلاحظ هنا موقف اشعيا من رسل الملك البابلي إلى ملك يهوذا حزقيا الذين جاءوا لعيادته أثناء مرضه حيث أخبر اشعيا الملك حزقيا أن بابل هي التي ستقوم بسبي يهوذا: "هو ذا تأتي أيام يحمل فيها كل ما في بيتك وما خزنه آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل، لا يترك شيء يقول الرب، ومن بيتك الذين يخرجون منك الذين تلدهم يأخذون فيكونون خصيانا في قصر ملك بابل"⁵⁴.

ب-نبوءة إرميا:

أمر النبي إرميا شعب يهوذا بالخضوع لبابل، وأخبرهم بأن الذي لا يدخل تحت خدمة الملك البابلي يعاقب بالسيف والجوع والوباء، وحذرهم من دعوة الأنبياء الكذبة الذين يأمرونهم بعدم الخضوع والخدمة: "والآن قد دفعت كل هذه الأراضي ليد نبوخذ ناصر عبدي وأعطيته أيضا حيوان الحقل ليخدمه، فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنة حتى يأتي وقت أرضه فتستخدمه شعوب كثيرة

⁵⁴ - سفر اشعيا، الاصحاح 39، الفقرات 6-7.

وملوك عظام، ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذ ناصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب حتى أفنيها بيده⁵⁵.

وقد تنبأ إرميا برجوع المسيبين من السبي البابلي.

الشرائع:

أ- القرابين:

تنقسم القرابين إلى ذبائح دموية واستخدم فيها ثلاثة أنواع من الحيوانات: البقر، الماعز، الغنم، ونوعان من الطيور: الحمام واليمام، والقسم الثاني يتمثل في التقدّمات الطعامية.

1- الذبائح الدموية :

يحلل أحد شراح الكتاب المقدس استعمال الذبائح الدموية باحتياج الإنسان إلى تحميل إثمه إلى ذلك الحيوان: "كقاعدة عامة كانت الذبائح تتمركز حول السدم بكونه يمثل نفس الحيوان، وكان الإنسان قد فسدت نفسه تماماً احتاج إلى نفس بريئة تحمل عنه أجره إثمه وتفنتديه من الموت بعد أن تقي عنه الدين"⁵⁶.

⁵⁵ - سفر ارميا، الاصحاح 27، الفقرات 6 إلى 8.

⁵⁶ - تادرس يعقوب ملطى، تفسير سفر اللاويين (الأبيارويس-العباسية: 1984)، ص 14.

أ- ذبيحة المحرقة:

والمحرقة تعني الحرق بالنار أي أن الذبيحة الدموية المقدمة توضع على النار، ويقوم الكهنة بإشعال النار ووضع الحطب عليها، ويرشون الدم مستديرا على المذبح: "ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الرب، ويرش بنو هارون الكهنة دمه على المذبح مستديرا، ويقطعه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ويرتبهن الكاهن فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح"⁵⁷.

ب- ذبيحة السلامة:

وتتميز هذه الذبيحة بأن يقدم الشحم والكليتان والكبد وقودا للرب حيث يضع الكهنة هذه الأجزاء على النار: "ويقرب من ذبيحة السلامة وقودا للرب الشحم الذي يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذي على الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعا، ويوقدها بنو هارون على المذبح على المحرقة التي فوق الحطب الذي على النار وقودا رائحة للرب"⁵⁸.

ج- التقدّمات:

وتكون التقدّمات من الأطعمة، ويكون من الدقيق والزيت واللبن، ويضعها الكاهن على النار، وتقدم كذلك مخبوزة على شكل أقراص فطير، وتكون التقدّمات

⁵⁷- سفر اللاويين، الاصحاح 3، الفقرات 11 إلى 12.

⁵⁸- سفر اللاويين، الاصحاح 3، الفقرات 3 إلى 5.

خالية من الخميرة والعسل: "كل التقدّمات التي تقربونها للرب لا تصطنع خميراً، لأن كل خمير وكل عسل لا توقدوا منهما وقوداً للرب"⁵⁹.

والتساؤل الذي يطرح هل كانت هناك قرابين بشرية في العهد القديم أم لا، وما موقف العهد القديم من هذه القرابين.

ورد في أسفار العهد القديم النهي عن تقديم الأبناء قرباناً للرب، وعدم التأثر بالمعتقدات الوثنية في تقديم القرابين البشرية: "لا تعمل هكذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم"⁶⁰.

وقد تكرر هذا النهي في موضع آخر بعدم متابعة الأمم الموجودة في أرض كنعان في قرابينها البشرية: "متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار"⁶¹.

لكن رغم هذا التحريم الوارد في سفر التثنية نجد أن القاضي يفتاح ينسذر بتقديم أول من يلقاه عند رجوعه من محاربة العموثيين إذا ما تحقق له النصر عليهم، ويشاء القدر أن تكون ابنته أول من يلقاه.

⁵⁹ - سفر اللاويين، الاصحاح 2، الفقرة 11.

⁶⁰ - سفر التثنية، الاصحاح 13، الفقرة 31.

⁶¹ - سفر التثنية، الاصحاح 18، الفقرات 9-10.

ووجد يفتاح نفسه في موضع حرج، لكنه قرر أن يفي بنذره وأن يقدم بنته قريبا للرب، وقبلت البنت بذلك الأمر: "وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر، وهي لم تعرف رجلا، فصارت عادة في إسرائيل، أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أيام في السنة"⁶².

وقد انتشرت القرابين البشرية في مملكتي إسرائيل ويهوذا، وكانت من أسباب غضب الرب على بني إسرائيل: "قد يظن القارئ أن ممارسة تقديم القرابين البشرية كانت مقصورة على مملكة يهوذا وحدها حيث إن "أحاز ومنسى" من ملوكها، وكان وادي هنوم يقع في شمال أورشليم حيث يقوم سكان يهوذا وخدمهم بتقديم القرابين البشرية، لكن الأمر على خلاف ذلك حيث ورد في سفر الملوك الثاني من أسباب غضب الرب على مملكة إسرائيل وملوكها وأهلها وتعرضهم للسبي الآشوري انحرافهم وسلوكهم طريق الوثنيين وممارستهم طقوسهم وعبادتهم لأصنامهم وقيامهم بتقديم القرابين البشرية إليها"⁶³.

⁶² - سفر القضاة، الاصحاح 11، الفقرات 39-40.

⁶³ - فتحي محمد الزغبى، القرابين البشرية والذبايح التلمودية، الطبعة الأولى (مطابع عباشي-طنطا: 1410هـ-1990م)، ص 173.

2- شرايع التطهير:

أ- أحكام تطهير المرأة:

تعتبر الشريعة التوراتية المرأة نجسة مدة سبعة أيام إن ولدت ذكراً، وأُسبوعين إن ولدت أنثى، وفي مقابل ذلك تقيم ثلاثة وثلاثين يوم في دم تطهيرها إن كان المولود ذكراً، وستة وستين يوماً إن كان المولود أنثى: "إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام، كما في أيام طمث علتها تكون نجسة، وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها، ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها"⁶⁴.

والسبب الذي جعل المرأة نجسة يتخلص في النقاط التالية :

- 1- خروج الدم بعد الإنجاب، حيث تعتبر شريعة التوراة الجسم الذي يخرج سيلاً أنه نجس.
- 2- اجتذاب الأنظار إلى الخطيئة التي تسلسلت في البشر أبا عن جد وسط الفرح بالمولود الجديد.
- 3- الأم لا تعد طاهرة حتى تقدم نبيحة دموية.

⁶⁴- سفر اللاويين، الاصحاح 12، الفقرات 1 إلى 5.

4-الإعلان عن قدسية شعب بني إسرائيل حيث جاء الأمر بالابتعاد عن كل ما يחדش طهارة النفس أو الجسد.⁶⁵

وهذا التبرير في سبب النجاسة الذي قدمه بعض شراح أسفار العهد القديم غير مقنع خاصة فيما يتعلق بقدسية شعب بني إسرائيل، فلا توجد علاقة أصلاً بين الأمرين.

وتقدم المرأة من إتمام أيام الطهر ذبيحة إلى الكاهن وتسمى ذبيحة الخطية : "ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها"⁶⁶.

ب-أحكام تطهير البرص:

البرص مرض جلدي يصيب الإنسان، وقد حاول الطب قديماً وحديثاً إيجاد الدواء المناسب لكن كل المحاولات باءت بالفشل، والملفت للانتباه أن أسفار العهد القديم تعتبر الإنسان المصاب بهذا الداء نجساً: "فإن رأى الكاهن الضربة في جلد الجسد وفي الضربة شعر قد ابيض ومنظر الضربة أعمق من جلد جسده فهي ضربة برص، فمتى رآه الكاهن يحكم بنجاسته"⁶⁷.

⁶⁵- تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر اللاويين، ص 121-122.

⁶⁶- سفر اللاويين، الاصحاح 12، الفقرات 6-7.

⁶⁷- سفر اللاويين، الاصحاح 13، الفقرات 1 إلى 3.

فإذا شفى الأبرص من مرضه فيأمر الكاهن بعصفورين ينبح أحدهما ويغمس الآخر في دم المذبوح مع خشب الأرز والقرمز والزوفاء، ثم ينضح على المتطهر من البرص فيطهره، ثم يطلق العصفور على وجه الصحراء.⁶⁸

أما الأبرص الذي لم يشف، وكان مرضه مزمنًا، فإنه يطرح خارج المحلة. شرائع الحلال والحرام:

-الحلال والحرام من الأطعمة: حددت الشريعة التوراتية الحلال من الحيوانات فيمن يجتر ويشق ظلفًا إلا الجمل والوبر والأرنب فكلهم نجس، لأن كل نوع من الأنواع السابقة يجتر ولكن لا يشق ظلفًا، وكذلك الخنزير نجس لأنه يشق ظلفًا لكنه لا يجتر، أما حيوانات البحر فقد اشترطت فيها الشريعة التوراتية أن تكون لها زعانف وحرشف سواء كانت في البحار أو الأنهار، ووقع النهي عن مجموعة من الطيور كالنسر والغراب، والنعامة واليوم وغيرها.

وكل من لمس نوع من الحيوانات المحرمة يتنجس: "وجميع البهائم التي لها ظلف لكن لا تشقه شقًا أولًا تجتر فهي نجسة لكم، كل من مسها يكون نجسًا، كل ما يمشي على كفوئه من جميع الحيوانات الماشية على أربع فهو نجس لكم كل من مس جثثها يكون نجسًا إلى السماء، ومن حمل جثثها يغسل ثيابه ويكون نجسًا إلى السماء، إنها نجسة لكم"⁶⁹.

⁶⁸ - سفر اللاويين، الاصحاح 14، الفقرات 3 إلى 7.

⁶⁹ - سفر اللاويين، الاصحاح 11، الفقرات 26 إلى 28.

أما فيما يخص الحيوانات التي تدب على الأرض فقد حرمت عليهم الشريعة التوراتية ابن عرس، والفأر، والضب، والحدود، والورل، والوزغة، والعظاية والحرباء، فكل هذه الأنواع نجسة، وكل ما تقع عليه بعد موتها يكون نجسا، وإذا سقطت على الأمتعة فإنها تتنجس إلى المساء ثم تطهر إلا الخزف فيكسر، وكل ما فيه يتجنس أما فيما يخص آنية الشراب فإن ما يشرب فيها يتنجس بغض النظر عن نوع المتاع.

والغاية من هذا التشريع في المحرمات من الأكل يتمثل في أن شعب بني إسرائيل يتقدس بالتزامه بهذه المحرمات : "إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكون قديسين لأني أنا قدوس، و لا تنجسوا أنفسكم بدبيب يدب على الأرض، إني أنا الرب الذي أصعدكم من مصر ليكون لكم إله، فتكونون قديسين لأني أنا قدوس"⁷⁰.

الحلال والحرام في العلاقات الاجتماعية:

1-تحريم الزنا:

ورد في أسفار العهد القديم مجموعة من النصوص تحدد الأحكام المرتبة

على مقترفي الزنا نجمها فيما يأتي:

⁷⁰ - سفر اللاويين، الاصحاح 11، الفقرات 44-45.

أ- حكم القتل إذا كان الرجل والمرأة المرتكبين ذنب الزنا متزوجين : "إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع والمرأة ، فتنزع الشر من إسرائيل"⁷¹.

ب- الرجم بالحجارة حتى الموت، وذلك عندما تكون الفتاة مخطوبة ومحافظة على عذريتها: "إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل في المدينة واضطجع معها، فأخرجوهما كليهما على باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا"⁷².

أما إذا أكرهت الفتاة على الزنا فيختلف هنا الحكم الصادر يخص الرجل لوحده لأن الفتاة أجبرت على هذا الفعل ولم تجد من يخلصها : "ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئا ليس على الفتاة خطية للموت بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا هكذا هذا الأمر، إنه في الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة قلم يكن من يخلصها"⁷³.

ج- أما إذا كانت الفتاة عذراء وغير مخطوبة، فيحكم العهد القديم على من ارتكب معها الزنا بدفع مقدارا من الفضة، مع زواجه بها زواجا أبديا: "إذا وجد فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجداء، يعطى الرجل الذي

⁷¹ - سفر التثنية، الاصحاح 22، الفقرة 22.

⁷² - سفر التثنية، الاصحاح 22، الفقرات 23-24.

⁷³ - سفر التثنية، الاصحاح 22، الفقرات 25 إلى 27.

اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون له زوجة من أجل أنه قد أنلها، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه⁷⁴.

2- المحرمات من النساء في الزواج:

حددت أسفار التوراة النساء اللواتي يحرم الزواج منهن، وكشف عورتهم، وهي كما يأتي: الأم، وامرأة الأب، الأخت من الأم أو الأب، ابنة الابن، ابنة البنت، بنت امرأة الأب المولودة من الأب، أخت الأب، أخت الأم، امرأة العم، الكنتة، امرأة الأخ، الجمع بين المرأة وبنتها، والمرأة وبنت بنتها أو ابنة بنتها، والأخت وأختها.⁷⁵

ويبين أحد شراح العهد القديم الدافع إلى تحريم الزواج بالأصناف المذكورة آنفاً في النقاط التالية:

أ- الحفاظ على قدسية العائلة، فتكون الروابط العائلية مبنية على الحب الأخوي بعيداً عن أي فكر جسدي.

ب- توسيع دائرة الارتباط الأسري فلا تبقى هذه العلاقات الأسرية منحصرة في دائرة ضيقة ضمن الأسرة، بل تتوسع لعائلات أخرى.⁷⁶

⁷⁴ - سفر التثنية، الاصحاح 22، الفقرات 28-29.

⁷⁵ - سفر اللاويين، الاصحاح 18، الفقرات 7 إلى 18.

⁷⁶ - تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر اللاويين، ص 187-188.

3- تحريم الربا مع الإسرائيلي:

نجد هنا أحكام العهد القديم تفرق في المعاملات المالية بين الإسرائيلي ، وغير الإسرائيلي، فتعتبر المعاملة الربوية بين الإسرائيليين محرمة: "لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا"⁷⁷.

أما الأجنبي أي غير الإسرائيلي فتجيز الشريعة التوراتية التعامل معه بالربا: "للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها"⁷⁸.

الوصايا العشر:

جاءت الوصايا العشر بعد تخلص بني إسرائيل من فرعون وجيشه، والخروج من أرض العبودية وتسمى كذلك بالكلمات العشر، وكلمات العهد، وقد وردت على الشكل التالي:

الوصية الأولى:

"أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"⁷⁹.

⁷⁷- سفر التثنية، الاصحاح 23، الفقرة 19.

⁷⁸- سفر التثنية، الاصحاح 23، الفقرة 20.

⁷⁹- سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرات 1 إلى 3.

الوصية الثانية:

"لا تصنع لك تماثالا لا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفترق ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياي"⁸⁰.

الوصية الثالثة:

"لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا"⁸¹.

الوصية الرابعة:

"أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيتك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقده"⁸².

⁸⁰ - سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرات 4 إلى 6.

⁸¹ - سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرة 7.

⁸² - سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرات 8 إلى 11.

الوصية الخامسة:

"أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب

إلهك" 83.

الوصية السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة:

"لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور" 84.

الوصية العاشرة:

"لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره

ولا حماره ولا شينا مما لقريبك" 85.

83- سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرة 12.

84- سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرات 13 إلى 16.

85- سفر الخروج، الاصحاح 20، الفقرة 17.

المبحث الثاني

المكونات الدينية في القرآن الكريم

1- العقائد:

بعد نجاتهم من فرعون وقومه، وتخلصهم من العبودية، ورؤيتهم لمعجزة البحر كيف اتعلق لهم، وساروا وسطه رغم كل هذا فإن رواسب الشرك متأصلة في نفسياتهم، حيث طلبوا من موسى-عليهم السلام- أن يجعل لهم إلهًا مماثلاً لعبدة الأصنام الذين شاهدوهم في طريقهم: "وجاورنا بني إسرائيل البحر، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، قال أغير الله أبغىكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين"⁸⁶.

وذهب بعض الباحثين إلى أن القوم الذين مر عليهم بنو إسرائيل وهم عاكفون على آلهتهم هم عمال مصريون يعبدون الإلهة حاتحور: "بعد مسيرة يومين مر بنو إسرائيل على جماعة من عمال المناجم المصريين يتعبدون للإلهة حاتحور"، وقد قام عالم الآثار البريطاني 'يتري' في عام 1904 برحلة استكشافية في هذه المنطقة

⁸⁶- سورة الأعراف، الآية 138 إلى 140.

وعثر على بقايا المعبد الذي أقامه رمسيس الثاني للإله حاتور في هذه المنطقة عبارة عن جزء من واجهة المعبد وعدة أعمدة مكسرة⁸⁷.

وعندما ذهب موسى -عليه السلام- لميقات ربه، شرع بنو إسرائيل في عبادة عجل صنعوه من حليهم، وجعلوه إليها يعبد من دون الله: "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون"⁸⁸.

ولعل بني إسرائيل تأثروا بعبادة العجل من قبل المصريين: "والقوم عاشوا في مصر وألفوا أن يروا عبادة المصريين للعجل أبيس، وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل، وكانت العجول المؤهلة إذا ماتت حنطوها - كما يحنط الآدمي بما يحفظ جسمها من التلف ودقنوها في مقبرة خاصة في جهة سفارة، تسمى سرايوم"⁸⁹.

والذي صنع لهم العجل رجل منهم نكره القرآن باسم السامري: "قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي، أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا، ولقد قال لهم هارون من قبل يا

⁸⁷ - رشدي البراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، ج 4، ص 975.

⁸⁸ - سورة البقرة، الآية 51-52.

⁸⁹ - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 218.

قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى⁹⁰.

وهذا الفعل من بني إسرائيل يثير التعجب، كيف يتحول قوم فجأة إلى عبادة عجل ويتركون عبادة الله تعالى، وكيف تأتي لهم نسيان معجزة البحر التي حدثت لهم، ورسولهم موسى -عليه السلام- بين ظهرانيهم فلم يطل غيابه سوى أربعين يوماً: "قد انحدروا إلى دركات سحيقة من الجمود والجهل، وأن ما ارتكبه هو من عظام الأمور في القبح والمعصية"⁹¹.

وادعى اليهود أن عزيزا ابن الله، بل ذهبوا إلى اتخاذ الأحرار والرهبان أربابا من دون الله وقد سجل القرآن تصورهم هذا، الذي قلدوا فيه الأمم السابقة عليهم: "وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أني يؤفكون، اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"⁹².

⁹⁰ - سورة طه، الآية 87 إلى 91.

⁹¹ - محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ج1، ص462.

⁹² - سورة التوبة، الآية 30-31.

ووصف اليهود الله عز وجل بالفقر، ونسبوا الغنى لأنفسهم: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير الحق ونقولوا ذوقوا عذاب الحريق"⁹³.

وكانت دعوة أنبياء بني إسرائيل قومهم إلى عبادة الله تعالى، فقد كان النداء الأول لموسى -عليه السلام- عند جبل الطور: "إني أنا ربك فأخضع نفسك إنك بالواد المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري"⁹⁴.

وقد أمر موسى -عليه السلام- بني إسرائيل بعبادة الله عز وجل وعدم الإشراف به، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل: "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا"⁹⁵. واعترض عليهم هارون -عليه السلام- عندما عبدوا العجل، وبين لهم وقوعهم في الوثنية وعبادتهم لغير الله: "ولقد قال لهم هارون من قبل، يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري"⁹⁶.

ويخبرنا القرآن الكريم بأن يعقوب -عليه السلام- أكد على أبنائه التمسك بالتوحيد الخالص، والتمسك بعبادة الله عز وجل: "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ

⁹³ - سورة آل عمران، الآية 181.

⁹⁴ - سورة طه، الآية 12 إلى 14.

⁹⁵ - سورة البقرة، الآية 83.

قال لئبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون⁹⁷.

ويسجل القرآن الكريم الطريقة التي واجه بها بنو إسرائيل أنبياءهم الذين دعواهم إلى التوحيد وترك الوثنية بمحاولة قتلهم والتخلص منهم: "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون، وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقلبيلا ما يؤمنون"⁹⁸.

وقد قاموا بقتل عدد من أنبيائهم: "ويجئ بعد موسى أنبياء كثيرين إلى بني إسرائيل فيلقون من ضلالهم وغرورهم الصبباني أكثر مما لقي موسى حتى ليذهب بهم الضلال إلى قتل الكثير من أنبيائهم، كان آخر قتيلين فيهم زكريا ويحي-عليهما السلام-"⁹⁹.

2- الشرائع:

أ- العبادات:

أوجب الله تعالى على بني إسرائيل الصلاة والزكاة فقد أمر موسى-عليه السلام- بالصلاة في لحظة اختياره للرسالة: "وأقم الصلاة لذكرى"¹⁰⁰، وقد ورد

⁹⁶ - سورة طه، الآية 89.

⁹⁷ - سورة البقرة، الآية 133.

⁹⁸ - سورة البقرة، الآية 87-88.

⁹⁹ - عبد الكريم الخطيب، اليهود في القرآن، ص 24.

¹⁰⁰ - سورة طه، الآية 14.

الأمر بها في الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل: "ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل، ويعتنا منهم إثني عشر نقيبا، وقال الله إني معكم لئن أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة، وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا" ¹⁰¹.

كما ذكر القرآن الكريم زكريا وهو في محرابه يؤدي الصلاة: "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبييا من الصالحين" ¹⁰².

كما أمر عيسى-عليه السلام- بالمحافظة على الصلاة والزكاة: "وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" ¹⁰³.

أما الصيام فنستدل على فرضيته على بني إسرائيل في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" ¹⁰⁴، ويدخل بنو إسرائيل في أمم الرسل السابقين.

ب- المعاملات:

1- تحريم القتل:

حرم على بني إسرائيل سفك الدماء، بل جعل القرآن الكريم من قتل نفسا كالذي يقتل جميع الناس: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا

¹⁰¹ - سورة المائدة، الآية 12.

¹⁰² - سورة آل عمران، الآية 39.

¹⁰³ - سورة مريم، الآية 30.

بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحيائها فكأنما أحيى الناس جميعا، ولقد جاءتهم رسنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون¹⁰⁵.

كما حرم عليهم سفك دماء بعضهم البعض، وأخذ عليهم الميثاق بذلك: "وإذ أخذنا ميثاقكم لا تفسكون دمانكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم"¹⁰⁶.

وقد كتب عليهم في التوراة القصاص: "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن، والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"¹⁰⁷.

2- المحرمات من المأكولات:

حرم اليهود على أنفسهم أكل لحوم الإبل ونسبوا ذلك إلى يعقوب-عليه السلام- "كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من

104- سورة البقرة، الآية 183.

105- سورة المائدة، الآية 32.

106- سورة البقرة، الآية 84-85.

107- سورة المائدة، الآية 45.

قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة افتلوها إن كنتم صادقين فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون¹⁰⁸.

وقد بين القرآن الكريم ما حرم على بني إسرائيل: "وعلى الذين هادوا حرما كل ذي ظفر ومن البقر حرما عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون، فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين"¹⁰⁹.

3-تحريم الربا:

حرمت شريعة بني إسرائيل الربا، وأكل المال بغير الحق: "فبظلم من الذين هادوا حرما عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا، وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأعدنا للكافرين منهم عذابا أليما"¹¹⁰.

كما ورد النهي عن أكل السحت في شريعتهم، ومخالفتهم لذلك: "وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون، نولا ينهاتهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون"¹¹¹.

108- سورة آل عمران، الآية 93-94.

109- سورة الأنعام، الآية 146-147.

110- سورة النساء، الآية 160-161.

111- سورة المائدة، الآية 62-63.

4- تحريم العمل يوم السبت:

أخذ الميثاق على بني إسرائيل بعدم مخالفة ما نهوا عنه من العمل يوم السبت: "وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً"¹¹².
غير أن بني إسرائيل لم يلتزموا بالتهيء، بل لجؤوا إلى التحايل: "وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون"¹¹³.
الوصايا العشر:

وردت في قوله تعالى: "قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قُلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعده الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون"¹¹⁴.

¹¹² - سورة النساء، الآية 154.

¹¹³ - سورة الأعراف، الآية 163.

¹¹⁴ - سورة الأنعام، الآية 151-152.

المبحث الثالث

النقد والمقارنة

1- في العهد القديم يعبر عن الألوهية باسمي "الوهيم" و "يهوه" وهم يعتقدون بأن الرب إله خاص ببني إسرائيل حيث كان إلهها خاصا لإبراهيم، ثم لإسحاق من بعده، ثم ليعقوب، ثم لموسى وبني إسرائيل، أما القرآن الكريم فعبر عن الألوهية باسم الله ولم يكن إلهها خاصا لبني إسرائيل أو غيرهم إنما هورب العالمين.

2- العهد القديم وصف الله تعالى بصفات مماثلة لصفات البشر وبتعبير أدق صفات بني إسرائيل، فالإله في العهد القديم يتعب، ويندم، ولا يعلم ما يدور في ملكه، ويحزن، وينصحه موسى-عليه السلام- بالرجوع عن حمو غضبه، وأن تحت رجليه شبه صنعة من العتيق الأرزق، وأنه ينزل في عمود سحب، ويأمر بني إسرائيل بالسرقة كما يأمرهم بالقتل والإبادة الشاملة، كما وصف بالمتعطش للدماء.

أما القرآن الكريم فينزه الله تعالى عن مماثلة أو مشابهة المخلوقات، حيث وصف بصفات الكمال والجمال، ورد القرآن الكريم على الكثير من الأوصاف اليهودية لله عز وجل في زعمهم بأن الله فقير، ونسبوا الغنى لأنفسهم، وأن الله ابن وأنهم أبناء الله وأحبواهم، وغيرها من الافتراءات.

114- سورة الأنعام، الآية 151-152.

الآلهة الكنعانية كالبعل وعشتاروت وغيرها، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك لكن في عبادة العجل بين أن الذي صنع لهم العجل رجل منهم يسمى السماري وليس هارون -عليه السلام-.

4- شرائع الذبائح والقرايين، وطقوس تطهير الأبرص انفردت بذكرها أسفار التوراة، حيث لم يرد في القرآن الكريم أن الله عز وجل عز أزمهم بتلك الشرائع، وهذا يدل على التحريف فيما شرعه الله عليهم، خاصة وأن شرائع الذبائح والقرايين كانت منتشرة في البيئات الوثنية، ولعل بني إسرائيل تأثروا بتلك الشرائع في أثناء وجودهم بمصر، وكذلك بعد استقرارهم في أجزاء من أرض كنعان.

5- شرائع الحلال والحرام هناك اختلاف كبير بين ما ورد في العهد القديم وما ورد في القرآن الكريم حيث أوضح كاتب العهد القديم أن السبب الرئيسي في ابتعادهم عن هذه المحرمات أنهم يتقدسون بالتزام ذلك، أما عن تفصيل المحرمات فعلى سبيل المثال أن الجمال حلال في الشريعة الإلهية لكنهم حرموا ذلك على أنفسهم.

6- اتفق العهد القديم مع القرآن الكريم في تحريم الزنا، ويختلفان في الأحكام المترتبة على من اقترف ذلك الجرم، لكن نلاحظ في العهد القديم ما يعرف بزنا المحارم ولا نجد لها تفسيراً فكيف نوفق بين قولهم بحرمة الزنا وإثباتهم لزنا المحارم.

7- اتفق العهد القديم والقرآن الكريم في تحريم القتل، حيث ورد عندهم النهي في الوصايا العشر، وورد في القرآن الكريم في الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل، لكن نجد في أسفار العهد القديم تطبيقات تخالف ذلك حيث يأمرهم الرب بقتل كل سكان المدن الكنعانية عند دخولهم إليها، بل لم يستثن من القتل حتى الحيوانات.

8- بينت التوراة أن الربا محرم بين الإسرائيلي وأخيه الإسرائيلي، بينما ذهب القرآن الكريم إلى تحريم الربا مطلقاً، ووصف اليهود في مقابل ذلك بأكل السحت. 9- في ما يخص المحرمات من النساء في الزواج، نلاحظ التوافق بينما ورد في أسفار التوراة، وما ورد في القرآن الكريم عموماً.

10- الاختلاف الكبير في مضمون الوصايا العشر الواردة في التوراة، ومضمونها الوارد في القرآن الكريم.

جامعة الأمير

الفصل السادس

الإنقسام و الثنات

القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

الانقسام والتشتتات

1- انقسام المجتمع الإسرائيلي:

بعد وفاة سليمان - عليه السلام - انقسم المجتمع الإسرائيلي إلى قسمين، مجتمع شمالي وأطلق عليه اسم إسرائيل، ومجتمع جنوبي وأطلق عليه اسم يهوذا، ووقع صدام عنيف بين قسمي المجتمع، بل دارت حروب شديدة بينهما، استعان خلالها بعضهم ضد البعض الآخر بالممالك المجاورة لهم، وبداية الصراع كانت بين رجلين منهما ربعام بن سليمان، ورجل آخر يدعى ربعام، الذي فر من سليمان إلى مصر، حين طلب سليمان بقتله: "وطلب سليمان قتل ربعام فقام ربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر وكان في مصر إلى وفاة سليمان"¹.

1-أ- المجتمع الشمالي إسرائيل:

بعد سماع ربعام بموت سليمان رجع إلى بني إسرائيل، ونصب ملكاً على عشرة أسباط ماعدا يهوذا وبنيامين، وبذلك اختار معظم شعب بني إسرائيل الإنضمام إلى ربعام، وترك بيت داود الذي اعتبروه المؤسس الحقيقي لمملكتهم، ويبرر العهد القديم سبب تنصيب ربعام ملكاً على المجتمع الشمالي باختيار الرب له: " وكان في ذلك الزمان لما خرج ربعام من أورشليم أنه لاقاه أخيا الشيلوني النبي في الطريق وهو لابس رداء جديداً وهما وحدهما

¹ سفر الملوك الأول، الإصحاح 11، الفقرة 40.

في الحقل، فقبص أخيا على الرداء الجديد الذي عليه ومزقه اثنى عشرة قطعة، وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط"².

واتخذ يربعام من شكيم عاصمة لمملكته، وحتى يرتبط الشعب الإسرائيلي بهذه العاصمة الجديدة، ولا يفكروا في العودة إلى أورشليم عاصمة مملكتي داود وسليمان وأقام لهما عجلين من ذهب لعبادتهما: "فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهما، كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم، هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع واحد في بيت إيسل وجعل الآخر في دان"³.

وهذا الانتقال السريع بعد موت سليمان - عليه السلام - مباشرة إلى عبادة آلهة أخرى وترك عبادة الرب يدعو للتعجب، إذ كيف يتحول الشعب الإسرائيلي مباشرة بعد وفاة سليمان - عليه السلام - إلى عبادة الأوثان، ويعلق على ذلك أحد الباحثين الكتابيين: "وعجيب أن تنتكس إسرائيل هكذا بهذه السرعة، وفي جيل واحد من عبادة الله وخدمة الأقداس في الهيكل إلى عبادة عجول الذهب"⁴. ولم يستقر يربعام في عاصمته شكيم، فسرعان ما تركها إلى مكان يدعى "فنونيل" ولعل السبب الرئيسي في تغيير عاصمة المجتمع الشمالي إسرائيل يعود إلى الاضطرابات التي سادت تلك المملكة، وعدم الاستقرار الذي ساد

²- سفر الملوك الأول، الاصحاح 11، الفقرة 29 إلى 31.

³- سفر الملوك الأول، الاصحاح 12، الفقرات 28-29.

⁴- متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 109.

المملكة، وقد يكون السبب في الخطر الذي تشكله الجيوش المصرية على شكيم.⁵

وقد حكم يربعام على مجتمع إسرائيل احدى وعشرين سنة وتولى بعده الملك ابنه ناداب، غير أن حكم الإبن لم يدم أكثر من سنتين، لينتقل بعده الملك من أسرة يربعام إلى أسرة بعشا التي احتفظت به لمدة تقدر بأربعة وعشرين سنة: "ملك بعشا بن أخيا على جميع إسرائيل في ترصه أربعة وعشرين سنة، وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق يربعام وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ"⁶.

وتولى الملك من بعد بعشا ابنه إيله حيث لم يستقر له الملك إلا أسبوعا واحدا، وبعدها تعرض للقتل مع كل أفراد أسرته عن طريق رجل يدعى زمري، ولم يبين العهد القديم مرتبته ولا نسيه، ولا كيفية استيلائه على الحكم الذي دام له أسبوعا واحدا كذلك، وانتقل الملك إلى عمري الذي يشغل منصب قائد جيش إسرائيل: "فملك كل عمري رئيس الجيش على إسرائيل في ذلك اليوم في المحلة"⁷.

ودام الملك لعمري على إسرائيل اثنتي عشرة سنة وفي النصف الثاني من حكم عمري غير عاصمة المملكة إلى مدينة السامرة التي بناها على جبل اشترام من رجل يدعى شامر، وفي هذه المدينة الجديدة تحتل عبادة بعل الإله الكنعاني

⁵ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 801.

⁶ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 15، الفقرات 33-34.

⁷ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 16، الفقرة 16.

الصدارة، حيث بني الملك آخاب بن عمري الذي استقر له الملك لمدة زمنية طويلة قدرت باثنتين وعشرين سنة مذبحا للبعل في البيت الذي بناه للبعل : "وعمل آخاب سوارى وزاد آخاب في العمل لإغائة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله"⁸، وفي عهد آخاب يظهر النبي إيليا ويواجه أربعمائة من أنبياء البلعيم، ويقدم الدليل على صدقه أمام شعب المملكة الإسرائيلية الذين اتبعوا أنبياء البلعيم، بأن يقدم الأنبياء قربانا ويدعوا باسم البعل، ويقدم هو قربانا ويدعو باسم الله، ومن أكلت النار قربانه هو الصانق في دعواه: "فسقطت نار وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة، فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله الرب هو الله، فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يقلت منهم رجل"⁹.

وتولى الملك بعد آخاب ابنه أخزيا حيث ملك سنتين فقط على إسرائيل ويستمر دور النبي إيليا في عهده أيضا مع ظهور نبي آخر يدعى أليشع: "وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء، وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبى يا أبى مركبة إسرائيل وفرساتها، ولم يره بعد"¹⁰.

⁸ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 16، الفقرة 33.

⁹ - سفر الملوك الأول الاصحاح 18، الفقرات 38 إلى 40.

¹⁰ - سفر الملوك الثانى، الاصحاح 2، الفقرات 11-12.

وينتهي الملك في أسرة عمري بالملك يهورام أخ الملك أخزيا، الذي تولى الملك بعده لمدة سبع سنوات، وينتقل الملك إلى أسرة أخرى هي أسرة ياهو حيث قام النبي أليشع بمسح " ياهو " ملكا على إسرائيل: "وإذا وصلت إلى هناك فانظر هناك ياهو بن يهوشا فاط بن نمشي وادخل وأقمه من وسط إخوته وادخل به إلى مخدع داخل مخدع، ثم خذ قنية الأذن وصب على رأسه وقل هكذا قال الرب قد مسحك ملكا على إسرائيل"¹¹.

واستمرت أسرة ياهو في الملك مائة سنة: "لقد ثبت ياهو الاستقرار في البلاد وأسس أسرة ملكية سارت بالوراثة واستمرت حوالي 100 سنة، وهي أطول مدة لتاريخ أسرة في إسرائيل"¹².

ويوصف عصر ياهو الذي دام في الحكم ثمانية وعشرين سنة بالاضطراب وعدم الاستقرار، بل عرض حتى مملكة يهوذا للكثير من التدهور: "فقد نجحت ثورة ياهو في استبعاد التأثيرات الأجنبية، وخاصة في المجالات الثقافية والحضارية، ولكنها جلبت الكوارث على كل إسرائيل ويهوذا، فمنذ عصر ياهو وإسرائيل تمر بفترة تدهور استمرت حوالي أربعين عاما، وهي من أخرج السنوات في تاريخ المملكتين"¹³.

ويصر الملك ياهو للقضاء على عبادة البعل: "ثم جمع ياهو كل الشعب وقال لهم، إن آخاب قد عبد البعل قليلا وأما ياهو فإنه يعبد كثيرا، والآن فادعوا

¹¹ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 9، الفقرات 2-3.

¹² - متى المسكين، تاريخ إسرائيل ، ص 127.

¹³ - مصطفى كمال عبد العليم ، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص 129-130.

الى جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته، لا يفقد أحد لأن ذبيحة عظيمة للبعل، كل من فقد لا يعيش"¹⁴ وعندما اجتمع عباد البعل، وجاعوا من كل ناحية، وقدموا قرابينهم، أمر ياهو ثمانين رجلا من أفراد جيشه بضرب رقاب عباد البعل بحيث لا ينجو منهم أحد، كما أمر بتكسير تمثال البعل، وتحطيم بيته، وفي مقابل ذلك تمسك بعبادة يربعام المتمثلة في عجول الذهب: "ولكن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ لم يحد ياهو عنها أي عجول الذهب التي في بيت إيل والتي في دان"¹⁵.

ورغم تمسك ياهو بعبادة عجول الذهب غير أن الرب ثبت ملكه "وقال الرب لياهو، من أجل أنك قد أحسنت بعمل ما هو مستقيم في عيني وحسب كل ما بقلبي فعلت ببيت آخاب فأبناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسي إسرائيل"¹⁶.

وخلفه على الملك ابنه يهوآحاز، واستقر له الملك سبع عشرة سنة، وفي عهده انحطت شؤون المملكة، فكانت مجرد مملكة تابعة للآراميين: "وهكذا أصبحت أحوال إسرائيل على أيام يهوآحاز أسوأ مما كانت على أيام أبيسه، وأذاقها حزائيل من الذلة والمهانة ما لم تتعرض لمثيله من قبل"¹⁷ ويبرر العهد القديم التبعية الإسرائيلية للآراميين بالشر الذي عمله الملك يهوآحاز الذي سار في نفس طريق يربعام: "وعمل الشر في عيني الرب وسار وراء خطايا يربعام بن

¹⁴ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 10، الفقرات 18-19.

¹⁵ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 10، الفقرة 29.

¹⁶ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 10، الفقرة 30.

¹⁷ - محمد بيومي مهران بن إسرائيل، ج 2، ص 831.

نباط الذي جعل إسرائي يخطئ، لم يحد عنها فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم ليد حزائيل ملك آرام¹⁸.

وفجأة يتذكر كتاب العهد القديم العهد الذي قطعه الرب لإبراهيم، ونسله من بعده، فيكون ذلك العهد المنقذ لمملكة إسرائيل من الذل الذي عاشته على يد الآراميين: "وأما حزائيل ملك آرام فضايق إسرائيل كل أيام يهوآحاز، فحسن الرب عليهم ورحمهم التفت إليهم لأجل عهده مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يشأ أن يستأصلهم ولم يطرحهم عن وجهه حتى الآن"¹⁹.

وعندما تولى يهوآش بن يهوآحاز ملك إسرائيل استطاع أن يسترد ما أخذه الآراميون من مدن المملكة الإسرائيلية: "فعاد يهوآش بن يهوآحاز وأخذ المدن من يد بنهدد بن حزائيل التي أخذها من يد يهوآحاز أبيه بالحرب، ضربه يوآش ثلاث مرات واسترد مدن إسرائيل"²⁰ وقد استطاع يربعام الثاني ابن يهوآش بعد توليه الملك من استعادة الأراضي التي أخذت من مملكته: "حيث نجح في استعادة الحدود القديمة لمملكة إسرائيل التي كانت عليها في عهد آخاب"²¹ وحكم يربعام مدة طويلة قدرت بإحدى وأربعين سنة، غير أنه اتبع طريق يربعام الأول: "وعمل الشر في عيني الرب، لم يحد عن شيء من خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ"²².

¹⁸ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 13، الفقرات 2-3.

¹⁹ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 13، الفقرات 22-23.

²⁰ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 13، الفقرة 35.

²¹ - مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص 138.

²² - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 14، الفقرة 24.

وقد سادت الأخلاق الرذيلة في عصر يربعام الثاني، وقد وصف أحد أنبيائهم هذا الانحطاط الخلقى: "ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يندسوا اسم قدسي، ويتمددون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح، ويشربون خمر المغمرين في بيت آلهتهم"²³.

وإلى جانب النبي عاموس، ظهر نبي آخر في فترة يربعام الثاني اسمه يونان: "هوردتخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي النبي الذي من جت حافر"²⁴.

وقد تنبأ النبي عاموس بنهاية مملكة إسرائيل: "فقال لي الرب قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل، لا أعود أصفح له بعد، فتصير أغاني القصر ولاول في ذلك اليوم يقول السيد الرب، الجثث كثيرة يطرحونها في كل موضع بالسكوت"²⁵.

وجاء بعد يربعام الثاني ابنه زكريا الذي لم يستقر له الملك سوى ستة أشهر فقط، وضاع الملك من أسرة ياهو بعد مقتل زكريا: "قتله بعدها مغتصب للملك يدعى شلوم يابيش 745 ق.م وهكذا انتهت الأسرة كما بدأت بدم مسفوك"²⁶.

وبعد ضياع الملك من أسرة ياهو، عاشت مملكة إسرائيل آخر أيامها وقد ظهر فيها ملوك محدودي التأثير في أحوال المملكة، مع عدم القدرة على اصلاح

²³ - سفر عاموس، الاصحاح 2، الفقرات 7-8.

²⁴ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 14، الفقرة 25.

²⁵ - سفر عاموس، الاصحاح 8، الفقرات 2-3.

²⁶ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 835.

أوضاع المجتمع الشمالي إسرائيل: "ففي مدى عشر سنوات اعتلى العرش خمسة ملوك، ثلاثة منهم ليس فيهم أحد يمتلك أي نوع من الشرعية، ولكن احتلوا العرش بالعنف والقتل"²⁷.

وهؤلاء الملوك هم: شلوم بن يابيش، منحيم بن جادي، فقحيا بن منحيم، وآخرهم فقح بن رمليا.

2ب- المجتمع الجنوبي يهوذا:

بعد موت سليمان - عليه السلام - وانقسام مجتمع بني إسرائيل إلى قسمين، تولى حكم شؤون سبطي يهوذا وبنيامين رحبعام ابن سليمان الذي يعتبر الوارث الشرعي لسليمان - عليه السلام - وحافظ على عاصمة ملك أبيه سليمان أورشليم، واستمر له الملك حوالي سبعة عشر سنة.

وفي بداية الأمر كان رحبعام يطمح في التملك على جميع بني إسرائيل كما كان أبوه سليمان من قبل، لذلك قصد قبائل الشمال في شكيم ليأخذ موافقتهم، غير أنهم اشترطوا عليه تخفيف الأعباء التي كلفوا بها أثناء حكم سليمان حيث قالوا له: "إن أباك قسى نيرنا وأما أنت فخففت الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك"²⁸.

واستشار رحبعام شيوخ بني إسرائيل فيما عرض عليه، فكان جوابهم بالاستجابة لذلك المطلب، غير أن رحبعام لم يقتنع برأي الشيوخ، ولجأ إلى استشارة الشباب الذين تربوا معه، وينتمون إلى جيله، فكان جوابهم: "تقول لهذا

²⁷ - متى المسكين، تاريخ إسرائيل، ص 149.

²⁸ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 12، الفقرة 4.

الشعب الذين كلموك قائلين إن أباك ثقل نيرنا وأما أنت فخفف من نيرنا هكذا تقول لهم إن خنصري أغلظ من متى أبي، والآن أبي حملكم نيرا ثقيلًا وأنا أزيد على نيركم، أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب"²⁹.

فكان هذا الرد سببًا في عدم تسليم قبائل الشمال له بالملك، واختاروا بدلا عنه يربعام، ولم يتبعه غير سبطى يهوذا وبنيامين، وجمع يربعام جيشه لمحاربة المجتمع الشمالي إسرائيل غير أن أحد الأنبياء واسمه شمعيأ أخبر أفراد المجتمع الجنوبي يهوذا أن هذا التقسيم قد تم بأمر الرب: "هكذا قال الرب لا تصعدوا ولا تحاربوا إخوانكم بني إسرائيل، ارجعوا كل واحد إلى بيته لأن من عندي هذا الأمر، فسمعوا لكلام الرب"³⁰.

وشكيم التي قصدها يربعام لتسلم له قبائل الشمال بالملك لم تكن قد بنيت بعد، لأن سفر الملوك ذكر بأن بانيتها هو يربعام كما أوردنا في الجزئية الخاصة بربعام، وهكذا يتضح لنا التناقض الموجود في سفر الملوك الأول فيما يخص مدينة شكيم، فأحدى الروايتين كاذبة قطعاً.

وقد تعرضت مملكة يهوذا في عهد يربعام إلى هجوم عنيف من قبل مصر، وحطمت المدن الجنوبية، وتعرضت للتهب: "وفي السنة الخامسة للملك يربعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان"³¹.

²⁹— سفر الملوك الأول، الاصحاح 12، الفقرات 10-11.

³⁰— سفر الملوك الأول، الاصحاح 12، الفقرة 24.

³¹— سفر الملوك الأول، الاصحاح 14، الفقرات 25-26.

وذكر العهد القديم بأن الملك رحبعام تمسك بشريعة الرب في السنوات الثلاثة من ملكه، وقبل نهاية السنة الرابعة اتبع آلهة أخرى، وكان الجزاء المترتب عن ذلك الفعل تسليط الجيش المصري على مملكة يهوذا: "صعد شيشق ملك مصر على أورشليم لأنهم خاتوا الرب، بألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر"³².

ولعل كاتب سفر أخبار الأيام الثاني حاول تبرير ما حدث ليهوذا على يد الجيش المصري بما فعله الملك رحبعام من اتباع آلهة أخرى، لأنه بذلك خان عهد الرب، ولم يلتزم بالشريعة التوراتية.

ويظهر هنا دور نبي من أنبيائهم في تحميلهم مسؤولية ما حدث: "فجاء شمعياء النبي إلى رحبعام ورؤساء يهوذا الذين اجتمعوا في اورشليم من وجه شيشق وقال لهم، هكذا قال الرب، أنتم تركتموني وأنا أيضا تركتكم ليد شيشق فتذلل رؤساء إسرائيل والملك وقالوا بار هو الرب"³³.

وعاد رحبعام مرة أخرى الى عمل الشر: "وعمل الشر لأنه لم يهين قلبه لطلب الرب"³⁴.

وخلف أبيا أباه رحبعام، واستمر ملكه ثلاث سنوات، ووقع تضارب بين أسفار العهد القديم في اسم أمه، حيث ورد في موضع باسم: "واسم أمه معكة ابنة

³² - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 12، الفقرات 2-3.

³³ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 12، الفقرات 5-6.

³⁴ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 12، الفقرة 14.

أبشالم³⁵ وفي موضع آخر باسم ثان: "واسم أمه ميخايا بنت أورينيل من جبعة"³⁶.

وجاء بعده ابنه آسا، ومكث في الملك مدة طويلة قدرت بإحدى وأربعين سنة، وقد امتاز بمحاربته للآلهة الأخرى التي انتشرت في المجتمع الجنوبي يهوذا وخاصة للآلهة الكنعانية كالبعل، وعشتاروت، بل انه سلب أمه لقب الملكة لانها كانت تعبد عشتاروت: "وعمل آساما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه وأزال المأبوتين من الأرض ونزع جميع الأصنام التي عملها آباؤه، حتى إن معكة أمه خلعتها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالا لسارية وقطع آسا تمثالها وأحرقها في وادي قدرون"³⁷.

وخلف يهوشافاط أباه آسا على ملك يهوذا، وبقي في الملك حوالي خمس وعشرين سنة أي ربع قرن: "أعان أباه في الملك مدة خمس سنوات، ثم تبوأ العرش في الخامسة والثلاثين من عمره وملك 25 سنة حوالي 850-875 ق.م"³⁸ وسار الملك يهوشافاط على طريق أبيه آسا: "وسار في طريق أبيه آسا ولم يحد عنها إذ عمل المستقيم في عيني الرب، إلا أن المرتفعات لم تنتزع بل كان الشعب لم يعدوا بعد قلوبهم لإله آباتهم"³⁹.

³⁵ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 15، الفقرة 2.

³⁶ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 13، الفقرة 2.

³⁷ - سفر الملوك الأول، الاصحاح 15، الفقرات 11-13.

³⁸ - قاموس الكتاب المقدس، ص 1094.

³⁹ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 10، الفقرات 32-33.

وامتاز عهد يهوشافط بالتحالف بين المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية، وقد حاولوا معا بناء أسطول بحري كما كان لسليمان - عليه السلام - من قبل لكنهم فشلوا في ذلك، والسبب في الفشل هو افتقاد بني إسرائيل للدراية ببناء السفن، وإن كان سليمان من قبلهم قد نجح، فإن ذلك يعود إلى خبرة الفينيقيين البحرية والتجارية عندما استعان بهم.⁴⁰

وجاء بعد يهوشافط ابنه يهورام، ودام ملكه ثماني سنوات، وكانت زوجته من مملكة إسرائيل بل بنت ملك إسرائيل أخاب، ومن هنا نلاحظ تأثيرها الكبير في اتباع زوجها لطريقة أسرة أخاب، حيث استطاعت أن تدخل عبادة البعل: "وسار في طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت أخاب لأن بنت أخاب كانت له امرأة وعمل الشرفى عيني الرب"⁴¹.

وانذرهم النبي إيليا بعقاب الرب النازل عليهم بسبب اتباعهم لطريق مملكة إسرائيل التي اتخذت لها آلهة أخرى، وبسبب قتل يهورام لإخوته، سلط الرب عليهم الفلسطينيين والعرب: "وأهاج الرب روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين، فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك ونسائه أيضا ولم يبق له ابن إلا يهوآحاز أصغر بنيه"⁴².

⁴⁰ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 858.

⁴¹ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 21، الفقرة 6.

⁴² - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 21، الفقرات 16-17.

وتولى أمر المملكة الجنوبية يهوذا الابن الأصغر ليهورام واسمه أخزيا: "وملك سكان اورشليم، أخزيا ابنه الأصغر عوضا عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاعوا مع العرب إلى المحلة"⁴³.

وقد ذكر اسم الابن الأصغر ليهورام يهوآحاز، فهل هو اسم ثان لأخزيا، أم أن هناك تناقض في سفر أخبار الأيام الثاني.

وكانت فترة حكمه قصيرة جدا فلم تتعد السنة الواحدة، وسار على نفس طريق أبيه في اتباع مملكة إسرائيل ولعل التأثير في ذلك يرجع إلى أمه.

وبعد موت أخزيا استولت أمه عثليا على الملك: "فلما رأت عثليا أم أخزيا أن ابنها قد مات قامت فأبادت جميع النسل الملكي، فأخذت يهو سبع بنت الملك يورام أخت أخزيا يوأش بن أخزيا وسرقته من وسط بنسي الملك الذين قتلوا"⁴⁴.

واستمرت عثليا خمس سنوات في حكم يهوذا، وحاولت ارغام شعب يهوذا على عبادة البعل: "وقد أرغمت الشعب على عبادة البعل في اورشليم، ولكن بسالرغم من ذلك بقي معظم شعب يهوذا محافظا على عبادة يهوه إله إسرائيل"⁴⁵.

وعندما بلغ يهوآش بن أخزيا سبع سنوات نصب ملكا على يهوذا، واستمر ملكه أربعين سنة، واستنقام أمر يهوآش لأن الكاهن يهويا داغ هو الذي تولى تعليمه وتوجيهه، لذلك لم يعبد آلهة أخرى مع الرب: "واستمر يهويا داغ يباشر نفوذه

⁴³ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 22، الفقرة 1.

⁴⁴ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 11، الفقرات 1-2.

⁴⁵ - متى المسكين، تاريخ إسرائيل ، ص 125.

الديني- وربما السياسي كذلك - على الملك والشعب سواء بسواء، ثم سرعان ما تتغير الأمور بعد وفاته، فيعيد الملك والنبلاء عبادة البعل⁴⁶ وعندما حاول الملك الأرامي حزائيل الهجوم على أورشليم أرسل له الملك يهوآش كل الذهب الموجود في بيت الرب وبيت الملك حتى يتقي شر هجومه: "فأخذ يهوآش ملك يهوذا جميع الأقداس التي قدسها يهوذا فاط ويهورام وأخزيا آباؤه ملوك يهوذا وأقداسه وكل الذهب الموجود في خزان بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إلى حزائيل ملك آرام فصعد عن أورشليم"⁴⁷.

وتولى أمصيا الملك بعد قتل والده، ومكث على عرش المملكة حوالي سبعة وعشرين سنة، وقام أمصيا بإحصاء المقاتلين من يهوذا ابن عشرين سنة فصاعداً، فوجد عددهم يقدر بثلاث مائة ألف واستطاع أمصيا أن يحقق النصر على الأدوميين: "وضرب من بني ساعير عشرة آلاف، وعشرة آلاف سباهم"⁴⁸.

والعجيب في الأمر أنه بعد تحقيقه للإنتصار على الأدوميين، حمل معه آلهة بني ساعير وأقامهم له آلهة وسجد لها. وتعرضت مملكة يهوذا إلى هجوم عنيف من قبل مملكة إسرائيل تحت قيادة ملكها يهوآش.

⁴⁶ - محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، ص 862.

⁴⁷ - سفر الملوك الثاني، الإصحاح 22، الفقرات 18.

⁴⁸ - سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 25، الفقرات 11-12.

وخلف عزيا أباه أمصيا على عرش يهوذا، وعمر عزيا طويلا في الملك، فقد بلغت مدة حكمه ليهوذا اثنتين وخمسين سنة، واتبع طريق أبيه أمصيا، وانتصر في حروبه، وأقام مدن جديدة، وبني أبراجا في أورشليم، لكن وقع التصادم بينه وبين الكهنة، وأصيب نتيجة لذلك بالبرص: "فحنق عزيا وكان في يده مجمره للإيقاد وعند حنقه على الكهنة خرج برص في جبهته أمام الكهنة في بيت الرب بجانب مذبح البخور"⁴⁹.

وتولى بعد عزيا ابنه يوثام، وسار على طريقة أبيه عزيا، واستمر في إقامة الأبراج والتحصينات، ودام له الملك حوالي ستة عشرة عاما: "هو بني الباب الأعلى لبيت الرب وبني كثيرا على سور الأكمة وبني مدنا جديدة في جبل يهوذا وبني في الغابات قلعا وأبراجا"⁵⁰.

والملوك الذين جاءوا بعد يوثام كانوا على الشكل التالي:

اسم الملك	مدة الحكم	اسم الملك	مدة الحكم
أحاز بن عزيا	سنة عشرة سنة	يهو أحاز بن يوشيا	ثلاثة أشهر
حزقيا بن أحاز	تسع وعشرون سنة	يهويا قيم	احد عشرة سنة
منسي بن حزقيا	خمس وعشرون سنة	يهوياكين بن يهوياقيم	ثلاثة أشهر
أمون بن منسي	سنتان	صدقيا	احدى وعشرين سنة
يوشيا بن أمون	احدى وثلاثون سنة	//	//

⁴⁹ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 26، الفقرة 19.

⁵⁰ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 27، الفقرات 3-4.

2- الحروب بين مجتمعي إسرائيل ويهوذا: دار الحروب عديدة بين إسرائيل ويهوذا، وسقط عشرات الآلاف في تلك الحروب، وسأذكر أهم الحروب بينهما:

أ- حرب أبياملك يهوذا على يربعام ملك إسرائيل:

اعتبر أبيا ملك يهوذا الوريث الشرعي للملك في بنى إسرائيل، وأن يربعام اغتصب حقهم، بالإضافة إلى مخالفة يربعام لوصايا الرب، وعبادته لعجول الذهب، لذلك مكن الرب جيش يهوذا من يربعام وجنده: "وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمس مئة ألف رجل مختار، فذل بنو إسرائيل في ذلك الوقت وتشجع بنو يهوذا لأنهم اتكلوا على الرب إله آبائهم"⁵¹.

وعدد القتلى مبالغ فيه جدا، فلا يعقل أن يسقط نصف مليون قتيل في معركة واحدة، وبوسائل قتال بدائية، من جانب آخر كم بلغ تعداد الجيشين، كان جيش أبيا تعداده أربعمئة ألف مقاتل، وجيش يربعام ثمانية آلاف مقاتل، فلا يعقل أن يقتل الأربعمئة ألف خمسمئة ألف مقاتل، أي أكثر من نصف الجيش، مع جزمنا بأن هذه الأرقام من وحي خيال كاتبى أسفار العهد القديم.

ب- حرب جيش إسرائيل على مدن يهوذا:

استعان ملك يهوذا أمصيا بمائة ألف مقاتل من مملكة إسرائيل في حربه على بنى ساعير، غير أن أحد الأنبياء أشار عليه بعدم إشراكهم في حربه لأن الرب ليس معهم، فما كان من رجال إسرائيل المائة الألف سوى الإغارة على

⁵¹ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 13، الفقرات 17-18.

مدن يهوذا عند رجوعهم: "وأما الرجال الغزاة الذين أرجعهم أمصيا عن الذهاب معه إلى القتال فاقترحوا مدن يهوذا من السامرة إلى بيت حورون وضربوا منهم ثلاثة آلاف ونهبوا نهباً كبيراً"⁵².

ج- حرب يواش على أمصيا:

أصر أمصيا ملك يهوذا على محاربة يواش ملك إسرائيل، فحاول يواش أن يثنيه عن عزمه، فأرسل له يحذره: "لماذا تهجم على الشر فتسقط أنت ويهوذا معك"⁵³، ويبرر كاتب سفر أخبار الأيام الثاني إصرار ملك يهوذا على المواجهة بتدبير الرب لذلك، عقاباً لمملكة يهوذا لعبادتهم لآلهة الأوميين، وكانت المواجهة بينهما عنيفة، والعجيب في الأمر أن أورشليم المدينة المقدسة لم تسلم من التدمير: "وهدم سور أورشليم من باب افرايم إلى باب الزاوية في بيت الله مع عوبيد أدوم وخزائن بيت الملك ورجع إلى السامرة"⁵⁴.

د- حرب فقح على آحاز:

يذهب العهد القديم إلى أن فقح بن رمليا ملك إسرائيل قتل في يوم واحد في حربه على يهوذا مائة وعشرين ألفاً: "وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مائة وعشرين ألفاً في يوم واحد، الجميع بنو يأس، لأنهم تركوا الرب إله آبائهم"⁵⁵، وسبوا نساءهم وأطفالهم: "وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم منتى

⁵² - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 25، الفقرة 13.

⁵³ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 25، الفقرة 19.

⁵⁴ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 25، الفقرات 23-24.

⁵⁵ - سفر أخبار الأيام الثاني، الاصحاح 28، الفقرة 6.

ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا منهم غنيمة وافرة وأتوا بالغنيمة إلى السامرة⁵⁶.

بناء على هذه الحروب التي أوردناها، يكون عدد القتلى في ثلاثة حروب منها فقط يقدر بـ ستمائة ألف وثلاثة آلاف قتيل، ومئتين مسبي، فيكون العدد الإجمالي للقتلى والمسبيين ثمانية مائة ألف وثلاثة آلاف، ولربما يفوق هذا العدد التعداد السكاني لمجتمعى إسرائيل ويهوذا معا.

والملاحظة الثانية أن علاقة مجتمع الشمال إسرائيل، ومجتمع الجنوب يهوذا كانت في الغالب علاقة حرب، وسفك للدماء، وفي كل مرة يحاول كاتبى أسفار العهد القديم تبرير ذلك بعبادة آلهة أخرى مع الرب: "عقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان -إسرائيل ويهوذا- تتخاصمان، وكانت إسرائيل الدولة الشمالية هي التي تعتدى على جاريتها الجنوبية، واستمرت المنازعات العسكرية بين الدولتين حتى دخل ملك يهوذا آسا (913-873 ق.م) " في تحاف مع مملكة دمشق"⁵⁷.

3- السبى والشتمات:

تعرض المجتمع الشمالى للسبى الآشورى على يمد الملك الآشورى سرجون الثانى، ويرى البعض أن السقوط كان على يد سلما نصر الخامس: "ويرى معظم المؤرخين أن السامرة قد سقطت على يد سرجون الثانى في عام

⁵⁶ - سفر أخبار الأيام الثانى، الاصحاح 28، الفقرة 8.

⁵⁷ - ظفر الاسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 53.

722 ق.م أو أوائل 721 ق.م، في حين أن البعض الآخر يرى أن سلما نصر الخامس هو الذي أسقط السامرة وسبى جانباً من شعبها⁵⁸.

وبعد سقوط مملكة الشمال إسرائيل، والقضاء عليها من قبل الآشوريين، لم تبق إلا مملكة يهوذا الممثلة للمجتمع الجنوبي غير أنها تعرضت كذلك للسبى البابلي من طرف نبوخذ نصر الملك البابلي في عهد آخر ملوك يهوذا يهوياكين: "وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبى"⁵⁹.

وبسقوط مجتمع يهوذا، يختفى تماماً مجتمع بنى إسرائيل، ويظهر مجتمع آخر بعد الرجوع من السبى البابلي أو في أثناءه وهو المجتمع اليهودي، فلم يبق على مسرح الأحداث غير سبط يهوذا، أما بقية الأسباط العشرة الذين أخذ إلى السبى في آشور، فقد فقدوا نهائياً، ولا توجد أية إشارة تاريخية عن وجودهم.

⁵⁸ - مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص 151.

⁵⁹ - سفر الملوك الثاني، الاصحاح 24، الفقرة 14.

الخلاصة

جامعة الأميرة
عبد القادر العظم
الإسلامية

الخاتمة:

يمكنني إيجار النتائج المستخلصة فيما يلي:

1- بطلان الادعاءات الإسرائيلية في جذور المجتمع الإسرائيلي، فإبراهيم وإسحاق ويعقوب-عليهم السلام- لا علاقة لهم بذلك المجتمع، فبنو إسرائيل شأنهم شأن شعوب أخرى كثيرة كانت من نسل إبراهيم ويأتي في مقدمة تلك الشعوب الشعوب العربية.

2- الوعد الأبدي الذي أكد عليه كاتبو أسفار العهد القديم منذ إبراهيم إلى مملكة يهوذا لم يتحقق في أي فترة زمنية، وقد أكد القرآن الكريم أن الوعد لإبراهيم-عليه السلام- قد كان من نصيب الأمة التي تتبع الرسول الخاتم محمد-صلى الله عليه وسلم-.

3- لم يثبت تاريخاً أن بني إسرائيل قد احتلوا سابقاً أرض فلسطين، وليس هناك مصدر تناول احتلالهم لتلك الرقعة غير العهد القديم، ولم توجد أية إشارة في القرآن الكريم لسيطرة بني إسرائيل على تلك الرقعة الجغرافية، وما حوته كتب التفسير من آراء ينقصها الدليل، بل معظم أصحابها نقلوا من التراث الإسرائيلي.

4- بداية المجتمع الإسرائيلي من خلال نصوص العهد القديم تبدأ من يشوع بن نون وتنتهي بسليمان، أما من خلال القرآن الكريم فنجد أن مجتمع بني إسرائيل قد تحقق في زمن داود وسليمان-عليهما السلام- وهما نبيان كريمان، وأن الله عز وجل أيدهما في إقامة الملك، الذي شارك فيه أجناس كثيرون ممن آمنوا بهم ولم يقتصر على بني إسرائيل، بل شارك فيه حتى

الجن والطيور، وعلى ذلك فالوصف الحقيقي له هو المجتمع المسلم لنبي إسرائيل.

5- الأرض المقدسة أو أرض الميعاد كما اصطلح عليها الإسرائيليون، لم تكن في فترة زمنية ملكا لبني إسرائيل، بل على فرض دخولهم زمن يشوع بن نون فقد كان بها سكانها الأصليون وهم الكنعانيون والفلسطينيون والحيثيون أو بتعبير أدق الفلسطينيين فهم السكان الأصليون بشهادة نصوص العهد القديم، أما الوعد بتلك الأرض على افتراض صحته فهو مشروط بحفظ وصايا الرب، وبنو إسرائيل لم يحفظوا تلك الوصايا وبناء عليه فإن الوعد انتقل إلى أمة غيرهم، انتقل إلى أبناء إسماعيل-عليه السلام-.

6- بطلان الزعم الإسرائيلي في مسألة الاختيار الإلهي من خلال العقاب الإلهي الذي حل بالمجتمع الإسرائيلي، وحياة الشتات التي عاشها أفرادها، وضعف المبرر الإسرائيلي في محاولة تفسير العقاب الإلهي، هذا ما أكده وقرره القرآن الكريم بأنهم شعب مثل بقية الشعوب، وأن الإمتياز عن طريق النسب لإبراهيم غير مقبول، وأن تفضيلهم كان فترة زمنية معينة، فعندما سقط منهم شرط التفضيل، انتفى عنهم ذلك التفضيل.

7- المملكة الإسرائيلية دامت حوالي سبعين سنة فقط من شاؤول إلى سليمان، وهي مدة لا يمكن مقارنتها بما استغرقتها الممالك المجاورة من الزمن، وعليه لا يحق للإسرائيليين المطالبة بأرض فلسطين لبعث مملكتهم من جديد، ومن جهة ثانية فإن الملوك الثلاثة التي تستند عليهم الدعاوي الإسرائيلية قد وصفوا في العهد القديم بصفات لا تليق بالإنسان العادي.

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر العثماني
الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
ب- الكتاب المقدس	دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

-أ-

أبكار السقاف	1- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة مكتبة مذبولي - القاهرة الطبعة الثانية: 1997م
حسين فوزي النجار	2- أرض الميعاد مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى: 1959م
روجيه غارودي	3- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ترجمة محمد هشام دار الشروق الطبعة الثانية: 1419هـ - 1998م
رحمة الله الهندي	4- إظهار الحق دار الكتب
علي عبد الواحد وافي	5- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام الطبعة الأولى: 1384هـ - 1964م
فريد إبراهيم محمد	6- إسرائيل اليهود الوجه الخفي دار قباء - القاهرة 2004

ترجمة كيث وايتلام	7- اختلاق إسرائيل القديمة محمد الهادي شعيرة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997
محمود أحمد المراغي	8- اشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي دار العلوم العربية- لبنان الطبعة الأولى: 1413هـ - 1992م
محمود بن الشريف	9- الأديان في القرآن شركة مكتبة عكاظ- الرياض الطبعة الخامسة: 1404هـ - 1971م

ب-

إبراهيم جمدة	10- بنو إسرائيل الأصل والهدف
عبد العزيز عامر 2003م	11- بنو إسرائيل مذبولى الصغير 2002م
ابن الكثير	12- البداية والنهاية مكتبة المعارف- بيروت الطبعة السادسة: 1405هـ - 1998م
محمد بيومي مهران	13- بنو إسرائيل ج1 التاريخ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1999

محمد بيومي مهران	14- بنو إسرائيل ج2 التاريخ
محمد بيومي مهران	15- بنو إسرائيل ج3 الحضارة
محمد السيد طنطاوى	16- بنو إسرائيل في القرآن والسنة مكتبة الأندلس- ليبيا الطبعة الثانية: 1392هـ - 1973م
محمد الحسيني اسماعيل	17- بنو إسرائيل مكتبة وهبة الطبعة الأولى: 1422هـ - 2002م
محمد الحسيني اسماعيل	18- البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي مكتبة وهبة 1421هـ - 2000م
محمد عبد السلام محمد	19- بنو إسرائيل في القرآن مكتبة الفلاح- الكويت الطبعة الأولى: 1400هـ - 1980م
محمد على الصابوني	20- النبوة والأنبياء دار الهدى- الجزائر

-ع-

اطفيش	21- تيسير التفسير المطبعة العربية- غرداية 1417هـ - 1996م
-------	--

اندريه لومير	22- تاريخ الشعب العبري ترجمة انطوان هاشم دار عويدات - لبنان الطبعة الأولى
اندريه ايمار وجائين أوبوايه	23- تاريخ الحضارات العام الطبعة الثانية: 1986 نقله إلى العربية فريد دافر وفؤاد أبو ريحان
أحمد عثمان	24- تاريخ اليهود مكتبة الشروق - قصر النيل
تادرس يعقوب ملطى	25- تفسير سفر الخروج مطبعة مارمرقس رويس - القاهرة 1980م
تادرس يعقوب ملطى	26- تفسير سفر اللاويين مطبعة الأنبارويس - القاهرة 1984
تادرس يعقوب ملطى	27- تفسير سفر يشوع مطبعة الأنبارويس - القاهرة 1982
تادرس يعقوب ملطى	28- تفسير سفر إرميا مطبعة الأنبارويس - القاهرة 1995م
أبو حيان التوحيدي	29- تفسير النهر الماد من البحر المحيط دار الجنان - لبنان الطبعة الأولى: 1407هـ - 1987م

الخازن	30- تفسير الخازن
زالمان شازار	31- تاريخ نقد العهد القديم ترجمه من العبرية محمد هويدى المجلس الأعلى للثقافة 2000م
ظفر الإسلام خان	32- تاريخ فلسطين القديم دار النفائس- لبنان الطبعة السادسة: 1413هـ - 1992م
عبد الناصر توفيق العطار	33- تدمير عجل بني إسرائيل مؤسسة البستاني للطباعة- القاهرة 1991م
فؤاد حسنين على	34- التوراة الهيروغليفية دار الكتاب العربي- القاهرة 2004م
كمال صليبي	35- التوراة جاءت من جزيرة العرب مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت الطبعة الرابعة: 1991م
ابن الكثير	36- تفسير القرآن العظيم دار الأندلس- لبنان
أبيوتاكيل	37- التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ترجمة حسان ميخائيل الجندى للطباعة والنشر الطبعة الأولى 1994م

محمد خليفة حسن أحمد	38- تاريخ الديانة اليهودية دار قباء 1985م
متى المسكين	39- تاريخ إسرائيل مطبعة دير القديس أنبا مقار - القاهرة الطبعة الأولى: 1997م
محمد رشيد رضا	40- تفسير المقار دار المعرفة - لبنان الطبعة الثانية
محمد الطاهر بن عاشور	41- التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر 1984م
محمد السيد طنطاوى	42- التفسير الوسيط للقرآن الكريم مطبعة السعادة 1397هـ - 1958م
المراغي	44- تفسير المراغي الطبعة الثالثة: 1394هـ - 1971م
نجيب جرجس	45- تفسير الكتاب المقدس سفر التكوين مطبعة مدارس الأحد الطبعة الرابعة: 2001م
نجيب جرجس	46- تفسير الكتاب المقدس شرح سفر العدد مطبعة هارموني للطباعة الطبعة الثانية 2000م

نجيب جرجس	47- تفسير الكتاب المقدس شرح سفر يشوع شركة هارموني للطباعة الطبعة الثانية: 1990م
-----------	--

-ج-

جورج آدم سميث	48- الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة
زياد منى	49- جغرافية التوراة رياض الريس للكتب والنشر
الطبري	50- جامع البيان في تفسير القرآن دار الفكر - بيروت 1398هـ - 1978م
القرطبي	51- الجامع لأحكام القرآن الطبعة الثانية: 1961م

-ح-

جرنى	52- الحثيون ترجمة عبد القادر محمد الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م
سبتينو موسكاتى	53- الحضارات السامية ترجمة السيد يعقوب الهيئة العامة المصرية للكتاب 1997م

كونتو	54- الحضارات الفينيقية ترجمة محمد الهادي شعيرة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م
	55- الحق المبين في تاريخ انزال الدين

-خ-

كمال صليبي	56- خفايا التوراة دار الساقى الطبعة الثانية: 1991م
------------	--

-د-

إسرائيل شاحاك	57- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود شركة المطبوعات- لبنان الطبعة السابعة: 2003م
محمد خليفة حسن أحمد	58- دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية دار الثقافة 1985م

-ر-

الألوسي	59- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي- لبنان
---------	---

60- رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى
القديم
دار قباء
1998م

محمد خليفة حسن أحمد

ش-

61- الشخصية الإسرائيلية
دار القلم الطبعة الأولى
1405هـ - 1985م

حسن ظاظا

62- الشخصية اليهودية من خلال القرآن
دار القلم - دمشق

صلاح عبد الفتاح الخالدي

ع-

63- العنصرية اليهودية
مكتبة العبيكان

أحمد بن عبد الله الزغبى

الطبعة الأولى: 1418هـ - 1988م

64- علاقة الإسلام باليهودية
دار الثقافة - القاهرة
1988م

محمد خليفة حسن أحمد

ق-

65- قصص الأنبياء والتاريخ
ج2 إبراهيم أبو الأنبياء
انترناشيونال برس
1997م

رشدي البدر اوى

رشدي البدر اوي	66- قصص الأنبياء والتاريخ ج5 أنبياء بني إسرائيل مطابع الجزيرة انترناشيونال 2001م
عبد الوهاب النجار	67- قصص الأنبياء دار الفكر - بيروت
فتحى محمد الزغبى	68- القرابين البشرية والذبايح التلمودية مطابع عباسي - طنطا الطبعة الأولى: 1410هـ - 1990م
كارين أرمسترونج	69- القدس ترجمة فاطمة نصر، محمد عنانى 1998م
محمد أحمد جاد المولى	70- قصص القرآن المكتبة الأموية - دمشق 1398هـ - 1978م
دار الثقافة - القاهرة	71- قاموس الكتاب المقدس

-ف-

حسن ظاظا	72- الفكر اليهودي دار القلم - دمشق الطبعة الرابعة: 1420هـ - 1985م
الشوكاني	73- فتح القدير دار الكتب العلمية - لبنان الطبعة الأولى 1415هـ - 1994م

عايد توفيق الهاشمي

74- فلسطين في الميزان
مؤسسة الرسالة- لبنان

-ل-

محمد علي البار

75- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم
دار القلم- دمشق
الطبعة الأولى: 1410هـ - 1990م

-ك-

عايد هنري

76- الكتاب المقدس سفرًا سفرًا
مكتبة كنيسة الإخوة
1994م

-م-

تادرس يعقوب ملطي

77- من تفسير وتأملات الآباء الأولين
حزقيال

مطبعة الأنبارويس- القاهرة
الطبعة الثانية: 1993م

خزعل الماجدي

78- المعتقدات الكنعانية
دار الشروق- الأردن
الطبعة الأولى: 2001م

الرازي

79- مفاتيح الغيب
دار الفكر

الطبعة الأولى: 1401هـ - 1989م

زيد منى	80- مقدمة في تاريخ فلسطين القديم بيسان للنشر والتوزيع- لبنان 2000م
زاهية الدجاني	81- المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى و فرعون دار التقريب بين المذاهب الإسلامية- لبنان الطبعة الأولى: 1418هـ- 1998م
الطباطبائي	82- الميزان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي- لبنان الطبعة الأولى: 1411هـ- 1991م
فتحي فوزي عبد المعطي	83- المزاعم الصهيونية في فلسطين دار المعارف- مصر

-و-

جورج بوش	84- وادي الرؤيا في تفسير رؤيا حزقيال ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ دار المريخ للنشر- الرياض 1425هـ- 2004م
----------	---

-ي-

أحمد شلبي	85- اليهودية مكتبة النهضة الطبعة الثانية: 1988م
-----------	---

عرفان عبد الحميد فتاح	86- اليهودية دار عمان الطبعة الأولى: 1417هـ - 1997م
عبد الكريم الخطيب	87- اليهود في القرآن دار الشروق- القاهرة الطبعة الثانية: 1401هـ - 1981م
عبد الفتاح طهارة	88- اليهود في القرآن دار الشروق- القاهرة 1400هـ - 1981م
مصطفى كمال عبد العليم سيد فرج راشد	89- اليهود في العالم القديم دار القلم- دمشق الطبعة الأولى: 1413هـ - 1992م
CHANOINE LUSSEAU LIBRAIRIE P. TEQUI 1954	90-HISTOIR DE PEUPLE D'ISRAEL

فهرس فقرات
العهد القديم

جامعة الأمير

عبد القادر

عبد القادر

العلوم

الإسلامية

سفر التكوين

رقم الصفحة	الفقرات	الاصحاح	بداية الفقرات
6	1 إلى 5	1	" في البدء خلق....."
274	1 إلى 3	2	" فأكملت السماوات....."
6	7 إلى 8	2	" وجبل الرب....."
276	13 إلى 15	9	" وقال الله....."
64	18	9	" وكان نوح....."
162	20 إلى 27	9	" وأبتدأ نوح....."
148	11 إلى 14	11	" وعاش سام....."
25	31	11	" وأخذ تارح....."
6	1 إلى 4	12	" وقال الرب....."
163	1 إلى 3	12	" وقال الرب....."
92	5 إلى 7	12	" فأخذ أبرام....."
27	7 إلى 8	12	" وظهر الرب....."
28	14 إلى 19	12	" وحدث لما دخل....."
29	3-4	13	" إلى مكان....."
29	11	13	" فاختر لوط....."
98	14 إلى 18	13	" وقال الرب....."
29	13 إلى 16	13	" وقال الرب....."
144	13	14	" فأتى من نجا....."
30	2 إلى 5	15	" فقال أبرام....."
81	15 إلى 18	10	" وكنعان ولد....."
31	18	15	" في ذلك اليوم....."
82	18 إلى 20	15	" في ذلك اليوم....."
31	15-16	16	" فولدت هاجر....."

164	9 إلى 11	17	"وقال الله....."
32	18 إلى 19	17	"وقال إبراهيم....."
271	7	17	"وأقيم عهدي....."
275	5	6	"فرأى الرب....."
271	3 إلى 5	18	"يا سيد....."
165-32	2-1	22	"وحدث بعد....."
33	14	21	"فمضت وتاهت....."
32	13	22	"لأني الآن....."
33	15 إلى 17	22	"ونادى ملاك....."
33	19 - 18	22	"ويتبارك....."
34	51-50	24	"فأجاب....."
74	21	26	"وكان في الأرض....."
273	3-2	26	"وظهر له....."
99	1 إلى 4	26	"وكان في الأرض....."
34	12-11	27	"فقال يعقوب....."
165	19	27	"فقال الله....."
272	25-24	26	"وظهر له....."
35	21 إلى 23	27	"فقال إسحاق....."
251	2-1	22	"فقال له....."
74	34	21	"وتغرب إبراهيم....."
82	2 إلى 7	23	"فأتى إبراهيم....."
135	32 إلى 35	29	"فحببت لينة....."
154	5 إلى 8	30	"فحببت بلهة....."
154	10 إلى 13	30	"فولدت زلفة....."

154	20 إلى 17	30	"وسمع الله....."
154	24 إلى 23	30	"ونكر الله....."
167	5 إلى 1	28	"فدعا إسحاق....."
167	10 إلى 15	28	"ورأى حلما....."
35	27-26	32	"وقال أطلقني....."
276	12-11	32	"وقال لماذا....."
100	15 إلى 11	35	"وقال له....."
74	1	37	"سكن يعقوب....."
155	8 إلى 6	37	"فقال لهم....."
155	11 إلى 7	37	"ثم حلم....."
155	20 إلى 18	37	"فلما أبصره....."
156	28	37	"واجتاز رجال....."
177	35 إلى 32	37	"فقال له....."
156	36	37	"وأما المديانيون....."
157	19 إلى 16	40	"كنت أنا....."
157	15 إلى 9	40	"كنت في حلمي....."
158	24 إلى 17	41	"فقال فرعون....."
158	6-5	47	"فكلم فرعون....."
167	4-3	48	"وقد قال....."
159	10 إلى 8	49	"يهودا إياك....."
30	16 إلى 13	15	"فقال لهم....."

سفر الخروج

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
36	8 إلى 11	1	"ثم قال ملك....."
37	4-3	2	"ولما لم يمكنها....."
37	10-9	2	"فأخذت المرأة....."
146	12-11	2	"وحدث....."
37	10-9	2	"فرأى رجلا....."
38	15-13	2	"فقال للمذنب....."
39	22 إلى 20	2	"ادعونه ليأكل....."
39	25 إلى 23	2	"وحدث في تلك....."
39	6 إلى 4	3	"فلما رأى....."
273	13	3	"فقال موسى....."
273	15	3	"وقال الله....."
276	36-35	12	"وفعل بنو إسرائيل....."
281	21-20	15	"فأخذت مريم....."
302	3 إلى 1	20	"أنا الرب....."
303	6 إلى 4	20	"لا تصنع....."
303	7	20	"لا تتطرق....."
303	11 إلى 8	20	"أذكر يوم....."
304	12	20	"أكرم أباك....."
304	16 إلى 13	20	"لا تقتل....."
304	17	20	"لا تشته....."
277	6 إلى 2	20	"أنا الرب....."
278	4 إلى 1	32	"ولما رأى....."
279	20-19	32	"وكان عنده....."

279	28 إلى 26	32	" فاجتمع إليه....."
276	11 إلى 9	24	" ثم صعد....."

سفر اللاويين

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
294	11	2	" كل التقدّمات....."
293	3 إلى 5	3	" ويقرب من....."
293	12-11	3	" وذبحه على....."
298	28 إلى 26	11	" وجميع البهائم....."
299	45-44	11	" إني أنا للرب....."
296	5 إلى 1	12	" إذا حبّلت....."
297	7-6	12	" ومتى أكملت....."
297	3 إلى 1	13	" فإن رأى....."
9	34	27	" هذه هي الوصايا....."

سفر العدد

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
161	39	31	" جميع المعدودين....."
100	2-1	34	" وكلم الرب....."
102	3 إلى 5	34	" تكن لكم....."
102	6	34	" وأما تخم....."
103	9 إلى 7	34	" وهذا لكم....."
104	12 إلى 10	34	" وترسمون....."
160	4 إلى 1	1	" وكلم الرب....."
161	51-50	1	" إذ كلم الرب....."

سفر التثنية

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
105	20 إلى 22	4	"و غضب الرب....."
169	7 إلى 9	7	"لأنك أنت....."
170	4 إلى 6	9	"لا تقل....."
170	26 إلى 28	11	"أنظر أنا....."
277	15 - 16	13	"قضربا....."
294	31	13	"لا تعمل....."
294	9 - 10	18	"متى دخلت....."
172	10 - 11	20	"حين تقرب....."
172	12 إلى 17	20	"وإن لم....."
300	22	22	"إذا وجد....."
300	23 إلى 24	22	"إذا كانت....."
300	25 إلى 27	22	"ولكن إن....."
301	28 - 29	22	"إذا وجد....."
302	19	23	"لا تفرض....."
302	20	23	"للأجنبي....."
171	19 إلى 23	32	"فراي الرب....."

سفر يشوع

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
84	1 إلى 6	1	" وكان بعد"
87	1 إلى 4	2	" فأرسل"
88	1 إلى 4	6	" وكانت أريحا"
91	2 إلى 4	7	" وأرسل"
91	1	7	" وخان"
92	24 إلى 26	7	" فأخذ"
93	18 إلى 23	8	" فقال الرب"
93	28	8	" فكان الذين"
94	3 إلى 6	9	" وأما سكان"
94	15 إلى 19	9	" فعمل يشوع"
95	40 إلى 42		" فضرب"
96	1-2	13	" وشاخ"
107	1 إلى 4	15	" وكانت القرعة"
107	1 إلى 4	16	" وخرجت القرعة"
108	2 إلى 5	18	" وبقي من"
108	43 إلى 45	21	" فأعطى الرب"
97	23	15	" وأما اليبوسيون"

سفر القضاة

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
207	19-18	2	" وحينما أقام الرب....."
207	7 إلى 9	3	"فعمل بنو إسرائيل الشر....."
208	7	3	"فعمل بنو إسرائيل الشر....."
211	17-16	2	"وفعل بنو إسرائيل الشر....."
213	11-10	3	"فكان عليه روح الرب....."
213	15	3	"وصرخ بنو إسرائيل....."
214	30-29	3	"فضربوا من موآب....."
214	31	3	"وكان بعده شمجرج....."
214	5-4	4	"دبورة امرأة....."
215	3-2	4	"قباعهم الرب....."
215	6 إلى 8	4	"أذهب وازحف....."
216	9	4	"فقلت إني أذهب....."
216	22	4	"وإذا بباراق....."
217	8-7	5	"خذل الحكام في إسرائيل....."
217	2	6	"فاعترزت يد مديان....."
218	10-8	6	"أن الرب أرسل....."
218	14-13	6	"فقال له جدعون....."
219	3-2	7	"وقال الرب لجدعون....."
220	7-4	7	"فنزل بالشعب....."
220	21-20	7	"فضربت الفرق....."
221	21	8	"فقام جدعون....."
221	23-22	8	"وقال رجال إسرائيل....."
222	3 إلى 5	9	"فمال قلوبهم....."

223	6	9	"فاجتمع جميع....."
223	45	9	"وحارب أبيمالك....."
223	54	9	"قدعا حالا الغلام....."
224	2-1	10	"وقام بعد أبيمالك....."
224	3إلى5	10	"ثم قام بعده....."
225	3	11	"وكان يفتاح....."
225	9 إلى31	11	"فكان روح الرب....."
225	35-34	11	"ثم أتى يفتاح....."
226	2إلى5	13	"وكان رجل....."
227	6-5	14	"فنزل شمشون....."
227	5-4	15	"وذهب شمشون....."
228	21إلى19	16	"ودعت رجلا....."
229	30-29	16	"وقبض شمشون....."
67	9	1	"وبعد ذلك....."
97	8	1	"وحارب....."
280	17-16	2	"وأقام للرب....."
295	40-39	11	"وكان عند....."

سفر صموئيل الأول

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
230	19 إلى 21	3	"وكبر صموئيل....."
230	22-21	8	"فسمع صموئيل....."
231	4 إلى 8	8	"فاجتمع كل شيوخ....."
232	19-17	10	"فلما رأى صموئيل....."
232	25-24	10	"فقال صموئيل....."
237	16 إلى 14	16	"وذهب روح الرب....."
239	46 إلى 44	17	"ألعلى أنا كلب....."
239	51-50	17	"ولم يكن سيف....."
239	54-53	17	"ثم رجع بنو إسرائيل....."
240	58-57	17	"ولما رجع داود....."
241	7 إلى 2	19	"وكلم يونانان....."
242	16 إلى 14	19	"فأرسل شاول رسلا....."
242	24 إلى 22	19	"فذهب هو أيضا....."
243	4 إلى 1	31	"وحارب الفلسطينيين....."
283	9	9	"هكذا كان....."
286	8-7	9	"لأن الخبر....."

سفر صموئيل الثاني

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
234	1 إلى 4	2	"وكان بعد ذلك....."
234	1 إلى 3	5	"وجميع أسباط....."
235	8 إلى 10	2	"أما بنير....."
247	14 إلى 17	11	"وفي الصباح كتب....."
248	26 إلى 27	11	"فلما سمعت....."
248	7 إلى 10	12	"فأرسل الرب....."
248	6 إلى 10	5	"وذهب الملك....."
248	13 إلى 16	5	"وأخذ داود....."
97	76	5	"وذهب....."

سفر الملوك الأول

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
236	32 إلى 34	1	"وقال الملك....."
245	23 إلى 25	2	"وحلف سليمان....."
246	28 - 29	2	"لأن يوأب....."
246	42	2	"فأرسل الملك....."
253	1	3	"وصاهر....."
251	13 إلى 18	5	"وها أنذا....."
253	1 إلى 7	9	"فقدت....."
253	11 - 12	9	"أعطى حينئذ....."
255	9 - 10	10	"ليكن مباركا....."
28	9 - 10	11	"فغضب الرب....."
318	40	11	"وطلب سليمان....."

319	29 إلى 31	11	"وكان في....."
319	29 - 28	12	"فاستشار....."
320	34 - 33	15	"ملك....."
320	16	16	"فملك كل....."
321	33	16	"وعمل....."
326	4	12	"إن أباك....."
327	11 - 10	12	"تقول لهذا....."
327	24	12	"هكذا قال....."
327	26 - 25	14	"وفي السنة....."
329	2	15	"واسم أمه....."
329	13 - 11	15	"وعمل....."
28	11	9	"فغضب الرب....."

سفر الملوك الثاني

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
321	12 - 11	2	"وقبما هو....."
322	3 - 2	9	"وإذا وصلت....."
323	19 - 18	10	"ثم جمع....."
323	29	10	"ولكن خطايا....."
323	30	10	"وقال الرب....."
324	3 - 2	13	"وعمل الشر....."
324	23 - 22	13	"وأما حزائيل....."
324	35	13	"فعاد يهوآش....."
324	24	14	"وعمل الشر....."
325	25	14	"هو رد تخم....."

152	6	16	"في ذلك....."
10	4 - 3	22	"وفي السنة....."
10	9 - 8	22	"فقال حلقيا....."
176	13 - 11	18	"وسبى....."
332	18	22	"فأخذ....."
337	14	24	"وسبى....."
177	6 - 5	25	"فتبعث....."
178	9 - 8	25	"وفي الشهر....."

سفر أخبار الأيام الثاني

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
328	3 - 2	12	"وصعد....."
328	6 - 5	12	"فجاء....."
328	14	12	"وعمل الشر....."
329	2	13	"واسم أمه....."
329	33 - 32	10	"وسار في....."
330	17 - 16	21	"وأهاج....."
331	1	22	"وملك....."
331	2 - 1	11	"فلما رأت....."
334	18 - 17	13	"وضربهم....."
332	12 - 11	25	"وضرب....."
333	19	26	"فحنق....."
333	4 - 3	27	"هرب....."
335	13	25	"وأما الرجال....."
335	19	25	"لماذا تهجم....."

335	24 - 23	25	"وهلم سور....."
335	6	28	"وقتل....."
336	8	28	"وسبى....."

سفر اشعيا

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
383	1	1	"رؤيا....."
383	8 - 7	1	"بلادكم....."
173		3	"لأن أورشليم....."
174	17 - 16	3	"وقال الرب....."
174	20 إلى 24	4	"ويل للقاتلين....."
287	20 إلى 17	13	"ها أنذا....."
286	27 إلى 24	14	"قد حلف....."
289	4 إلى 1	19	"وحي من....."
291	7 - 6	39	"هوذا....."

سفر إرميا

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
175	5 إلى 11	2	"هكذا قال....."
175	9-5	3	"وقال الرب....."
177	4-1	6	"اهربوا....."
285	1	1	"كلام إرميا....."
292	8 إلى 6	27	"والآن....."
290	15 إلى 13	46	"الكلمة التي....."
112	17 إلى 15	47	"وهذا تخم....."
113	18	47	"وجانب الشرق....."
113	17	47	"وجانب الجنوب....."
113	21-20	47	"وجانب الغرب....."
288	5-4	50	"في تلك الأيام....."
288	10-9	50	"لأنى ها أنذا....."
288-110	19 إلى 17	50	"إسرائيل....."
178	29-28	52	"هذا هو....."
109	8-3	31	"ترأى لى....."

سفر حزقيال

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
285	3	1	"صار كلام....."
176	12 إلى 6	28	"هوذا....."
290	19	29	"لذلك هكذا....."
111	12 إلى 7	37	"فتنبأت....."
112	14-13	47	"هكذا قال....."

سفر دانيال

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
284	20	19	"حينئذ....."

سفر عاموس

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
325	8-7	2	"ويذهب....."
326	3-2	8	"قال لي....."

سفر ميخا

رقم الصفحة	الفقرات	الإصحاح	بداية الفقرات
176	9 إلى 9	3	"أسمعو....."

فهرس آيات القرآن الكريم

جامعة الأمير
العلماء
للعلوم الإسلامية

سورة البقرة

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
185	47	"يا بنى إسرائيل....."
306	52-51	"وإذ وعدنا....."
190	57	"وظللنا....."
308	83	"وإذ أخذنا....."
131	59-58	"وإذ قلنا....."
193	87	"وءاتينا....."
191	47	"وإذ نجيانكم....."
311	85-84	"وإذ أخذنا....."
309	88-87	"أفكلما....."
50	132	"ووصى....."
49	129	"ربنا....."
48	128-127	"وإذ يرفع....."
184	113	"وقالت....."
184	120	"ولن ترضى....."
309	133	"أم كنتم....."
256	246	"ألم تر....."
258	248-247	"وقال لهم....."
259	249	"فلما فصل....."
259	251	"وقتل....."
311	183	"يا أيها....."
95	100	"أو كلما....."
58	136-135	"وقالوا كونوا....."

سورة آل عمران

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
310	39	"فنادته....."
185-50	67	"ما كان....."
179	93	"كل الطعام....."
312	94-93	"كل الطعام....."
308-184	181	"لقد سمع....."

سورة النساء

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
312	161-160	"فبظلم....."
313	154	"وقلنا لهم....."

سورة المائدة

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
310	12	"ولقد أخذنا....."
184	18	"وقالت....."
188	20	"إذ جعل....."
311	32	"من أجل....."
311	45	"وكتبنا....."
184	51	"يا أيها....."
312	63-62	"وترى....."
184	64	"وقالت....."
184	82	"لتجدن....."
115	25-21	"يا قوم....."
130	36	"قائنها....."

سورة الأنعام

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
45	74	"وإذ قال....."
312	147-146	"وعلى الذين....."
313	152-151	"قل تعالوا....."

سورة الأعراف

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
305	140 إلى 138	"وجاوزنا....."
121	137	"وأورثنا....."
192	160	"وقطعناهم....."
313	163	"وسئلهم....."
53	129	"أودينا....."
94	148	"واتخذ....."

سورة التوبة

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
307	31-30	"وقالت....."
185	30	"وقالت....."

سورة يوسف

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
50	4	"إذ قال....."
181	6-4	"إذ قال....."
182	7 إلى 9	"لقد كان....."

51	9-8	"إذ قالوا....."
183	99 إلى 101	"قلما دخلوا....."
51	51-50	"وقال الملك....."
52	56 إلى 54	"وقال الملك....."
52	58	"وجاء....."
52	89	"هل علمتم....."
52	100-99	"قلما دخلوا....."

سورة إبراهيم

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
48	37	"ربنا إني....."

سورة الحجر

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
50	53 إلى 51	"ونبيئهم....."

سورة الإسراء

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
129	1	"سبحان الذي....."
66	2	"وءاتينا....."
195	4 إلى 7	"وقضينا....."
262	55	"وءاتينا....."
262	55	"ولقد فضلنا....."

سورة مريم

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
310	30	"وأوصاني....."
179	58	"أولئك....."

سورة طه

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
55	11 إلى 13	"فلما آتاه....."
309	14	"وأقم....."
308	12 إلى 14	"إني أنا....."
56	19 إلى 23	"قال ألقها....."
56	29 إلى 32	"واجعل لي....."
56	66 إلى 70	"فإذا حبالهم....."
57	77	"ولقد أوحينا....."
309	89	"وتقد قال....."
307	87 إلى 91	"قلوا....."

سورة الأنبياء

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
45	51-52	"ولقد آتينا....."
46	55-56	"قالوا....."
46	57 إلى 62	"وتا الله....."
47	63 إلى 67	"قال بل....."
47	70	"قالوا....."
47	71-72	"ونحنيناه....."

	71	"ونجينا....."
263	80-79	"وسخرنا....."
265	81	"ولسليمان....."
141	105	"ولقد كتبنا....."

سورة النمل

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
264	16	"وورث....."

سورة القصص

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
53	8-7	"وأوحينا....."
54	15	"ودخل....."
54	19-18	"فأصبح....."
54	21-20	"وجاء....."
55	26 إلى 28	"وقالت....."
55	29	"فلما قضى....."

سورة سبأ

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
263	10	"ولقد ءاتينا....."
266	13	"ومن الجن....."

سورة ص

رقم الصفحة	الآية	بداية الآيات
262	19	"وجاوزنا....."
266	36	"تجرى....."

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ-ز	المقدمة.....
62-1	الفصل الأول: العهد القديم والجذور التاريخية.....
24-2	المبحث الأول: العهد القديم.....
3	1-ترتيب أسفار العهد القديم.....
5	2-أقسام العهد القديم.....
17	3-تأليف العهد القديم.....
21	4-ترجمات العهد القديم.....
58-25	المبحث الثاني: الجذور التاريخية في العهد القديم.....
25	1-إبراهيم وبنوه.....
36	2-بنو إسرائيل في مصر.....
42	3-خروج بني إسرائيل من مصر.....
52-45	المبحث الثالث: الجذور التاريخية في القرآن الكريم.....
45	1-إبراهيم وبنوه.....
50	2-يعقوب وأبناؤه في مصر.....
57	3-حادثة الخروج.....
52-59	المبحث الرابع: النقد والمقارنة.....
41-63	الفصل الثاني: الإقليم الإسرائيلي.....
33-64	المبحث الأول: تسميات الإقليم وشعبه.....
64	1-تسميات الإقليم.....
76	2-الشعوب التي سكنت الأرض.....
13-84	المبحث الثاني: الإقليم في العهد القديم.....
84	1-غزو بني إسرائيل لأرض كنعان.....
97	2-الحدود الجغرافية للأرض الموعودة.....

33-114	المبحث الثالث: الإقليم في القرآن الكريم.....
114	1- هل دخل بنو إسرائيل إلى ارض كنعان.....
130	2- تحريم دخول الأرض.....
41-134	المبحث الرابع: النقد والمقارنة.....
03-142	الفصل الثالث: الشعب الإسرائيلي.....
78-143	المبحث الأول: الشعب في العهد القديم.....
143	1- تسميات الشعب.....
153	2- أقسام الشعب.....
162	3- شعب الله المختار.....
98-179	المبحث الثاني: الشعب في القرآن الكريم.....
179	1- تسميات الشعب.....
185	2- التفضيل الإلهي لبني إسرائيل.....
193	3- صور إفسادهم في الأرض.....
03-199	المبحث الثالث: النقد والمقارنة.....
69-204	الفصل الرابع: نظام الحكم الإسرائيلي.....
55-205	المبحث الأول: نظام الحكم في العهد القديم.....
205	1- عهد القضاة.....
230	2- نظام الملك.....
66-256	المبحث الثاني: نظام الحكم في القرآن الكريم.....
256	1- عهد القضاة.....
257	2- نظام الملك.....
69-267	المبحث الثالث: النقد والمقارنة.....

216-270 الفصل الخامس: المكونات الدينية
304-270 المبحث الأول: المكونات الدينية في العهد القديم
271 1- العقائد
292 2- الشرائع
313-305 المبحث الثاني: المكونات الدينية في القرآن الكريم
305 1- العقائد
309 2- الشرائع
316-314 المبحث الثالث: النقد والمقارنة
317-317 الفصل السادس: الإنقسام والشتات
318 1- انقسام المجتمع الإسرائيلي
334 2- الحروب بين إسرائيل ويهوذا
336 3- السبي الأشوري والبابلي
40-338 الخاتمة
54-341 1- قائمة المصادر والمراجع
71-355 2- فهرس فقرات العهد القديم
79-372 3- فهرس الآيات القرآنية